

العتبة الحسينية المقدسة

المصباح

مجلةٌ فكريةٌ فصليةٌ متخصصةٌ
تعنى بالدراساتِ والأبحاثِ القرآنيةِ

تصدرُ عن

الأمانةِ العامةِ
للعتبةِ الحسينيةِ المقدسةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ
ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ
مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ
لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

صَدَقَ ٱللهُ ٱلعَلِيُّ ٱلعَظِيم

المشرف العام

سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي

الامين العام للعتبة الحسينية المقدسة

رئيس التحرير

محمد علي هدو

المدير التنفيذي و العلاقات العامة

د. حميد مجيد هدو

سكرتير التحرير

أحمد حسن محفوظ

الهيئة الاستشارية

أ.د. حسام الدين الالوسي

جامعة بغداد – العراق

أ.د. عبد الجبار ناجي

جامعة بغداد – العراق

أ.د. صباح نوري المرزوك

جامعة بابل – العراق

أ.د. عبد النبي اصطيف

جامعة دمشق – سورية

أ.د. عبد الامير كاظم زاهد

جامعة الكوفة – العراق

أ.د. عبود جودي الحلي

جامعة اهل البيت – العراق

أ.د. محمد الخطيب

جامعة كربلاء – العراق

المصباح

مجلة فكرية فصلية متخصصة
تعنى بالدراسات والأبحاث القرآنية

تصدر عن
الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة

العدد الثاني عشر شتاء (٢٠١٣م - ١٤٣٤هـ)

هاتف رئيس التّحرير
٠٠٩٦٤-٧٨١٠٥٣٥٥٢٤
٠٠٩٦٤-٧٧١١٦٣٤٣٤٤

هاتف المدير التنفيذي
٠٠٩٦٤-٧٨١٠٨٠٠٦٢٧

موقعنا على شبكة الإنترنت
www.al-missbah.com
www.al-missbah.net
www.al-missbah.org

البريد الإلكتروني
almosbah1431@yahoo.com
info@al-missbah.com

التنسيق والمتابعة
● د. عمّار عبّودي نصار (العراق)
● د. السيد حسين الصافي (ايران)
● د. أنمار عبد الجبّار (ألمانيا)

الشؤون الادارية والمالية
رضا جواد الحائري

معتمد الترجمة الانكليزية
سعد شريف طاهر

الاخراج والتصميم
قاسم سالم محمد

العنوان البريدي
الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة
كربلاء المقدسة - جمهوريّة العراق
أرضي. ٣٢١٧٧٦ - ٠٠٩٦٤٣٢
داخلي ٥٦١

الترقيم الدولي:
ISSN: 2226 -5228

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
١٤١٤ لسنة ٢٠١٠ م

البحوث وماتتضمنها من أفكار وآراء تعبر عن آراء كتابها

المحتويات

- كلمة الافتتاح/ محمد علي هدو -رئيس التحرير.....٧
- إضاءاتٌ مِنْ فَواتحِ سورةِ الأسراءِ (الجزء الاول)/ سماحة السيد جعفر مرتضى العاملي.....١٣
- تلبيس المستشرقين في تفسير (أهل البيت)/ أ.د. عبد الجبار ناجي.....٣٩
- معجزة خلق آدم وعيسى (عليهما السلام)دراسة قرآنية/ د. علي رحيم هادي الحلو.....٧٧
- اسم النبي ابراهيم وصفاته في الكتاب المقدس والقرآن الكريم/ د.ستار الفتلاوي.....١٠٧
- النبي ابراهيم (عليه السلام) في الكتب السماوية/ د. انمار عبد الجبار.....١٤٥
- تنوع الاحداث وحركيتها في قصة يوسف (عليه السلام)/ د.جنان محمد مهدي.....١٦٥
- زمن الاسترجاع السِّيَرِي في سورتي (البقرة) و (آل عمران)/ د. وداد مكاوي حمود.....١٧٩
- انبياء احتضنتهم ارض بابل (ابراهيم خليل الرحمن)/ د. ثامر كاظم الخفاجي.....٢١٣
- قصص الانبياء في القرآن الكريم/ محمد علي هدو.....٢٣٣
- ترتيب الانبياء وما تفرع عليهم في القرآن الكريم/ رفاه عزيز العارضي.....٢٥٥
- ملاحظات عبد الله يوسف علي عن الانبياء في ترجمته للقرآن الكريم/ سعد شريف طاهر.....٢٧٣
- النبي هود (عليه السلام) في ضوء التفسير الموضوعي/ د. حكمت عبيد الخفاجي.....٢٩٧
- النبي موسى (عليه السلام) وبنو اسرائيل/ حسين درويش.....٣١٣

نافذة المصباح

- اتجاهات التمازج الحركي بين القرآن الكريم والاعلام/ ناجي الفتلاوي.....٣٣٥
- كنوز وذخائر مكتبة مؤسسة كاشف الغطاء العامة/ مصطفى ناجح الصراف.....٣٤٧

تحتفظ هيئة تقويم البحوث في المجلة بحق
حذف أو تعديل ما لا يتماشى وسياستها في
نشر علوم القرآن الكريم حصرياً،
أو ما خرج منها عن منهج البحث العلمي
والموضوعي، أو ما مسَّ جوهر
العقائد الإسلامية

كلمة الافتتاح

بسم الله الرحمن الرحيم

بحمد الله والثناء عليه، وتوفيقٍ من لدنه، نختتم السنة الثالثة من عمر المجلة (المصباح) وبما يتماشى واهدافها النبيلة التي اخذنا-نحن هيئة التحرير- أبعادها المتمثلة باستقطاب الرؤى القرآنية وتسجيلها من قبل باحثين أخذوا على أنفسهم بأن يكونوا الفئة الطيبة التي تمخر عباب كتاب الله لتُخرج للناس كنوزه وخباياه وبما يواكب العلم والدليل و العقل الراجح والذوق العربي السليم والسليقة العربية المشفوعة بالحس اللغوي والقدرة على استنطاق الجمال والروعة والإعجاز في النظم، وهي أمور ما كان لها أن تتحقق لو لم يكن القرآن قد نزل بارادة الله -سبحانه-معجزاً وبلسان القوم الذين نزل فيهم ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ ولقد كانت دعواتنا للباحثين لكي يرفدوها بما يرسمه علمهم بالقرآن الكريم، شاملة كل العلماء والمحققين، حوزويين و جامعاتيين وباحثين متمرسين، من دون تفضيل فئة على فئة الا بنسبة الرصانة في البحث واصابة الهدف وإقامة الدليل ومناقشة الآراء والنتائج التي يصل اليها، معرضين عن كل ما لا يخص القرآن الكريم بالبحث أو ما يدخل في حيز الاستطراد التاريخي أو الفقهي أو الفلسفي أو العقدي. ولربما قامت هيئة التقويم بحذف أو تعديل أو تقويم فقرة او جملة فقرات، أو ربما فكرة كاملة

توجب سياسة المجلة تقويمها وقد لقينا من ذلك الكثير من الاعتراض جراء تعصب بعض الباحثين لفكرة يحاول تمريرها عبر بحث لا يمت لتلك الفكرة بصلة، أو إشادة بفئة لم تجتمع الآراء على الاشادة بها، او ترويج شواذ التفسير، أو الحط من قيمة بعض المصادر التاريخية أو إساءة استعمالها... وأمثال ذلك كثير لا تحصيها سطور ولا تنوّه بها كلمات.

كما واجهتنا طيلة السنوات الثلاث، مشكلة سوء فهم بعض الأطروحات التي عرضت أفكاراً حساسة، أو ناقشت مفاهيم غير متفق عليها لدى العلماء ، وسبب تلك المشكلة نابع من سطحية الفهم لدى القاريء أو محاولته توجيه الفكرة بما يُسيغُ له الاعتراض أو غير ذلك من الاسباب. فما كان من المجلة الأ ان تأخذ الامور برويّة الصابر الحليم وأن تكون إيجابية في الرد متمثلة قوله عز من قائل ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ وقد أحسن من قال : ((رضا الناس غاية لا تدرك)) وقد اثلج صدورنا أن يبدي كثير من العلماء رضاهم عما نقرّه وما لا نقرّه من ابحاثهم برغم طول باعهم في المنتدى البحثي والعلمي ذلك انهم اقروا، قبل أن يعترضوا بأن المجلة تجري في سياق الأكاديمية الجدلية التي تثبت أن ((لولا القرآن لما فهمنا هذه العلوم، ولولا هذه العلوم لما فهمنا القرآن)) وذلك لأن فهم القرآن لا يتحقق من خلال فهم مفرداته او معرفة أحكامه أو توثيق تاريخ حوادثه، فنحن اذا قلنا بذلك نكون قد أخرجناه من حلبة الاعجاز وجعلناه في دائرة اي كلام ينفد معناه وتنتهي عجائبه عند حد محدود، وهذا مناقضٌ قوله- سبحانه- ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ صدق الله العلي العظيم في ما قال ، فالقرآن قد جلَّ عن أن ينتهي به المطاف عند تفسير. فالتفسير يلحقه التأويل والتأويل يلحقه التفريع وهكذا الى ما لانهاية.

ان ميدان ابحاث المجلة تنطلق فيه علوم القرآن فحسب. وبعبارة أوضح: انها تنشر كل ما يميط الستار عن جوهرة من جواهره ليؤلف كل عدد يصدر منها عقداً منظوماً يزين القاريء الكريم به علمه، ثم لانجد حرجاً في أن نعتذر عن كل ما عدا ذلك من الحديث

مع اعترافنا بأهميته وخطره في دنيا العقائد الاسلامية التي نؤمن بها ونتبناها وندين الله بها.

وبعد كل هذا التلميح والتلويح لا أراني محتاجاً لأن القي بالمعاذير الى كل من كتب ولم ينشر له أو من قمنا بتهذيب بحثه على وفق ما تفرضه سياسة المجلة. أقول قولي هذا واستغفر الله العلي القدير لكل من عاب علينا إجراءاً اتخذناه لخدمة الدين والقرآن... ولله المنة وحده وهو المستعان على ما يصفون...

رئيس التحرير





عدد خاص

شؤون الانبياء في القرآن الكريم




إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه

إضاءاتٌ من فواتحِ سورةِ الأسراء

(الجزء الاول)

سماحة العلامة السيد جعفر مرتضى العاملي

بيروت- لبنان

ملخص البحث

يعدُّ الإسراء والمعراج شأنا عظيماً من شؤون إعجاز النبي الأكرمﷺ الذي خصه الله -جل وعلا- به من دون سائر الانبياء، الذين نوّه- سبحانه- بعظمتهم وفضلهم في القرآن الكريم.

يبدأ سماحة السيد الباحث ببسط معنى الإسراء ثم يحلل كل كلمة وردت في الآية الأولى من سورة بني اسرائيل المباركة تحليلا يظهر فيها خزائن الإعجاز اللغوي والمعنوي. فيبدأ بكلمة (سبحان) ثم يفصل القول في معنى (المسجد الحرام) و (المسجد الاقصى) مروراً بكلمة (بعبده) و (ليلاً) في جولة عرفانية تطمئن النفس الى توجهاتها ومراميها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله، محمد وآله الطيبين الطاهرين.. واللعنة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين..

وبعد..

كريمة هي جهود الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة متمثلة بأمينها العام، حين شمرت عن ساعد الجد للكشف عن كنوز القرآن الكريم، كلام الله المعجز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. لذا كان لزاماً على كال من يأنس في نفسه القدرة على أن يقدم لمائدة الله ما بوسعه أن يقدم أن لايحجم عن بذل الجهد في ذلك فكلام الله لاتنفد بحاره ولا تنتهي عجائبه فهو المهيمن على كل المعاني والمجيب عن كل سؤال ولا يزيد المتح منه الا عطاءاً وثروة. وها نحن ومن منطلق الايمان به، نتعرض -وبتوفيق من الله -لجانب من دقائق معانيه وردت بها سورة شريفة هي (سورة الاسراء) أو (سورة بني اسرائيل) وبعد التوكل عليه (سبحانه) نقول: قال عز من قائل:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[سورة الاسراء: ١]

تعرضت هذه الآية من سورة بني إسرائيل إلى الإسراء برسول الله ﷺ.. وفيها عدد من المطالب، فلاحظ ما يلي:

الإسراء في اللغة:

كلمة الإسراء يراد بها: السير في الليل، أو السير في آخر الليل، في أي اتجاه كان.. يقال: عند الصباح يحمد القوم السُّرى..

إلى أين كان هذا الإسراء؟!:

وهل يراد بالمسجد الأقصى هذا المسجد الموجود في بيت المقدس؟! أم المسجد الأقصى الموجود في السماء؟!

الروايات تقول، والقرائن في الآية تؤيد: أنه الموجود في السماء. وعليه فإن الآية تعرضت للمعراج لا للإسراء إلى بيت المقدس أو المسجد الأقصى، الموجود في فلسطين.

وبيت المقدس الذي في فلسطين هو مساحة تبلغ حوالي مئة وخمسة وأربعين

ألف متر مربع، ويوجد في هذه المساحة مسجدان:

أحدهما: المسجد الذي اختطه عمر بن الخطاب لما قدم بيت المقدس زمن خلافته.

والثاني: المسجد المبني على الصخرة، وإنما بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك. والصخرة قبلة اليهود القديمة.

هذه البداية هي عنوان الحديث عن هذه الآية.

ونبدأ بالحديث عن خصوصيات الكلمات الواردة فيها، وعما يراد منها. وإن كانت عقولنا قاصرة، عن معرفة الحقائق والوقائع، ومضامين آيات القرآن على حدِّها.. ولا يقتصر هذا الأمر علينا، فإن البشر جميعاً عاجزون عن إدراك ذلك، فنحن بحاجة دائماً إلى التوفيق الإلهي وأيضاً إلى البيان من أهل البيان، وهم أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين..

ونبدأ بالشرح التفصيلي، فنقول:

لماذا كان الشروع بالتسبيح والتنزيه؟!:

بدأ تعالى الآية بالتسبيح ﴿سُبْحَانَ﴾، ولم يبدأ بحمد الله، أو بشكره مثلاً.. ومن المعلوم: أن «سبحان» صيغة مبالغة في التنزيه.

أي هو تعالى كثير (أو شديد) التنزُّه عن كل ما ينافي كمال ألوهيته وربوبيته، مثل النقائص والعجز، والجهل والظلم، والضعف، والحاجة، وما إلى ذلك..

وهذا التنزه تارة يلاحظ فيه مصاديقه ومفرداته. أي أنه منزه عن أمور وعناوين كثيرة، كتلك التي ذكرناها آنفاً.

وتارة يلاحظ فيه مراتب التنزه في الشدة والضعف، فيراد بهذه الصيغة بيان شدة التحقق في الكمال وعدم المحدودية في درجاته، وشدة الإيغال في الطهارة، والتنزه والنقاء، والسلامة من النقائص والعيوب.

فمثلاً إذا قلنا: إن فلاناً معصوم عن الذنب، فقد تكون درجة مناعته عادية كأي مؤمن يعيش في مجتمع بعيد عن المغريات، وقد تكون درجة صلابته بحيث يستطيع مواجهة الكثير من المغريات، وقد تكون بدرجة يعلم فيها بعدم الخضوع لأي إغراء، مثل عصمة بعض الأولياء

أو الأئمة أو الأنبياء، أو بدرجة صلابة أولي العزم منهم، أو بدرجة صلابة نبينا الأعظم ﷺ.. وعلي أمير المؤمنين عليه السلام. فإن درجات الصلابة في العصمة متفاوتة.

والخلاصة: أن عصمة أولي العزم من الأنبياء ليست كعصمة من لم نجد له عزماً، وهكذا.. وعصمة سلمان الفارسي مثلاً، الذي استحق أن يقول عنه رسول الله ﷺ: «سلمان منا أهل البيت» ليست كعصمة أي إنسان عادي آخر.. ممن لم يقل عنه رسول الله ﷺ شيئاً..

المقصود بكلمة سبحان هنا:

ونعود لنقول: إن المقصود بكلمة سبحان: أن مستوى التنزه عن الحاجة والجهل والعجز، وكل نقص هو بدرجة الإستحالة العقلية، لا مجرد عدم الوقوع، لأن هذه الأمور تتنافى وتتناقض مع ألوهية الله سبحانه.

وهذا المعنى يلازم استيعاب جميع المراتب بالنسبة للمصاديق أيضاً.

فظهر: أن المراد بهذا التسبيح هو مجموع المعنيين. أعني التعبير عن شدة التنزه، وعن كثرة التنزه الساريين في جميع المعاني والمستويات..

لماذا الحديث عن التنزيه؟!:

والسؤال الأهم هو: لماذا تحدث في مورد الإسراء عن تنزيه الله بصيغة المبالغة بأقصى درجاتها، وليس عن تعداد نعم الله وبيان الطافه بخلقه؟!.

وفي مقام الإجابة لا بد أن نشير إلى أن علينا أولاً أن نجيب عن سؤال:

لماذا أسرى بعبده؟!:

والجواب يكمن في قوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾.. أي بعض اياتنا. أي ليرى بالمشاهدة المباشرة في تلك الآيات طرفاً من حكمته تعالى، وتبين له عظيم قدرته، وبديع صنعه، وحقيقة قيّوميَّتِه، وبصيريته، وسميعيته، وعليميته، وكل صفاته وأسمائه المظهرة لربوبيته تعالى، وألوهيته سبحانه..

فإن من يعاين هذا الكمال المطلق واللامتناهي في كل حالاته ومجالاته، من خلال ما يراه من عظمة آياته سبحانه، يترسخ لديه الشعور بالتنزيه المطلق الذي يسقط كل الحدود في صفات الكمال والجمال والجلال، لأنها تشي بالنقص والحاجة والضعف والجهل.. وما إلى

ذلك.. وهذا التنزيه هو الذي يلغي الحدود للصفات، ويعطيها حقيقة الإطلاق من جميع الجهات، وفي جميع الحالات.

فالمقام مقام تنزيه مطلق له تعالى، وليس مقام شكر، لأن الشكر مثلاً إنما تُلاحَظُ فيه النعم التي أسداها، وما يفيضه تعالى على البشر من خزائنه. كما أنه ليس مقام حمد وثناء عليه تعالى، لأن الحمد يلاحظ فيه الفعل الجميل الاختياري الصادر منه..

فإن الشكر والحمد وإن أثبتا ـ في نظر الناس العاديين فيما يفهمونه من دلالات وألفاظ -الغنى له تعالى، بالإضافة إلى إثبات الصفات الأخرى المرتبطة بصدور الفعل الجميل الاختياري. ولكنهما لا يشيران بصورة مباشرة بحسب دلالة الألفاظ التي يفهمها عامة الناس، إلى أنه تعالى واجب الوجود بالذات مثلاً، ولا إلى أنه ليس له جسد ولا صورة، ولا مكان..

ولا يشيران أيضاً عند الناس العاديين!! إلى حكمته تعالى، ولا إلى كثير من صفات الفعل الأخرى، وغيرها.

ولكن التنزيه المطلق له تعالى في كل شيء، ولا سيما إذا كان بصيغة التكثير، ولا سيما إذا كان تكثيراً لا حدود له ولا قيود، وقد جاء بصيغة المبالغة ﴿سُبْحَانَ﴾ الذي لا حدود له. إن هذا التنزيه تنزيه له تعالى عن الإمكان، وعن الجهل، وعن البخل، والنقص، والعيب، والضعف، والعجز، وعن الجسم والمكان، والحركة والسكون، وكل ما يتناقض مع، أو ينقص من صفات الكمال والجمال، والجلال.. و.. و.. فيه تعالى.

إن ذلك التنزيه المطلق يحمل معه دلالة واضحة على إثبات الكمال غير المتناهي وغير المحدود له تعالى في جميع صفات الألوهية والربوبية.. ولا يقتصر على عدم التناهي وعدم المحدودية في صفة الغنى، وبعض صفات الفعل الذي تشير إليه، وتقتصر عليه ـ في أذهان الناس بحسب دلالات ظواهر الألفاظ ـ كلمة الشكر أو الحمد. بل يشمل كل صفات الكمال والجمال.. كوجوب الوجود، والعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة.

بالإضافة إلى دلالته على الكمال، وعدم التناهي واللامحدودية في صفة القيومية التي تستبطن صفات الفعل،

كالخالقية والرازقية، والعليم، والحكيم، والرحيم، والودود، والكريم، و.. و.. و.. ثم لا يقتصر الأمر على هذا، بل يشمل صفات السلب أيضاً التي هي صفات الجلال، التي تعني سلب الجسمية والمكان والصورة، والحركة والسكون، والخفة والثقل ونحوها مما يرجع إلى سلب الإمكان عنه تعالى المنبثق عن صفة وجوب الوجود له تعالى.

فكلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ في هذا الموضع بما لها من معنى تنزيهي عتيد هي الأشمل، والأدق والأفضل في التعبير عن المعنى المراد.

أما كلمة الشكر، أو الحمد، أو نحو ذلك.. فلا قدرة لها على ذلك، أو أن ذلك هو ما يتوهمه فيها بعض قاصري النظر.. إن كلمة ﴿سُبْحَانَ﴾ تستحضر كل الصفات الثبوتية التي هي صفات الكمال والجمال، وصفات السلب التي هي صفات الجلال، كما أنها من خلال صفة القيومية تستتبع صفات الفعل أيضاً كما تقدم، فتعطي بذلك صورة عن الكمال اللامتناهي في جميع صفات الألوهية والربوبية..

وذلك أدلُّ على عظمة الله، وأدعى للتفاعل مع هذه الكمالات اللامتناهية واللامحدودة، فترسخ قدم الإنسان في معرفة الله، ولا يبقى لمعاني الكمال، والعلم والإيمان والثقة بالله، وصفة كمال وجمال له تعالى أيضاً حدود ولا قيود..

وهذا هو المعنى المطلوب والمناسب في مثل هذا المقام، ولا يناسب هنا أي معنى آخر غير كلمة ﴿سُبْحَانَ﴾، ولو أتى بأية كلمة أخرى لتوهم متوهم أن هناك انتقاصاً، وتحجيماً للمقام الذي يريد الله من خلاله أن يبلِّغه رسول الله ﷺ، وهو المقام المحمود الذي يكون به أفضل الأنبياء والرسل وأشرفهم على الإطلاق..

تقول الآية الكريمة: سبحان الذي، ولم تقل: سبحان الله!!:

وهناك سؤال يقول: لماذا قال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ﴾ ولم يقل: سبحان الله الذي، فيصرح بمتعلق التنزيه من خلال إضافة فعل الإسراء إليه مباشرة؟!

والجواب: أن هذا الإسراء الذي صنعه الله تعالى لرسوله يشتمل على مختلف شؤون التنزيه، وهو تجسيد مباشر لمعنى الألوهية والربوبية، بل هو تجليات

ومظاهر فعلية للصفات والأسماء، فلا تبقى حاجة للتصريح بالأسماء والصفات بعد هذه المشاهدات لتلك التجليات، التي لخصتها كلمة: ﴿حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾، و مضمون الآية نفسه يدل على ذلك.

إن هذا الإسراء -ليلاً- ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾، هو دليل القدرة غير المتناهية، وتجسيد لعظمة الخلق، والحكمة، والتدبير، والمعرفة، والعلم، والمالكية، والخالقية، وكل صفات الأفعال وصفات الذات.. وتأكيد على مالكية التصرف، وعلى صفة الحي القيوم، الذي لا يسهو ولا يغفل، ولا تأخذه سنة ولا نوم، إلى آخر ما هنالك.

فإذا كان هذا الإسراء في جزء يسير من الليل، فإنه -ولا شك- سوف يعطي النبي صلى الله عليه وآله من القوة وثبات القدم في المعرفة الدقيقة والعميقة لمعنى الألوهية والربوبية، وكل معاني الأسماء والصفات، بكل تجلياتها بصورة عينية، ومشاهدة تجسيدية..

إنه تسبيح وتنزيه بصورة التجسيد للمعاني التي يريد الله سبحانه لرسوله أن يصل إليها.

متى كان الإسراء؟!:

وقد كان الإسراء في أوائل البعثة.. وهناك من يقول: إنه كان قبل الهجرة بستة أشهر، أو بثمانية عشر شهراً، أو غير ذلك..

ولكن الظاهر هو: أن هذا الإسراء قد حصل بعد البعثة بسنتين أو ثلاث.. لأن هناك عدة أمور وقرائن تشير إلى ذلك.. من جملتها: أن السيدة الزهراء عليها السلام ولدت من ثمر الجنة الذي تناوله رسول الله صلى الله عليه وآله حال إسرائه إلى السموات العلى، والسيدة الزهراء عليها السلام إنما ولدت بعد البعثة بخمس سنين.

فإن قيل: إنها لم تولد من ثمر الجنة الذي أكل منه صلى الله عليه وآله حين الإسراء، بل من ثمر جاءه به جبرئيل عليه السلام من الجنة، فأكله صلى الله عليه وآله.. كما تدل عليه رواية رواها الصدوق رحمه الله.

قلنا: إن هذا يخالف التصريح الوارد في المروي عن الإمام الرضا عليه السلام[1]، وعن عائشة، وابن عباس، وسعيد بن مالك،

(١) راجع: الأمالي للصدوق ص٢٥٠ ومسند زيد بن علي ص٤٥٣.

وعمر بن الخطاب[٢].. من أن ذلك قد حصل حين الإسراء والمعراج..

وقد يقال: ربما يمكن الجمع بين الروايات: بأن أكله ﷺ من ثمر الجنة قد أثر في أصل وجود النطفة حين المعراج، ثم جاءه جبرئيل مرة أخرى أو أكثر ليطعمه من ثمر الجنة، لأجل شؤون أخرى ترتبط بسائر شؤون التكوين في نموه، ونشوئه وفق ما أراده الله سبحانه، لبضعة الرسول ﷺ، والزهراء البتول عليها السلام..

ونقول:

إن هذه الأحاديث تدل على أن المعراج كان في السنة الرابعة للبعثة. إلا إن كان تحوُّل التفاح إلى نطفة يحتاج إلى بعض الوقت، فيترجح بذلك القول الذي يحدد المعراج بالسنة الثالثة من البعثة.

وقد روي: أن الإسراء والمعراج قد تكرر في حياة رسول الله، وذكرت الروايات: أنه ﷺ قد مر في عودته على بيت المقدس، ووصفه لقومه، وأخبرهم بما حصل في الطريق لبعض القوافل، فكان ذلك سبباً لتصديق فريق، ودخلوا في الإسلام، ثم نكص من نكص على عقبيه وعاد إلى الكفر[٣].

وفي جميع الأحوال نقول:

لقد كان الإسراء في أوائل بعثة النبي ﷺ، وهي الفترة الأكثر حساسية وخطورة في حياة هذا الدين، حيث كان ﷺ في أشد وأصعب مواجهة بينه وبين قريش والشرك، وعبادة الأصنام.

فكان المعراج والإسراء، وكان هذا التنزيه ضرورياً في هذا الوقت، فإنه سبحانه وتعالى كان يريد أن يواجه رموز الشرك بهذا التنزيه الذي ينفي به عن ذاته المقدسة كل مظاهر وحالات النقص والضعف، والجهل، والحاجة، والفاقدية، وغير ذلك من حالات يواجهها ويعيشها الإنسان المشرك فيما يعبده من أصنام وأوثان، فيكون هذا التنزيه المؤيد بالمشاهدة للآيات تجسيداً للصفات التي تؤكد معنى الألوهية

(٢) تاريخ بغداد ص٨٧ ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ص٦٣ وميزان الإعتدال ج١ ص٣٨ وذخائر العقبى ص٤٣ ولسان الميزان ج٥ ص١٦٠ وينابيع المودة ج٢ ص٣١ ونظم درر السمطين.

(٣) راجع: الكافي ج١ ص٤٤٢.

والربوبية، والمسقطة للشرك المتمثل بعبادة الأصنام، من خلال هذا الإسراء بعبده، ليريه طرفاً من آياته، لأنه تعالى بهذه القوة والعلم، والحكمة، والإحاطة، والتدبير، قد صنع هذا الإسراء والمعراج لنبيهﷺ، ليلمس بنفسه هذا التنزه له سبحانه عن كل نقص وضعف، وجهل وحاجة، وغير ذلك مما يشاهده ويلمسه الإنسان المشرك في أوثانه وأصنامه..

إذن.. هذا الحدث الذي أكد رسول اللهﷺ للمشركين أنه صادق فيه، من خلال ما أخبرهم بهﷺ، كما حصل لبعض القوافل في الطريق.. الأمر الذي لم يجدوا معه بداً من البخوع له في كل ما يقوله ويخبر عنه من غيوب وآيات رآها في السماوات.. فآمن بهﷺ قسم منهم، وإن ارتد بعضهم على أعقابه بعد ذلك..

وكان الهدف من إخبارهم بهذه الحقائق الهائلة هو أن يفسح المجال أمام فكر وعقل الإنسان، لينطلق في الأفق الأرحب والأصفى.. لكي لا يحصر تفكيره بوثن، أو بصنم عاجز، فاقد لكل شيء، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً. إن هذا الإسراء إلى السموات العلى يعرِّف الناس كل الناس: بأن الله سبحانه وتعالى هو المالك للكون كله، والمهيمن على الحياة كلها، وأن له قدرة وعلماً، وحكمة، وتدبيراً، وغنى وكمالاً مطلقاً لا يتناهى، وليس شيئاً جامداً تجتمع فيه حالات الضعف والعجز والنقص.

وهذا يفتح أمامه آفاقاً جديدة من التفكير بالحياة وبنواميسها، وبعلاقة الإله بكل هذا الكون، وبعلاقة الإنسان بالإله أيضاً، ولا يمكن أن تكون القضية قضية جمادات تُعْبَدُ، وتقرَّب لها القرابين..

فظهر: أن للتسبيح والتنزيه فائدتين:

أولاهما: أنه يُظهِرُ نقص وسخافة كل ما يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى.

الثانية: أنه يُظهِر الكمال الإلهي اللامحدود واللامتناهي.

وهذا التسبيح يبطل ما يدعيه الجاهلون من تعدد الآلهة، فإن الشراكة تعني المحدودية والتناهي في كل شيء.

وهذا مما يتنزه الله تعالى أيضاً عنه..

كما أن هذا التنزيه يسهم في الحصول على ضوابط فكرية، وتوسيع آفاق الفكر

الإنساني، وترسيخ المنطلقات والقواعد التي تعين البشر على الوصول إلى الحقائق الراهنة، وتنتهي بهم إلى النتائج الصحيحة.

أما إذا بقي فكر الإنسان محبوساً في صنم أو حجر، أو شخص، أو أي مخلوق محدود، عاجز تافه، يعج بالنقائص والعجز والفاقدية والحاجة، فإنه سيبقى في دائرة هذا المحدود والناقص، ولا يجد سبيلاً للإنطلاق في الأفق الأرحب بفكره وفهمه للأمور، ولا يملك القدرة على الخروج بمعادلات صحيحة يمكن أن توصله إلى الحقائق والدقائق في هذا الكون الرحيب والعجيب.

ثم إن صيغة المبالغة في كلمة ﴿سُبْحَٰنَ﴾.. إنما تكون مبالغة إذا كانت تحكي اللامحدود واللامتناهي، فهي إشارة إلى إطلاق المعاني عن القيود والحدود التي يضعها العقل البشري لتصوراته لتكون مانعاً له من الإمتداد والإنطلاق في الأرحب من الآفاق..

فصيغة المبالغة عند البشر تبقى قاصرة عن حيازة المعاني الحقيقية اللامتناهية واللامحدودة في إطلاقها.

لماذا التسبيح العملي؟!:

ويبقى سؤال، وهو: لماذا كانت أداة التنزيه عملاً عينياً خارجياً هو هذا الإسراء.. ولم يكتف فيه بمجرد إطلاق التسبيح للذات الإلهية؟!.

الجواب: هو أن الله تعالى حين يعالج أمور العقيدة يُحوّل الشأن العقائدي من أمر نظري فكري وحالة تصورية تجريدية ـ يحوله ـ إلى شأن عملي حيوي، يلمسه الإنسان ويعيشه، ولذا نراه يرسخ التنزيه للذات الإلهية من خلال تجسيد الكمال في فعل وممارسة واقعية. وهنا قد جسّد الله معنى الكمال المطلق واللامتناهي، واللامحدود الإلهي في العلم والحكمة، والقدرة، والحياة، والقَيُّومِيَّة، وفي كل صفاته وأسمائه تعالى.. جسده لرسوله بأمر عملي يراه ويحس به.

وتحويل الشأن العقائدي إلى شأن حياتي عملي، هو نهج قرآني عام، لا يقتصر على هذا المورد، بل يشمل جميع الشؤون، فهو لا يحدثك عن أي إشكال عقلي تصوري محض يلزم من تعدد الآلهة، وإنما يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ

﴿لَفَسَدَتَا﴾.. فقد تحدّث عن الفساد والخلل الذي تلمسه وتراه، وتشعر به، وتنظر إليه، أو تسمع به، وتحسه بحواسك وتتعامل معه بجوارحك.. ولم يستدل بحاجة الإله إلى المكان، ولم يستدل بالدور أو بالتسلسل، أو بأي لازم عقلي تصوري تجريدي، بل هو يعمد إلى ما هو ذهني وعقلي وفكري فيحوله إلى أمر ملموس تشعر بأنه جزء من كيانك وحياتك، من حيث هو يوجب فساداً، أو صلاحاً، تستقيم به الأمور، أو تصاب بالإختلال والفساد.

فالتوحيد والنبوة، والآخرة، والبداء، وما إلى ذلك، إذن.. لم تعد مجرد معادلة فكرية ذهنية تجريدية لا ربط لها بالواقع.. بل هي أمور عينية خارجية، يفترض بالإنسان أن يتعامل معها سلباً أو إيجاباً..

الباء.. لماذا؟!:

وكلمة أسرى وإن كانت قد نسبت الإسراء إلى نفسه تعالى. وأنه هو الذي فعل الإسراء. ولكنه لم يقل: أسرى عبده. بل قال: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ فهذه الباء تدلنا على أن ثمة شيئاً سخره الله عز وجل لينقل هذا العبد من مكان إلى مكان. والسُّرى: هو السير في الليل، أو في آخره. كما تقدم.

فيأتي هنا السؤال عن الحاجة إلى هذا الشيء، الوسيلة، مع أنه كان يمكن أن يُسرِيَهُ هو تعالى مباشرة، وبصورة تكوينية، بفعل كلمة «كن»، فما الحاجة إلى اعتماد أسلوب الوسيلة هنا في أمر داخل كله في دائرة الإعجاز؟!.

ونجيب:

بأن هذا الإسراء، وإن كان معجزاً، وخارقاً للعادة، ولكن الأمر الأهم والأولى بالتأمل والإعتبار هو أنه جار على وفق السنن الطبيعية التي أودعها الله تعالى في الكون.. والتي ظهر من هذه الآية وسواها أن هذه السنن ذات مراتب من حيث القوة والتأثير في الأشياء، وحتى في بعضها البعض، فيمكن قهر سنة بأخرى، كما أثبتته التجارب لنا.. فمثلاً: قانون الجاذبية يجعل للأجسام ثقلاً يتناسب مع قوة الجاذبية: بدليل أن وزن الشيء الواحد إذا كان على القمر مثلاً يكون أقل بكثير من وزنه إذا كان هو نفسه على الأرض، لقوة الجاذبية هنا، وضعفها هناك. وقانون الجاذبية نعمة إلهية، لأن هذا التماسك على

وجه الأرض هو الذي يعطي الفرصة للإنسان ليخطط ويعمل، وليتوقع ويأمل.

وهذه الجاذبية وإن كانت تمنع من الطيران، إلا أن بالإمكان التغلب عليها بالاستفادة من قانون آخر يقهرها، حتى تتمكن الأجسام الثقيلة من الطيران. كما أن القانون الطبيعي يقتضي أن يغوص الجسم الثقيل في الماء، ولكن يمكن معالجة هذا الأمر بالاستفادة من قوانين أخرى أيضاً، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٤]. أي كالجبال..

وهكذا الحال فيما يرتبط بتحول الجسم إلى طاقة حين تعرضه للسرعة الهائلة، فلكي يبقى الجسم متماسكاً في الإسراء نحتاج في قطعه لهذه المسافة التي لا ينالها وهمنا إلى ما يحميه من التلاشي.. والله هو الذي يعرف ذلك الناموس، أو القانون الحامي الذي لو استفيد منه لأعطى هذه النتيجة.

وعلى كل حال، فإن لكل مرحلة سننها وقوانينها الحاكمة عليها والمناسبة لها. والتي تجعل لدى من يخضع لها استعداداً للدخول إلى المراحل الأرقى. كما أنها تجعله في مأمن من سلبيات المراتب الأدنى منها.

وهذه النواميس المختلفة، المتأثرة بعضها ببعض قد تكون قريبة سهلة المنال. يجد الإنسان مبادئها حوله وفي متناول يده.. فيرى الطائر يطير، ويرى بعض الأجسام الثقيلة لا تغوص في الماء.. فيدرك إمكانية التغلب على السنة التي تفرض الإلتصاق بالأرض، والغرق في الماء، فيتخذ منها مبدءاً لانطلاقته في تطوير هذه الظاهرة، وفقاً للإمكانات المتوافرة لديه..

وتوفير هذه المبادئ من حوله كان يشير إلى أنه تعالى يريد أن يفتح أمامه أبواباً من الطموح، ويثير فيه توثباً إلى المعرفة، وشغفاً باستكناه أسرار هذا الكون الرحيب والعجيب. فهي بمثابة دعوة لجميع الخلق للتعرف على أسرار هذا الكون، والتأمل العميق في مساره..

ولتكن عظمة هذه السنن، وسائر ما جرى في هذا الإسراء من أسباب لمح طرف من عظمة الله، وقدرته، وعلمه بمخلوقاته، وتصرفه وتدبيره إياها وهيمنته عليها، وسائر ما يرتبط به أو يشير إليه..

وهذا يعطي: أن هذه الباء تسهم إسهاماً عظيماً في الدلالة على عمق وشمولية، وعظمة التنزيه الذي بدأه تعالى في الآية بقوله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ﴾.

وهذا ينقلنا إلى مفاهيم أخرى لها قيمتها، وحساباتها أيضاً، وهي أنه تعالى لم يتعامل مع هذا الأمر من موقع ألوهيته، فيُسري هو عبدَهُ بتصرف تكويني قاهر ومباشر يبطل معه تأثير السنن، وتتعطل النواميس التي أودعها في الكون.. بل تعامل مع هذا الأمر من خلال تحريك السنن التي أوجدها، وإيكال الأمر إلى مخلوقاته التي كونها، إنما أراد أن يشير بذلك إلى أمرين:

أحدهما: أن يظهر لخلقه طرفاً من علمه، وقدرته، وتدبيره وحكمته، وسائر صفاته..

الثاني: أنه تعامل مع هذا الأمر من موقع التدبير والعلم، وسائر صفات الربوبية، وآثر أن يبقى معنى الألوهية على عظمته وجلاله، ربما ليدل الناس على أنه أعظم من أن يناله بشر، أو أن يحيط به إدراك مخلوق. إذ لو أن الله سبحانه تصدى لهذا الحدث من موقع ألوهيته، وفرضه تكويناً. فلربما يتوهم بعضهم: أن هذه هي حدود العظمة الإلهية، وهي الغاية والنهاية.

أما هذا التعامل الرباني، فإنه يفرض على المخلوقات أن يدركوا أن مَنْ خَلَقَ هذا الكون بما فيه من سنن قادرة وقاهرة، ونواميس هائلة، لا يمكن إدراك معنى ألوهيته بحال من الأحوال.

هذا هو مقتضى الحال:

وهنا سؤال ربما يراود الذهن عن سبب اهتمام هذه الآية بالتأكيد على خصوص التنزيه الإلهي دون سواه، فضلا عن الإشارة إلى المعاني والإشارات الأخرى في هذا السياق.

ونجيب:

بأن المقام هو مقام إظهار هذا التنزيه بالذات، لأنه تعالى يريد أن يخص هذا النبي الكريم والعظيم بالمزيد من التشريف والتكريم، وبمنحه المزيد من القوة والثبات والصلابة، والسعة في العلم والمعرفة، ورسوخ القدم في التوحيد، والإشراف

على جانب كبير من أسرار هذا الملكوت.. لأن يُرصِدَهُ لمواجهة أصعب المهمات، وأعظم الإنجازات في سياق إيصال هذا الكون كله إلى كماله المنشود، الذي يحتاج إلى ترشيد الدور الإنساني فيه من خلال ترسيخ معنى التوحيد في النفوس، لأن الناس -عادة -بعيدون عن الغيب، وهو محجوب عنهم، فلا يلتفتون إليه، ولا يعتمدونه، بل ينصرفون الى التعامل مع ما هو محسوس، أو مع القريب من المحسوس، وهم يظنون أن لديهم قدرات فائقة، وأن بإمكانهم أن يصلوا إلى مرادهم بجهدهم، وبقدراتهم العقلية والجسدية، وبما يملكونه من وسائل وحنكة ودهاء..

فإذا حصلوا على أي نفع نسبوه إلى أنفسهم، ولا ينسبونه إلى المعطى الحقيقي وهو الرب الكريم، والقادر العليم، والمدبر الحكيم.. ولأجل ذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١٠٦].

ولا يختص هذا الشعور بفريق بعينه، فحتى المدَّعون للإيمان يتعاملون مع الأمور تعامل المشركين، في أفعالهم وسعيهم، وفي ظنونهم، وما يدور في قرارة أنفسهم.

بل قد ترى الإنسان الذي يسعى لشفاء مريضه، أو لحل مشكلته، أو للحصول على رزقه. تراه حين يلتجئ إلى الله لا يثق بأنه سيعطيه، إما لمعرفته بعدم استحقاقه لما يطلبه، أو لأنه لا يملك الإيمان الكافي بأنه تعالى هو المعطي.

ومع ذلك فإنه حتى إذا أعطاه.. تجد أن في لحن كلامه، وفي طيات حديثه إشارات إلى معنى الجحود والإنكار، وهضم شيء من الحقيقة لمصلحته.. حين تراه يجعل من هذا العطاء كرامة من الله، أو لأنه نتيجة إخلاصه، وحسن سريرته..

وهيهات أن يرضى بنسبة شيء لله سبحانه بصورة خالصة من دون أن يكون له نصيب منه، مع أنه يرى نفسه مغموراً بالنعم التي لا تحصى، والتوفيقات التي لا تجارى.. حقاً: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ و ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

﴿ ٱلَّذِىٓ ﴾:

وقد قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾، ولم يقل: سبحان من أسرى، بالرغم من أن كلمة (من) تستعمل

للعاقل. و(ما) لغير العاقل..

ولعل سبب اختيار كلمة «الذي» على ما عداها، هو أنها لا نظر فيها إلى أية خصوصية، وإنما تظهر خصوصيتها بالصلة التي بعدها.. فكأنه تعالى يريد أن يدل بهذه الصلة نفسها على جميع صفات الله من العلم والحكمة والقدرة، والتدبير، وغيرها.. لأن المطلوب هو الإشارة ليس إلى صفة واحدة، بل إلى جميع صفاته تعالى.. وأن يكون ذلك بمثابة الدعوى مع دليلها.

ولكنه ليس دليلاً قولياً، وإخباراً لسانياً عن غائب، بل هو دليل محسوس، ومشهود، وملموس. يعطي الشاهد معرفة لها تأثيرها الذي لا يجارى في مضاعفة القوة والاندفاع الحاسم للإنقياد والطاعة، ومواجهة الصعاب.

وتنقل هذا العارف إلى مقامات بالغة السمو، وتؤهله لأوسمة، ولمسؤوليات أسمى وأعظم، وأجلّ وأفخم من كل ما عهدناه، أو سمعنا عنه.

فظهر: أن هذه الآية بما لها من فعل إعجازي هائل يرتبط بالنفوذ من السماوات في هذا الإسراء، أو في إسراء آخر أشير في سورة النجم إلى أنه ﷺ قد وصل إلى سدرة المنتهى، تلتقي ولو بصورة جزئية - أي في بعض مراحلها، ومن بعض وجوهها - مع قوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ﴾.

حجم السماوات:

١. ثم أن عظمة وأهمية هذه الآية -آية الإسراء -تظهر إذا ألقينا نظرة على سعة السماوات من منظور قرآني، ففي الآيات: أن هناك سبع سماوات، وفيها أيضاً: إن هناك سماء دنيا، وسماوات عُلا..

وفي بعض الروايات: أن السماء الدنيا -وهي الأقرب والأدنى إلينا- وأنها إذا قيست إلى السماء الثانية فهي كحلقة ملقاة في فلاة..

والسماء الثانية بالنسبة للثالثة كحلقة ملقاة في فلاة..

والثالثة في الرابعة كذلك، وهكذا الحال بالنسبة للرابعة في الخامسة،

والخامسة في السادسة، والسادسة في السابعة، والسابعة في العرش، والعرش في الكرسي[٤].

٢. وإذا رجعنا إلى الآيات القرآنية أيضاً، فسنرى أنها أشارت إلى أن سعة السماء الدنيا غير قابلة للتصور، فما بالك بالسماوات الأخرى، فقد قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾.

وفي آية أخرى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾.

مما يعني: أن كل هذه النجوم التي نراها، وهي لا تعد ولا تحصى، إنما هي زينة للسماء الدنيا، ونحن نعلم: أن وصول ضوء بعض النجوم إلينا يحتاج إلى الكثير من السنين الضوئية، عشرات، أو مئات، أو آلاف، في حين أن نور الشمس التي تبعد عنا نحو من مئة وخمسين مليون كيلومتر لا يحتاج ضوؤها ليصل إلى الأرض إلى أكثر من ثمان دقائق.

علماً بأن سرعة النور هي حوالي ثلاث مئة ألف كيلو متر في الثانية.

وهذا يشير إلى مدى سعة ورحابة السماء الدنيا.. فإذا كانت بالإضافة إلى السماء الثانية بمثابة حلقة ملقاة في فلاة.. والثانية في الثالثة كذلك.. وهكذا إلى آخر السلسلة، فهل يمكن للعقل البشري تصور حجم السماوات السبع كلها؟! فما بالك بالوقوف على أسرار هذا الكون، ودقائقه؟!.

مع أن الآية التي في سورة الرحمن تريد أن تثير في الإنسان الطموح إلى الخروج من أقطار السماوات والأرض كلها إلى عالم أوسع وأرحب.. حيث وضعت أمام البشر إمكانية حصول ذلك.. وحددت لهم طبيعة العوائق والموانع التي تعترض طريقهم، وكأنها تشير إليهم بلزوم الإعداد لمشروع كهذا، والعمل على إيجاد الوسائل التي تمكنهم من تحقيقه والتغلب على هذه العوائق.

وهذا يدفع التصور الذي يقول: إن هذه الآية جاءت على طريقة: أن فرض المحال ليس بمحال. بهدف إظهار ضعف

(٤) راجع: الكافي ج٨ ص١٥٣ و ١٥٤ والتوحيد للصدوق ص٢٧٦ و ٢٧٧ ونور البراهين ج٢ ص٩٤ ـ ٩٨ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص٣٦٤ و ٣٦٥ وبحار الأنوار ج٥٧ ص٨٣ و ٨٤ وراجع: ج٢٥ ص٣٨٥.

وعجز الإنسان أمام قدرة الله تعالى، فهي نظير قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[سورة الأنبياء: ٢٦].

وقريب منه قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[سورة الزمر: ٦٥].

فإن هذا غير صحيح، لأن بيان المانع من النفوذ هو بيان لأمر واقعي. كما أنه قد أشار إلى أن من الممكن امتلاك القوة والسلطان الذي يسهل هذا النفوذ.

ثم جاء الإسراء النبوى الذي أشارت الآية إلى اعتماده الوسائل والسنن في قطع المسافات الهائلة، والتغلب على الموانع، ليكون التطبيق العملي لهذا الأمر، ولكنه لم يقتصر على السماوات، بل بلغ في بعض إسراءاته ـ كما أشير إليه في سورة النجم ـ إلى سدرة المنتهى..

فظهر: أن الباء في قوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾ تريد أن تفتح أمام الإنسان نافذة على السنن التي أودعها الله في الكون لنتطَّلعَ إليها، ونفكر فيها، ونتعامل معها، ونسعى إلى تذليلها، والهيمنة عليها، والإستفادة منها.. ونجعل منها سُلَّماً إلى ما هو أرقى وأسمى.

وليس المراد إبقاء الإنسان في دائرة الإنكفاء والإنطواء، والعجز.

مقام العبودية:

إن العبودية لله هي أعلى مقام يصل إليه الإنسان، وقد قالﷺ: «أفلا أكون عبداً شكوراً»، ونقول في الصلاة مرتين: «أشهد أن محمداً عبده ورسوله».

فذكر صفة العبودية أولاً، ثم ثنى بالشكورية، والرسولية.. ربما لأن العبودية هي التي أهَّلته للرسولية، وللشكورية..

وهكذا يقال في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ﴾[سورة ص: ١٧].

وقال عن امرأتي لوط ونوح: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ﴾[سورة التحريم: ١٠].

فوصفهما بأنهما عبدان من جملة جماعة عباده، ووصفهما بالصلاح الذي يعني أن الصالح متناسب مع محيطه، ومنسجم معه، ولا يوجب وجوده فيه أيَّ خلل أو فساد، لا في الشكل، ولا في المضمون.. فالإنسان الصالح متناسب مع طبائع الناس، ومع أفكارهم وفطرتهم، ومع الهواء والفضاء، وكل شيء له ارتباط به.. وصلاح الأنبياء

ناشئ من عبوديتهم الخالصة لله، حيث يكونون وفق مراده تعالى في كل شيء.

وللعبودية مراتب، من حيث درجات التذلل والخضوع أمام المولى، إلى حد أن يمحو نفسه بصورة تامة.

العبودية غاية الخلق:

وإذا رجعنا إلى الآيات القرآنية مرة أخرى، وقرأنا قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]. فسنلاحظ: أنها دلت على أن غاية الخلق هي العبادة التي تعني الخضوع المطلق، والطاعة والإنقياد.

وهذا إنما يكون نتيجة معرفة الإنسان نفسَهُ، فيضعها في موقعها اللائق بها.. وهذه العبودية هي التي توصل الإنسان والكون إلى كماله.. ولأجل ذلك كانت هذه العبودية هي القيمة الكبرى والوسام الأعظم الذي يمنحه الله تعالى انبياءه، وهي المنشأ والأساس للنعم الإلهية عليهم، وهي نابعة من عمق ذات، ومن روح هذا النبي الكريم، وليست أمراً عارضاً عليه[٥].

ويبقى سؤال: لماذا لم يقل: أسرى بنبيه، أو برسوله. بل قال: ﴿بِعَبْدِهِ﴾؟! فإن مقام النبوة والرسولية يستحق التنويه به.

ويمكن أن يجاب:

بأنه لو اختار هذه العبارة لانعكس المعنى الذي يراد توجيه الأنظار إليه، والدلالة عليه، لأنه لو قال اسرى بنبيه أو برسوله، فلربما يتخيل بعض الناس: أن هذا الإسراء، ليس لأجل أنه مؤهل لنيل هذا المقام، بل لأن الله تعالى تفضل عليه به، لاقتضاء مقام النبوة أو الرسولية له.. لاحتياج هذه النبوة والرسولية إلى ربط الناس بالغيب وإقناعهم به، والتعامل معهم من خلاله وعلى أساسه فيمنحه الله هذا الإسراء، لأن مهمته تحتاج إليه، ومقامه يقتضيه.

فجاءت كلمة: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ لتقول: إن نفس عبوديته لله التي فاقت كل عبودية هي التي أهلته لهذا العطاء.. على أنه لو كان هذا الإسراء من شؤون مقام النبوة والرسولية لوجب أن يفعله الله بجميع الأنبياء والرسل، من آدم عليه السلام إلى النبي الخاتم صلى الله عليه وآله.

(٥) من عرف نفسه، فقد عرف ربه.

بل إنه إذا كانت هذه العبودية الخالصة جداً، والتي بلغها رسول الله ﷺ قد أثمرت تسخير السنن الكونية للرسول، فإن فعل الإسراء، والتسلط على النواميس، والتصرف في السنن يصبح مقدوراً وميسوراً لمن بلغ هذه المراتب السامية، التي لم يصل إليها إلا النبي الخاتم، وأوصياؤه «صلوات الله عليه وعليهم أجمعين».

الإسراء بالروح أو بالجسد أيضاً:

وقد حاول بنو أمية، وكذلك عائشة بنت أبي بكر إنكار أن يكون الإسراء بالروح والجسد معاً، ورووا عن عائشة أنها قالت: ما فقدت جسد رسول الله ﷺ قط -يعني في تلك الليلة -[٦].

بل زعموا: أنها مجرد رؤيا صادقة رآها رسول الله ﷺ[٧].

والجواب:

أولاً: بالنسبة لما روي عن عائشة نقول: إنّها لم تكن حين الإسراء في بيت الرسول ﷺ، لأنه إنما تزوجها، وانتقلت إلى بيته بعد الهجرة.

والإسراء كان في أوائل البعثة.. وحتى لو كان في السنة الثانية عشرة من البعثة، فإنها أيضاً لم تكن في بيت الرسول. فما معنى استدلالها على دعواها بقولها: ما فقدت جسد رسول الله قط؟!.

ثانياً: لو أغمضنا النظر عن ذلك، فإننا نقول:

إن هذا الإسراء قد تم بمجموعه في مدة يسيرة من الليل، فهل هي لم تنم تلك الليلة، ولو بمقدار يسير جداً؟! ولماذا بقيت مستيقظة الليل كله؟!.

ثالثاً: إن كلمة: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ تدل على أن الإسراء بالروح والجسد، ولو كان الإسراء بالروح فقط لقال: «أسرى

(٦) تاريخ الخميس ج١ ص٣٠٨ والمواهب اللدنية ج٢ ص٢ وبحار الأنوار ج١٨ ص٢٩١ والدر المنثور ج٤ ص١٥٧ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج١ ص١٨٧ وتفسير الميزان ج١٣ ص٢٤.

(٧) جامع البيان للطبري ج١٥ ص٢٢ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٢١١ وتفسير القران العظيم ج٣ ص٢٥ والدر المنثور= =ج٤ ص١٥٧ وتفسير الميزان ج١٣ ص٢٣ و ٣٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٣ ص١٤١ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٠٥.

بروح عبده». لأن كلمة العبد تطلق على الإنسان بما هو روح وجسد.

ومهما يكن من أمر، فإن بني أمية كانوا حريصين على إنكار ميزات رسول الله ﷺ، والتشكيك بفضائله الكبرى، وكانوا يسعون لإخماد ذكره ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.. وقد روى الرواة عن معاوية أنه لما سمع المؤذن يقول: أشهد محمداً رسول الله قال ما معناه: لله درك يا ابن أبي كبشة ما رضيت إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين ينادى باسمه كل يوم خمس مرات..

فلما سئل عن ذلك ذكر أن أبا بكر وعمر وعثمان لم يصنعوا شيئاً، بل حين هلكوا هلك ذكرهم.. إلى أن قال عن ذكر رسول الله ﷺ: لا والله إلا دفناً دفناً[٨].

فلا عجب بعد هذا إذا رأينا بني أمية يزعمون أن الإسراء والمعراج مجرد رؤيا صالحة.

إنكار معجزات الرسول!!:

وهناك من لا يتجرأ على الجهر بإنكار معجزاته ﷺ، فيحاول الإلتفاف على هذا الأمر، فيقول: إنه لا يقبل بالمعجزات إلا إذا كانت منسجمة مع الأمور الطبيعية، فإذا كان جسد الإنسان لا يمكن أن يسير بسرعة هائلة يقطع فيها آلاف الأميال في وقت يسير، لأنه سوف يتلاشى ويتحول إلى طاقة، فلا بد من القول: بأن للإسراء معنى قابلاً للإنسجام مع هذه الحقيقة: كأن يقال: إنه كان بالروح، فقط لكي لا يواجه مشكلة تلاشي الجسد بسبب السرعة الهائلة.

ونقول له:

إذا كان البشر القاصرون قد استطاعوا أن يخضعوا كثيراً من السنن الطبيعية، فسيَّروا الطائرات الضخمة، وخرجوا

(٨) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٩ ص٢٣٨ و (ط دار إحياء الكتب العربية) ج٥ ص١٢٩ و ١٣٠ وكشف الغمة ج٢ ص٤٥ و ٤٦ وبحار الأنوار ج٣٣ ص١٦٩ و ١٧٠ ومروج الذهب ج٣ ص٤٥٤ و (ط أخرى) ج٢ ص٣٤١ والموفقيات للزبير بن بكار ٥٧٦ ـ ٥٧٧ والنصائح الكافية ص١١٦ وموسوعة التاريخ الإسلامي ج١ ص٤٧ و ٤٨ وكشف اليقين ص٤٧٤ و٤٧٥= =وقاموس الرجال ج٩ ص٢٠ وج١٠ ص١١٠ وبهج الصباغة ج٣ ص١٩٣ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٨٨ و ٨٩.

من فضاء الأرض، واخترقوا الفضاء ووصلوا إلى القمر والزهرة والمريخ. فهل يعجز سبحانه أن يهيء لعباده المكرمين وأنبيائه المرسلين الوقاية من التحول إلى طاقة بسبب السرعة؟! أم أن البشر أعرف منه تعالى بأسرار الطبيعة، وبكيفيات إخضاع نواميسها لإرادتهم. وتسخيرها لأغراضهم؟!.

الإسراء بالليل:

وحول قوله تعالى: ﴿ لَيْلًا ﴾ نقول:

قال المفسرون: المراد: أن تمام الإسراء، ذهاباً وإياباً قد حصل في الليل. ولو أنه حذف كلمة ليلاً، وقال: «أسرى بعبده لنريه من آياتنا» لدل على أن بدء السير كان في الليل، لكن لم يعلم متى كان انتهاء ذلك الإسراء أفي الليل، أم في النهار، في اليوم التالي، أم بعد أيام قليلة، أو كثيرة ـ كل ذلك محتمل ـ فهو كقولك: أدلجوا في طلب عدوهم.. فإنه لا يدل على زمان وصولهم إلى ذلك العدو..

لماذا لم يكن بالنهار؟!:

وقد يسأل سائل عن سبب اختيار الليل لهذه الرحلة العظيمة والهائلة!! ولماذا لم تكن في وضح النهار؟!.

ويمكن أن يجاب:

بأن ذلك لو حصل نهاراً أمام أعين الناس، فلربما فتح ذلك باب الاتهام بالسحر، وأن سببه هو التخييل والتأثير على الباصرة، كما حصل ذلك بالنسبة لموسى عليه السلام، حين دعا فرعون إلى الإيمان بالله الواحد، فطالبه فرعون بآية: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾[سورة الأعراف: ١٠٧ -١٠٩].

فإنه زعم للناس: أن هذا كان من السحر.

ولأجل ذلك حصل الإسراء ليلاً، وفي الخفاء، فسدَّ بذلك باب التقوُّل، والتماس الحيل لإبطال أقواله عليه السلام.. ثم صار عليه السلام يخبرهم بما دلهم على صدقه.. فآمن له جماعة من الناس في مكة نتيجة لذلك..

كما أنهم حين يرونه قد غاب عن أنظارهم بعد مسافة معينة، قد يجادلون في أن يكون قد بلغ السماوات العلى حقاً وصدقاً أم لم يبلغها، وقد يظنون أنه تغيب

في بعض الشعاب أو خلف الجبال.. أو نحو ذلك.

ثانياً: إن المطلوب من الإسراء والمعراج ليس هو مجرد إراءتهم قطع المسافات الطويلة بصورة إعجازية، بل المطلوب هو إراءة الله الآيات لنبيه ﷺ، لمصلحة تعود إليه ﷺ في نفسه وشخصه..

والمطلوب بعد ذلك: هو أن يخبرهم بهذا الإسراء، ويثبت لهم حصوله بأي طريق من طرق الإثبات، ولو لم يكن للإسراء فيه نصيب أو دور.

لأن الغرض: هو ربط الناس بالغيب، لا مجرد إقناعهم بقطع المسافة.. بل لعل توجيه أنظارهم إلى المسافة، وإثارة الجدل حولها تصديقاً أو تكذيباً يصرفهم عن الهدف الأساس، وهو فتح أبواب الغيب أمامهم، وإشاعة الثقافة الغيبية، فيما بينهم.

كما أنه لو أسرى به نهاراً أمام أعينهم وعاد إليهم بعد ساعة أو ساعتين، فإنهم سيكذبونه في هذا الأمر على أساس أن الساعة والساعتين لا تكفي لقطع هذه المسافات الشاسعة، لا سيما وأنهم إنما يتعاملون مع الأمور لا من موقع وعي المعجزة، بل من واقع ما يعيشونه ويدركونه بوسائلهم القاصرة والمحدودة..

من أين؟! وإلى أين؟!:

ثم إن هذا الإسراء إنما كان من مسجد إلى مسجد، فالمبدأ هو المسجد الحرام، والمنتهى هو المسجد الأقصى.. وفي الروايات: أن المراد بالمسجد الأقصى هو مصلى الملائكة في السماء. سنذكره، ونذكر ما يدل عليه. كما أشرنا إليه فيما سبق.

بين المسجدين:

وقبل أن نتعرض لبعض الكلام حول هذا الموضوع نلفت النظر إلى أن هذا الإسراء، قد بقي بين مسجدين، ولم يخرج الله تعالى نبيه من المسجد إلى غير المسجد، بل أخرجه إلى مسجد ثم أعاده إلى المسجد مرة أخرى..

أي أن هذه الرحلة الكونية، التي تكشف بعض الغوامض والأسرار الكونية له ﷺ هي في سياق عباديّ وعبودي من بدايتها إلى نهايتها.

وملاحظة أخرى هنا، وهي: هذا التناسب التام بين خصوصية المسجدية، وخصوصية العبودية والعبادية.. لا

سيما وأن المسجد هو الذي يعلن عبودية الإنسان ويجسدها على شكل عبادة ظاهرة، وحية وملموسة..

وإن العبودية لله والإنصهار فيها يساوق السمو في أبهى معانيه، وأعظم تجلياته. وأن السجود في المسجد هو عروج إلى الله، وفق ما ورد: الصلاة معراج المؤمن[٩].

بقي أن نشير إلى أنه سبحانه لم يشر إلى العودة من المسجد الأقصى إلى الموضع الأول، ربما لأن شاهد الحال يقضي بحصول هذه العودة، فذكره يصبح تطويلاً ممجوجاً، لأنه تطويل بلا طائل.

الإشارة إلى جهة البعد فقط:

ثم إنه تعالى قد بدأ بالمسجد الحرام، وانتهى بالمسجد الأقصى الذي تقول الرواية: إنه في السماء.. فأشار إلى جهة البعد بكلمة «الأقصى»، ولم يصف المسجد الحرام بـ «الأدنى» بل اكتفى بذكر خصوصية أخرى فيه، جليلة وجميلة، وهي أنه «حرام».

فهل تجد لهذا من سبب؟!.

ونجيب:

أولاً: إن كلمة «الأقصى» نفسها تستبطن الإلماح إلى أن بدء الإسراء كان من مسجد لا يتصف بالبعد. بل يتصف بما يقابله، فلا تبقى حاجة إلى ذكر أي وصف آخر..

ثانياً: إن شاهد الحال يعطي: أن مبدأ الإسراء إنما يكون من موضع قريب من مكان الشخص الذي سيكون الإسراء به.

ثالثاً: يضاف إلى ما تقدم: أن تحديد المسجد الذي حصل الإسراء منه بواسطة كلمة «الحرام» كاف في إفادة معنى القرب، لأن المقصود بكلمة الأدنى والأقصى هو تحديد الموقع، وقد حصل هذا التحديد بصورة أوفى وأتم، بالتصريح بالاسم والوصف، فيصير ذكر كلمة قريب وبعيد، بعد هذا التحديد الدقيق والأكيد بلا جهة،

(٩) مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٣٤٣ وإعتقادات المسلمين للمجلسي ص٢٩ والحكم الزاهرة ج١ ص٢١١ عن شرح الباب الحادي عشر ص٨٩ وتسديد الأصول ج١ ص٦١ وسر الصلاة أو صلاة العارفين (ط مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني-طهران سنة ١٩٩٥م) ص٥٦.

بل هو من فضول الكلام.

رابعاً: إن التحديد لموضع الإسراء بأنه من ﴿الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ أفاد معنى آخر غير معنى قرب المسافة، وهو معنى الحرمة والكرامة والتشريف والخصوصية لموقع الإبتداء. والقاعدة تقول: إن التأسيس لمعنى جديد أولى من التأكيد.

من أين كان الإسراء؟!:

ويبقى هنا سؤال يقول: تصرح الآية المباركة: بأن الإسراء كان من المسجد الحرام.. فكيف نفهم الرواية التي تقول: إنه ﷺ أسري به من بيت أم هاني؟! أخت أمير المؤمنين؟!.

ويجاب:

بأنه لا مانع من أن يكون ﷺ قد بات في بيت أم هاني، ثم أوحي إليه ﷺ أن الإسراء به سيكون من المسجد الحرام فخرج إليه. فبدأت رحلة الإسراء بوسائله الخاصة به من المسجد..

أما مسيره ﷺ من بيت أم هاني إلى المسجد، فكان سيراً على الأقدام ومن دون الإستفادة من أية وسيلة غير عادية..

وهذا الجواب أولى من القول: بأن الحرم يشمل مكة وسواها مما جاورها، فالإسراء من أي مكان فيها هو إسراء من الحرم. فيصبح إطلاق كلمة المسجد الحرام على المجموع على سبيل التوسع. كما يقال: فلان سار من مكة إلى المدينة، وهو إنما سار من نقطة واحدة منها..

وفائدة هذا التوسع هو منح مكة خصوصية تكريمية، من حيث التنصيص على حرمتها تبعاً لحرمة المسجد الموجود فيها.

وهذا الجواب يحتاج إلى توسع وادعاء، والجواب الذي ذكرناه أولاً منسجم مع الإستعمالات الحقيقية للكلمات.

لماذا مسجد؟! ولماذا حرام؟!:

ومن المعلوم: أن هذا هو المسجد الوحيد الذي يوصف بالحرام في الإسلام.. وهذه الخصوصية له تبين أنه يختلف في شرفه وفضله وعظمته، وحرمته عند الله عن سائر المساجد..

وكأن إطلاق هذا الوصف على المسجد نفسه يهدف للدلالة على شدة حرمته، وشمولها لكل حرمة، فهو من قبيل (زيد عدل)..

وهذا هو المناسب لهذا الإسراء الذي يحمل في ثناياه ما يشير إلى كل الصفات والأسماء، وسائر ما له من ارتباط بمعنى الألوهية والربوبية، ليسهم ذلك في تأكيد وترسيخ معنى العبودية في عمق ذات عبده الذي يريد أن يريه من آياته، لأن العبودية الحقة والمطلقة تستبطن رعاية جميع الحرمات، والإلتزام بجميع الطاعات. والعبادة الخالصة المحضة هي السجود.

فالإنطلاق إنما كان من موقع يجسد أقصى حالات العبودية، إذ لا يجسد شيءٌ العبوديةَ أقصى من تجسيد السجود لها، لأنه عبادة ذاتية، وهو التجلي للعبادة بأقصى حالاتها قصد ذلك فاعله أو لم يقصد.

إن هذا المسجد يخرج الخضوع من دائرة الشعور القلبي، ليصبح واقعاً حياً ملموساً بهذا السجود. ولذا كان الإسراء من المسجد الذي هو موضع السجود الذي لا يمكن إلا أن يكون عبودية وعبادة في كل حال.

إنه يُسرى به من هذا المسجد المستجمع لأعظم الحرمات.. إلى مسجد آخر هو مصلى الملائكة، لكي يبقى يعيش هذه الحالة فيه من خلال ما يريه الله إياه في سفر عبودي سجودي خالص لله.

ولهذا المسجد حرمات لا بد من حفظها من كل تعد وهتك، من قبل أي كان من الناس، ولا يختص الأمر بحرمة دون حرمة، بل يجب حفظ جميع حرماته على أنواعها.

وبعبارة أكثر تفصيلاً نقول:

قد يكون الداعي للخضوع والإنقياد ـ إلى حد العبادة ـ هو الطمع بنفع عاجل، أو رجاء نفع آجل، وقد يكون الداعي ذلك الخوف وحب السلامة من العقوبة والبلاء.

وقد يكون الداعي إلى ذلك هو المعرفة الحقيقية بأن هذا المعبود هو المستحق للعبادة دون سواه.. ومن مكونات هذه المعرفة وترسيخها هو الوقوف على أسرار الخلق والخليقة، ورؤية بعض الآيات الكبرى التي تدل على امتلاك الصانع والخالق لكل صفات الألوهية والربوبية، وتصرح بأنه منزه عن كل عيب ونقص، وجهل، وعجز، وحاجة.. وعن كل ما يجب أن يتنزه عنه الإله والرب..

فرؤية الآيات وبديع صنع الله، وعظيم قدرته وحكمته، وعلمه وتدبيره، وقيوميته، وعظيم ملكوته، تُنتج معرفةً عن الدليل القاطع، ويصبح إيمانه إيمان من عاين ورأى.. لا إيمان من سمع وتصور. فإذا عبد الله بهذا الإيمان، فلأنه رأى مظاهر الجلال وتجليات الكمال، وآثار صفات الجمال، فتكون نتيجة ذلك إيماناً لا يضاهى، ويكون خضوعه وعبادته خضوع العارفين، وعبادته عبادة الأحرار الواصلين.

وهذه الآية تشير إلى أنه تعالى يريد أن يصنع عبده ورسوله الذي هو المثل الأعلى للمخلوقات ـ يصنعه ـ على عينه، عابداً له عبادة هي نتاج معرفةٍ ويقين، فرضها تلمُّسه للأسرار بصورة مباشرة، ووقوفه على طرف من آيات الله الواحد القهار، لتكون عبادته عبادة إجلال وإكبار، وخالصة له تعالى، بكل ما لهذه الكلمة من معنى..

ونعتقد: أن الله تعالى قد اختص لنفسه بدرجة من الغيب، ومن الأسرار والحقائق اللائقة بمقام الألوهية، الذي لا يصل اليه مقام المخلوقين كلهم حتى الرسول الأعظم ﷺ.

(للبحث صلة ان شاء الله -تعالى- في العدد القادم)



تلبيسُ المُستَشرِقينَ في تفسيرِ (أهلِ البيتِ) كما وَرَدَت في القرآنِ الكريم

(بحث البروفسور مادولنك انموذجا)

أ.د. عبد الجبار ناجي

رئيس قسم الدراسات التاريخية بيت الحكمة – بغداد

ملخص البحث

يعرض السيد الباحث، وهو من كبار المتخصصين بالاستشراق على صعيد البحث الأكاديمي، لجانب من جوانب تخرصات المستشرقين في عرض الشؤون القرآنية، مركزين على ما أثار الخلاف بين المسلمين أنفسهم من تفسير هذه الآية أو تلك، محاولين جهد إمكانهم غرس الشك في النفوس بدعوى البحث العلمي والموضوعي. والسيد الباحث يعرض هنا تلبيسهم في تفسير معنى (أهل البيت) و (آل البيت) حيثما وردت ، متخذاً من المستشرق (مادولنك) Wilferd Madelung انموذجاً حياً لتلك التخرصات، بعد عرض آراء عدد آخر من هؤلاء المستشرقين. كمقدمة لبحثه.

● لقد وقف عدد من المستشرقين القدامى والمحدثين على مسائل دقيقة ومهمة في الفكر الشيعي عامة وفي عقيدة التشيع الإمامي بشكل خاص. ومن بين هذه الموضوعات الآيات الكريمة التي تشير بشكل لا يقبل التأويل وإثارة الشكوك والتساؤلات الى موضوع (آل بيت النبيﷺ). فمن المعروف أن هناك عدّة آيات تبين المدلول التاريخي والأجتماعي (أي الأسري) لأهل البيت لاسيما ما ورد في [سورة الأحزاب: ٣٣] إذ قال عزّ من قائل بسم اللهّ الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. فالمقصود بتعبير أهل البيت هاهنا بحسب الكثير من المفسرين إنهم أهل بيت النبي أو كما أشار رسول اللهﷺ في حديثه الشريف المعروف في الفكر الشيعي بحديث أهل الكساء؛ أو حديث أهل العباءة:- وهم رسول اللهّ وعلي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام.

والمستشرقون شأنهم شأن عدد من المفسرين المسلمين الذين لا يرغبون بل ولا يرضون أن يكون هذا التعبير(أهل البيت) اشارة واضحة الى آل بيت النبيﷺ المنتسبين اليه بصلة الرحم (أولوا الأرحام) والأقربين نسبا. فراحوا يتجولون يمينا وشمالا في تفسيراتهم التي تهدف أساسا الى توسيع دائرة فحوى هذا التعبير لجعله يبدو وكأنه عامّا وشاملا؛ محاولة الى إبعاده عن نصّه المركزي بمعنى أهل بيت رسول اللهّ. فهناك من المفسرين المسلمين، ويقف الطبري على رأس القائمة، من فسّر قول اللهّ سبحانه وتعالى بأنه لا يشير الى رسول اللهّ والإمام علي والعترة الأخيار بل يشير الى مضمون عام هو المتعلق بتوصيات اللهّ تعالى وأرشاداته الموجهة الى أمّهات المؤمنين بأن لا يتبرجنّ ولا يعملنّ فاحشة... الى آخر الآيات السابقة لآية التطهير.

والمستشرقون، كما هو معروف، لا يضيعون مثل هذه الفرصة والصيد الثمين في إبراز اتجاه مختلف بشأن الإسلام والقرآن وتفسيراته ولهذا تأثر عدد منهم فتوقفوا للبحث والمتابعة عن أصول هذا الجدل التفسيري حول آية التطهير وغيرها من الآيات المعنية بآل البيت. حقيقة إن

دراساتهم كانت نتيجة بحث وتحليل وتحرّ عن فكرة الأسرة والعائلة في التاريخ العربي قبل الإسلام وفي التواريخ المحلية المتعاصرة كتاريخ بني إسرائيل وتاريخ النصارى بحسب ما ورد في التوراة والأنجيل بحثا عن وراء موازنة بين الأستعمالات المماثلة والمتماهية مع استعمال أهل البيت (كالذي فعله المستشرق الإسرائلي يوري روبينUri Rubi في دراسته عن أسلاف الأنبياء)[1] وخرج هؤلاء الباحثون بمخرجات متعددة بخصوص تعبير (آل) المفردة المطلقة المعنى و(بيت) و(عائلة) وغير ذلك حتى إن البروفسور موشي شارون وآخرين قد حوّلوا التعبير (أهل البيت) الى الإنجليزية People of the house)[2].

(١) ينظر Uri Rubin; "Prophets and Progenitors in early Shia Tradition" in Jerusalem Studies in Arabic and Islam (المترجم).

(٢) Moshe Sharon ; " Ahl al -Bayt; People of the House" in Jerusalem Studies in Arabic and Islam pp. 169 -184; ،(Vol. 8 ;1986 idem. " The Ummayds as Ahl al -Bayt" in Jerusalem Studies in Arabic and Islam. 14(1992) Pp.115 -152. (المترجم).

يرجع الجدل في هذه المسألة تقريبا الى العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر. فقد ترجم المستشرق البريطاني + الأمريكي رودويل J.Rodwell وكان يشغل منصب أستاذ الدراسات الشرقية في جامعة كمبردج القرآن الكريم بعنوان The Quran الذي طبع في باريس سنة ١٨٤٠ وكذلك ما أورده المستشرق البريطاني + الأمريكي بالمر E.H.Palmer وكان هو الآخر يشغل منصب أستاذ اللغة العربية في جامعة كمبردج في ترجمته للقرآن الكريم الذي أعطاه أيضا عنوانا مماثلا The Quran وتمّ طبعه في مطبعة جامعة أكسفورد في سنة ١٨٨٠. إذ ترجما أهل البيت في ما ورد في [سورة هود: ٧٣] قوله تعالى ﴿ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ بما هو في الإنجليزية (أهل الأسرة The People of the Household؛ والتسمية هذه بحسب قاموس ويبستر Webster تعني

الناس، وتعني أيضا المجتمع أو مجموعة من الناس؛ وهي تعني أيضا أفراد أو أعضاء عائلة لهم صلة النسب والقرابة[٣]. ولعل هذه الترجمة أو التفسير لتعبير أهل البيت قد أثّر على تفسير عدد من المستشرقين القدامى أمثال المستشرق المجري اليهودي جولدتسيهر Goldzehir، I. الذي كتب بحثا بترجمته التعبيرالى The people of the House في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها القديمة الموسوم بأهل النبي (Al al Nabi) The family of the Prophet.

وقد أبدى رأيا بأن هذا التعبير كان مألوف الأستعمال عند عرب الجاهلية. فقد استعملوه في الإشارة الى بيت رئيس القبيلة أو بيت العائلة الحاكمة في القبيلة ويقصد به عائلته (وهو مأخوذ من حقّ الحماية لرمز اله القبيلة) معتمدا في ذلك على ما كتبه هنري لامانس H.Lammens.. والواقع فإن لامانس قد ألّف بحثا باللغة الفرنسية بعنوان (عبادة بيت آله) ونشره في كتابه الجزيرة العربية قبيل الهجرة le Culte des Betyles(تقديس أو تعظيم بيت الآله [٤]. وظل مستعملا في القرون المتأخرة بصيغة الجمع (البيوتات) مشيراً الى البيوتات والعوائل النبيلة في القبيلة. واستخدم العرب بعد الإسلام البيت للإشارة الى عدّة عوائل فهو عند عبد اللهّ بن عمر يقصد به بيت عمر (حسب مصدره أبن عبد الحكم: سيرة عمر بن عبد العزيز، القاهرة، ١٩٢٧)، صفحة ١٩)؛ وهو أيضا استخدم إشارة الى البيت الأموي (فيذكر أبن عبد الحكم أيضا نصّا يقول: "إنّما الحجاج منّا أهل البيت"). كما قالها عمر بن عبد العزيز صفحة٢٤.[٥]؛ كذلك

(٣) ينظر، Rodwell، J.M. The Quran (Paris 1840) ;H.Palmer. The We –; (1880 ،Quran (Oxford ster's Seventh New collgiate Dicitionary، (London ،1967، p.42. (المترجم).

(٤) See (Ahl al -Bayt) in Encyclp – dia of Islam (Old Edition)، by Ignas Goldzziher;(Al al -Nabi) in Encyclopedia of Islam (Old Edition)by Goldziher;H.Lam-mens; Fatima et... (المترجم).

(٥) ينظر، أبن عبد الحكم؛ سيرة عمر بن عبد العزيز (القاهرة ١٩٢٧) ص١٩؛ ٢٥ (المترجم).

أشار محققو الطبعة الجديدة لدائرة المعارف الإسلامية في بحثهم لتعبير (آل Al) بقولهم المقصود به العشيرة وهي المجموعة النسبية (من النسب) التي يربط بين أفراد العائلة. وهناك مرادفات أخرى نظير(أهل وعائلة وقبيلة –حيّ –بمعنى العشيرة. وقدعقّبوا على هذه المرادفات بقولهم أنها وردت بهذا المعنى في القرآن في عنوان سورة آل عمران –السورة الثالثة –. ثمّ يعرج المحققون على مسألة جوهرية الا وهي إن (آل النبي) هم المنحدرون أو ذرية هاشم والمطلب. ويقولون إن الشيعة قد ضيقوا هذا المفهوم ليشمل قرابة النبي المقربين فحسب. وأمّا السنّة فهم وسّعوا التعبير لكي يتسع الى جميع صحابته. والتعبير في حقب متأخرة صار يقصد به أيضا حكّام الإمارات وكذلك آل عثمان –أي الدولة العثمانية –؛ والبو سعيد –إمارة عمان وزنجيبار –وآل فيصل السعود في الدولة السعودية[٦].

فيذكر جولدتسيهر والبروفسور ترتون A.S.Tritton والبروفسور آرندونك C.van Arendonk بأنه قد ورد في القرآن تعبير أهل البيت في سورتين:- أولاهما في سورة برقم (١١) أي [سورة هود: ٧٣] التي تتعلق ببيت (House) إبراهيم (ويقصد المحققون قول اللهّ تعالى ﴿ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ﴾ صدق اللهّ العلي العظيم.. أمّا الأخرى فذكر التعبير في سورة برقم ٣٣ آية٣٣ (أي يقصد المحققون سورة الأحزاب التي يقول فيها عزّ من قائل ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ صدق اللهّ العلي العظيم.ومن الجدير بالذكرإن المحققين قد ترجموا هذه الآية الكريمة بما يدعم الرأي الثابت عند الكثير من المفسرين المسلمين بإن المقصود آل بيت النبيﷺ. ولأهمية الترجمة نوردها بلغتها God desires) only to remove filthiness plural—ahl ،.from you –masc and with cleaning ،bayt- ،l

(٦) بحث (آل) في دائرة المعارف الإسلامي Ency. Of Islam (New Edition) .by the editors. VoL.I. P.345 (المترجم).

to cleanse you). (والترجمة الحرفيّة لترجمة المحققين تكون: -اللهّ يرغب أو يريد فقط إزالة القذارة أو الفحش عنكم -بصيغة المذكر الجمع -أهل البيت ويطهّر ليطهّركم -[٧]. وهذه الآية تفيد كنصّ وبيّنة لإستخدامها بخصوص بيت (House) محمد. ويحصر الشيعة العائلة (التي يطلقون عليها العترة -وهم يفضلون هذا التعبير -) بأهل الكساء. وفي رواية تتعلق بحجة الوداع يظهر للرسول وهويقول بأن اللهّ يقيهم - saf guards بأثنين في العالمين: كتابه وسنّة نبيه؛ وفي رواية أخرى، فإن سنّته ليست في أصل الرواية وقد أخذت محل عترتي والواقع فالحديث الشريف هو: تركت فيكم الثقلين عترتي أهل بيتي وكتاب اللهّ ما أن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي)[٨].

(٧) ينظر بحث(Ahl al -Bayt) in Ency. Of Islam(New Edition). By S. Tritton and C. ،Goldzehir I.Pp.257 ،van Arendonk. Vol 58-. (المترجم).

(٨) ينظر عن الحديث الشريف ابن حنبل: مسند أحمد جزء ١ ص٣٢٥؛ ابن سعد؛ محمد: الطبقات الكبرى جزء ٢ ص٢٤٢ -٢٤٤. (المترجم).

وأسهم جولدتسيهر اسهاما آخر في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها القديمة ببحث عنوانه (آل النبيAl -al -Nabi) مكررا تقريبا الأفكار نفسها التي ترددت سابقا؛ ويضيف اليها بأن هناك شواهد وردت في العهد الإسلامي تدلّ على أن كفّار قريش كانوا يستعملون تعبير آل أو أهل ويربطونه باللهّ فيقولون آل اللهّ وذلك لأنهم كانوا يعتقدون بكونهم حرّاسا للكعبة. ثمّ توسع المفهوم واللفظ بمرور الزمن وخاصة باستعماله في الصلاة المنسوبة الى محمد(ويقصد جولدتسيهر بهذا اللّهم صل على محمد وآل محمد). ويعقّب على هذا بقوله إن الشيعة لا يطلقون تعبير آل النبي إلّا على ذرية النبي من علي وفاطمة؛ وهم يفضلون اطلاق تعبير العترةعلى هذا الفرع الأقرب نسبا الى النبي. أمّا غير الشيعة فيجعلون التعبيرآل النبي يشتمل على مدلول أوسع من ذلك أي بني هاشم. بينما يضّمن آخرون زوجات النبي وأقاربه بشكل عام. وهو يرى بأن هذا لا يسع بما ذهب اليه البعض بأن آل النبي يشمل جميع الصالحين من دون اعتبار للقرلبة

والنسب بمعنى جميع الأمة الإسلامية بشكل كامل[٩]. وبهذا الخصوص لا بدّ من الإشارة الى أن البروفسور ترتون A.S.Tritton قد كتب بحثا عن أهل الكساء "Ahl"AL -Kisa بمعنى أهل العباءة. وذكر بأنه اعتمادا على حديث لمحمد إذ خرج صباح يوم من الأيام -وفي الوقت الذي كان فيه وفد من نصارى نجران يزور المدينة في سنة ١٠ هجرية/ ٦٣١م [وهذا هو المعروف بالمباهلة) -وكان مرتديا عباءة سوداء؛ ثمّ جاءت فاطمة أولا وبعدها جاء علي ثمّ الحسن والحسين فضمّهم تحت عباءته، واحتضنهم وتلى آية من القرآن برقم ٣٣ آية ٣٢ (اللهّ فقط يريد أن يذهب (وقد استعمل المستشرق كلمة put away وهو بهذا يختلف عن الأستعمال الذي أخذ به رودويل في ترجمته للقرآن الكريم إذ استعمل كلمةremove)عنكم الفحشاء والقذارةfilthiness باعتباركم أسرته his household ويطهركم تطهيرا).

ويعقّب على كلامه هذا بقوله إن الفسرين يفسرون الرجس (القذارة حسبما ذكره ترتون) بأنه الكفر أو الشرك unbelief غير أن الشيعة يفسّرونها بالتعامل مع الدنيا غير الطاهرة as intercourse with the impure world بمعنى مواز للقول بأن العائلة قد فقدت الخلافة المرئية visible لتكسب الأخروية. ويقول أيضا بأن هناك رواية أخرى تذهب الى أن محمدا قد ألقى بعباءته على عمّه العباس وأولاده قائلا "خبأتُهُمْ من نار جهنم كما خبأتُهُم بعباءتي"[١٠]. وقد أعتمد ترتون في هذا البحث على المستشرق ماسنيون L.Massignon في كتابه الموسوم (Vivre et Penser عشّ وفكّر) المطبوع في باريس سنة ١٩٤١ صفحة ١ وما بعدها من الصفحات[١١]. وللبروفسور ماسنيون

(٩) Goldziher في بحثه عن((Al al -Nabi in Ency. Of Islam (Old Edition) (المترجم).

(١٠) ينظر بحث(أهل الكساء Ahl al -Kisa) بقلم البروفسور Tritton.A.S. في دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الجديدة Ency. Of Islam. Vol. I. P.264 (المترجم).

(١١) ينظر Massignon، - L. La Mubah la de Medine et L'hyperdulie

بحث مهم عن المباهلة تحدّث فيه عن تعبير آل البيت والمقصود منه بما هو معروف ولم يكرّر آراء جولدتسيهر السابقة الذكر وعنوان بحثه(المباهلة أعتمادا على الحديث الإسلامي" la Mubahala d ،après la tradition islamique" in Is-lamo -Christiana.2 (1967)[١٢].

مع كلّ هذا فالفرضية التي طرحها المستشرق اليهودي جولدتسيهر ظلّت تفرض نفسها على المستشرقين القدامى أو المحدثين شأنها شأن الكثير من آرائه الأخرى المتعلقة بالتشيع.. فعلى سبيل المثال لا الحصر، هناك مستشرق الماني يعدّ ضمن هذا الجيل من المستشرقين القدامى ممن اتّبع ونهج فرضية جولدتسيهر وأضاف اليها بعض النقاط وهو المستشرق رودي باريت Rudi Paret. وقد أسهم ببحث بمناسبة بلوغ البروفسور إينو ليتّمانEnno Littmann الستين سنة من عمره آنذاك أي بحدود نشر الدراسة سنة١٩٣٥م. وكان البروفسور رودي باريت قد نال الدكتوراه في سنة ١٩٢٤ بأشراف المستشرق إينو ليتمان وموضوع اطروحته سيف بن ذي يزن؛ لهذا كان في بداية أمره مهتما بالتراث الشعبي. لكنّه عني بعد ذلك بالدراسات العربية والدراسات الإسلامية ولاسيما في الدراسات القرآنية. فحقّق في هذا المجال مؤلفات قيّمة منها ترجمته القرآن الكريم الى اللغة الألمانية تحت عنوان (القرآن تعليق وفهرستDer Koran) طبع بعد وفاته، إذ توفي سنة ١٩٨٣؛ والترجمة ظهرت سنة ٢٠١٠. وله أيضا كتاب بعنوان (محمد والقرآن: تاريخ ودراسة في معاني اللغة العربية Muhammed und der Koran) Geschichte und erkundigun (des Arabischen Propheten والبروفسور رودي هنا ينهج النهج الذي اشتهر به المستشرق الألماني نولدكه في دراسته عن تاريخ القرآن. وقد ترجم الدكتور رضوان السيد الكتاب بعنوان (محمد والقرآن). وقف المستشرق باريت

(de Fatima (Paris1955). (المترجم).

(١٢) Massignon ;L. Vivre et Pen - er (PARIS 1941)، 3، 2، p.1. (المترجم).

في هذا الكتاب على مسألة أهل البيت؛ والواقع إنه صوّر رسول الله ﷺ تصويرا إيجابيا، إنه رجل ونبي ومؤسس الدين الإسلامي. كما درس الخلفية التاريخية والأجتماعية والثقافية لمدينة مكة في القرن السابع الميلادي (الأول الهجري). كتب المستشرق رودي هذه الدراسة باللغة الألمانية. وكان عنوان البحث الذي تطرق فيه الى أهل البيت أيضا هو(مشروع أو خطة جديدة في دراسة عدد من تفاسير القرآن Der Plan einer neuen، koranube - ،leicht entierten estzung" in Orientalische Studen Enno Littmann zu seinem 60 geburtstag. Edited by R.Paret.. فأهل البيت عند هذا المستشرق هو استعمال قديم عند العرب، وأضاف بإن التعبير في القرآن هو بمثابة أتباع أو طائفة أوتقديس البيت the cult f the House.[١٣]

(١٣) حصلنا على المعلومات بشأن البروفسور رودي باريت من شبكة الإنترنيت، ومن موقعه. وقد ورد في عدد من بحوثه بعض

والجيل الثاني من المستشرقين المحدثين والمعاصرين، إن صحّ هذا التصنيف، أسهموا أيضا في هذا المجال مع إنهم الى حدّ كبير قد وضعوا نصب أعينهم المخرجات التي توصل اليها المستشرقون القدامى وعلى وجه الخصوص الأفكار التي طرحها كلّ من لامانس وجولدتسيهر وشترسمان Strothmann في دراسته عن الأئمة الأثني عشر Die Zwolfer a (Leipzig 1926 ،Schi)[١٤]. وهناك ملاحظة لا مندوحة من استذكارها الآن وهي إن البداية في الوقوف على تاريخانية استعمال تعبير أهل البيت سواء بخصوص ترجمة التعبير الى كلمة people أم

من آرائه. فضلا عن ما قدّمه البروفسور مادولنك من معلمات عن بحثه باللغة الألمانية الموسوم" Der Plan einer leicht kommentierten ،neuen koranubersetzung" inOri-entalis -tische Studien Enno Littmann zu seinem 60.Ge-burtstag ،ed.R.Paret (Leiden ،1935).Pp.121 -130. (المترجم).

(١٤) Strothmann; Die Zwolfer a(Leipzig ،Schi، 1926 (المترجم).

بشمولية استخدامه منذ فترة تاريخ العرب قبل الإسلام بمعناه آل أو أهل؛ إذ تسمى به آل أمية أو آل العباس. طبعا هاهنا لا بدّ من الاشارة الى هدف المستشرقين من النص على هذين البيتين بوصفهما كانا على طرفي نقيض من موقف أهل بيت النبوة الصرحاء، وإنّما كانا يهدفان الى عدم تسويغ كون التعبير محصوراً ببيت النبي فقط دون طرف آخر يستثمره لإضفاء الشرعية السياسية والأجتماعية والاقتصادية أيضا. ومن بين هؤلاء المستشرقين المحدثين والمعاصرين نشير الى المستشرق الألماني للفريد مادولنك – Wilfred Mad lung وهو مستشرق معروف بدراساته الكثيرة، ويعدّ من المتخصصين في موضوع التشيع. سافر الى مصر عام١٩٥٢ وبقي فيها ثمّ عاد الى بلده، وسافر الى العراق في سنة ١٩٥٨للعمل في السفارة الألمانية وبقي سنتين. وبعدها عمل في جامعات خارج المانيا في أمريكا وبريطانيا وعمل في معهد الدراسات الإسماعيلية في لندن. والبحث الذي سوف نلقي عليه دراسة مستفيضة يعدّ فصلا من كتابه الموسوم The Succession to Muhammad: A Study of the early Caliphate (1997)[١٥]، Cambridge. ورثة محمد: دراسة في أيام الخلافة الأولى). إذ خصّص خمساً وعشرين صفحة بعنوان (مقدمة) لكنهافي الحقيقة دراسة شاملة ومركّزة على مسألة أهل البيت بصورة عامة وعلى أهل بيت النبيﷺ بشكل خاص، كما سنبينه لاحقا وقد اعتمد في آرائه المتعلقة بشمولية التعبير على جولدتسيهر ورودي باريت فضلا عن موشي شارون. وهناك المستشرق لإلإسرائيلي موشي شارون – Moshe Sh ron الذي سبق زمنيا البروفسور مادولنك بحوالي العقد من الزمن بحسب سنوات طبع بحوثهما، لأن شارون قد نشر بحثين عن أهل البيت، الأول سنة ١٩٨٦، والثاني في سنة ١٩٩٢. والجديد في تناوله الموضوع تسليطه الضوء على إن التعبير لا

(١٥) Madelung، W.(The Succession to Muhmmad: A study of the Early Caliphate (Cambridge: CUP، 1997. Pp.1 -27. (المترجم).

يمثل أهل بيت النبيﷺ فحسب. فقد كتب بحثين بعنوانين متماثلين تقريبا أولهما الموسوم (أهل البيت: People of the House) ونشره في مجلة دراسات القدس (أورشليم) في (العربية والإسلام) المعروفة اختصارا J.S.A.I.. في مجلد ٨ لسنة١٩٨٦ (صفحة١٦٩ -١٨٤)[١٦]. ونشر بحثا آخر بعنوان (الأمويون كونهم أهل البيت: The Ummayds as Ahl al -Bayt) ونشره في المجلة نفسها JSAI مجلد ١٤لسنة ١٩٩٢ (صفحة ١١٥ -١٥٢)[١٧]. وصف شارون بأنه خبير عالمي معروف بالإسلام والشيعة والبهائية في لبنان إذ ترجم مؤخرا الكتاب الأقدس، وهو الكتاب المقدس عند البهائية الى اللغة العبرية. وخدم في السلك العسكري والسياسي كمستشار لمناخيم بيغن Menachem Begin رئيس الوزراء؛ وألّف الكثير من البحوث والكتب من بينها كتابه المشهور الموسوم (الرايات السود قادمة من الشرق) يتناول الثورة العباسية؛ وأصدر الى حدّ الآن خمسة أجزاء من النقوش العربية الفلسطينية بعنوان (Corpus Inscriptinum Arabicorum Palaestina)) طبع في ليدن من ١٩٩٧ -٢٠٠٥. وهو خبير في الشؤون السياسية العربية وعمل مستشارا سياسيا وعسكريا، وأشترك في مفاوضات كامب ديفيد، (هذه المعلومات اعتمدت بها على ما وفرته مجلة اورشليم- القدس -لدراسات العربية والإسلام). JSAI والبروفسور شارون في طرحه موضوع أهل البيت وصف بمنهجيته التي تتمثل بمتابعة القرآن الكريم ولاسيما الآيات القرآنية التي تتضمن الإشارة الى أهل البيت و آل البيت و آل نوح و آل إبراهيم وآل عمران بمعنى جميع المفردات

(١٦) M.Sharon; "Ahl al -Bayt".P. 161 (المترجم).

(١٧) Ibid.; "The Umayyds as Ahl al -Bayt" in JASI، 14 (1992). Pp.115 -152 ; idem(black Banners from the East: -The Establishment of the Abbasid State Incubation of a Revolt (Jerusalem The Magnes Press. The Hebrew Univ.، (P.(Preface.(1983، 38، 33 and 45. (المترجم).

القرآنية الكريمة في هذا الشأن. وتعامل مع آية التطهير بما يباهي الى حدّ كبير رؤية جولدتسيهر ولامانس على أنها آية شاملة يقصد منها تضمين جميع زوجات بيت رسول الله ﷺ ولم تكن محدّدة بحدود آل بيته الأطهار. والمستشرق لا يُغفل ذكر هذين المستشرقين لامانس وجولدتسيهر، وبالأحرى في مقدمة كتابه (الرايات السود...الخ) اشاد بآراء كلّ من المستشرق فلهاوزن والمستشرق جولدتسيهر. ووصف عمل فلها وزن بأنه قد أدّى الى تثوير البحث العلمي في التاريخ الإسلامي. وهناك نقطة جديرة بالنسبة الى رأي المستشرق جولدتسيهر الذي ربما أراد أن يؤكد عكس ما أفترضه سابقا والذي تكرّر عند شارون ومادولنك حينما بيّن في بحثه بالأشتراك مع البروفسور ترتون في دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها الثانية بأن الضمير المستعمل في الآيات التي سبقت آية التطهير تحديدا هي بصيغة المؤنث في الوقت الذي نراها في آية التطهير على وجه التحديد بصيغة المذكر[١٨]، بما يعني إنهما يريدان أن يستفهما في ترددهما وعدم قبولهما بالرأي الذي سبق أن طرحه لامانس وجولدتسيهر في بحوثهما المشار اليهما في أعلاه (آل النبي) بشمولية بنية وفحوى الآية الكريمة. لقد أستند شارون الى عدد من الآيات القرآنية الكريمة في [سورة رقم ٢ آية ١٢٥، وآية رقم ١٢٧ وفي سورة ٣ آية برقم ٩٧ وفي سورة ٥ آية رقم ٢ وآية رقم ٩٧ وفي سورة ٨آية برقم ٣٥ وفي سورة برقم ٢٢ آيات ٢٦، ٢٩، ٣٣]. وفي [سورة رقم ٥٢آية برقم ٢٢] بشأن أن الكعبة المكرمة هي ما عبّرت عنها هذه الآيات بكونها بيت إبراهيم. وهي محاولة أخرى من محاولات المستشرقين بغية تفادي حصر التعبير الوارد في الآية التي نحن بصددها في آل بيت النبي ﷺ. والبروفسور شارون بيّن في الفصل الثاني من كتابه(الرايات السود) الموسوم (مشكلة الشرعية) أن العرب في فترة الجاهلية كانوا يستخدمون تعبير (الشرف والرياسة) وتعبيرا آخر في الإسلام المبكر هو (النبالة والقدم في الإسلام - Senio

(١٨) المعلومات بخصوص البروفسور موشي شارون من شبكة الإنترنيت. (المترجم).

ity). واستشهد بقولٍ لمعاوية ابن أبي سفيان الذي يفيد بأنه يستهجن القول بأن فلانا من قبيلة كذا؛ أو من عائلة كذا تلك الأقوال التي هي في نظره ليست لها أهمية[١٩]. ولمّا كنا هاهنا نسعى الى ترجمة البحوث المتعلقة بموضوع التشيع في العراق من الكتاب الذي حقّقه كلّ من البروفسور بول لفت Paul Luft االبروفسور كولن تيرنر - Colin Tur er بأربعة أجزاء والمطبوع في أمريكا + كندا من قبل روتلدج Routledge [٢٠] الذي يحمل عنوان (التشيع: مفاهيم نقديّة في الدراسات الإسلامية) فإننا سنخضع إن شاء اللهّ دراستيّ المستشرق شارون المشار اليهما آنفا الى دراسة مستفيضة مستقبلا؛ لأن هذا البحث يتعلق بموضوع مهم آخر. ولنبقى مع المدرسة الإسرائيلية للإستشراق في هذا الأهتمام بآل بيت النبي ﷺ فإننا نشير الى البروفسور ميخائيل مائير بار -آشر. وهو أيضا من المستشرقين المعروفين في دراساتهم عن تفاسير القرآن الكريم الشيعية، وقد سبق أن تناولت بالدرس دراسته بخصوص الأختلافات الشيعية في تفسير الآيات المتعلقة بأهل البيت عليهم السلام في بحث مسهب في العدد السادس من مجلة المصباح المعطاء. فمن بين مؤلفاته كتابه الموسوم (الكتاب المقدس والتفسير في التشيع الإمامي المبكر Scripture and Exegesis in) Early Imami Shiism—Islamic Theology and ،Philosophy (Science: -Texts and Studies المطبوع في سنة١٩٩٩. فقد وقف على الآيات التي يرد فيها تعبير أهل البيت والتفسيرات الشيعية بشأنها، وهو يعيد ما سبق طرحه من قبل المستشرقين جولدتسيهر ورودي باريت بشأن شمولية التعبير[٢١]. غير أنه من الطريف تبيانه هنا

(١٩) See، R.Paret، "as Plan einer" cited by Madelung ;M.Sharon; Ahl al-Bayt"" (المترجم).

(٢٠) Shi'ism: Critical concepts in Islamic Studies(Edited by Paul Luft and Colin Turner USA، by Routledge ،and Canada 2008) (المترجم).

(٢١) ناجي؛ د.عبد الجبار «المستشرقون=

انعكاسات دراستي شارون بخاصة على آراء عدد من العلماء العرب أمثال البروفسور هشام جعيط والباحثة الدكتورة لميا بن يوسف زيزفوني وكلاهما من المغرب العربي. فالأستاذ جعيط في كتابه الموسوم (الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر)[٢٢] الذي طبع في سنة ١٩٩١. قد اعتمد شارون خلال تتبّعه تعبير أهل البيت وإنه تعبير كان مستخدما في الفترة الجاهلية، فالتعبير حسب رأيه قَبَليٌّ أيضا من القرابة. وقد تتبّع الأستاذ جعيط التعبير من زاويته السياسية[٢٣]. أمّا الدكتورة زيزفوني فقد ألّفت كتابا باللغة الإنجليزية (انتاج المرأة المسلمة: مناقشة النصوص والتاريخ The Production of the) Muslim women: negotiating (texts and history المطبوع في أمريكا سنة ٢٠٠٥[٢٤] والدكتورة زيزفوني قد ركّزت على مواضيع طريفة لإظهار وضعية المرأة المسلمة، ومن بينها نصوص أدبية من شعر المعرّي ثمّ عرجت فيه على مسألة التغافل والتجاهل المقصود الذي لحق بالمرأة المسلمة في الأنساب بمثل ما كان بشأن زوجات رسول الله ﷺ وبابنته فاطمة عليها السلام. ودلّت على الفصل الذي ركّزت فيه على أهل بيت النبي بعنوان إشاريّ هو (نفوذ أو سلطة النبي باعتباره جامعا

=وإشكالية (قرآن الشيعة) أو (قرآن فاطمة) في مجلة المصباح، كربلاء، العراق (القسم الأول) العدد الخامس ربيع/ ٢٠١١/ ١٤٣٢هجري) ص٥٥ -١٠٧ (القسم الثاني) مجلة المصباح العدد السادس -صيف٢٠١١ -١٤٣٢هجري) ص١١١ M.Meir Bar—Asher.١٦٥- "Vaiant Readings and Additions of the Imami Si'a" in Shi-ism Pp.86 -115.. (المترجم).

(٢٢) جعيط؛ د. هشام: الفتنة: جدلية الدين والسياسة في الإسلام المبكر، ترجمة خليل أحمد خليل، بيروت، دار الطليعة، ١٩٩١ ص٢٠. (المترجم).

(٢٣) م.ن. ص١٤، ٢٠. (المترجم).

(٢٤) Lamia Ben Youssef: ،Zayzafoon Technogogy of Power: Reinventing Domesticity andSa-،cred in the Texts of al -Ma'ari A.Djebar and Rushdee(USA ;2005).Chapter Five.P.140 (المترجم).

للوسائل المستخدمة في توفير كلّ ما هو ضروري لمعيشة الناس ورفاهيتهم (The Power of the Prophet as a Technology of power: Reinventing Domesticity and Sacred in the Texts of al -Maaari، Djebar and Rushdee، ومعنى الجملة الأخيرة هو: نفوذ أو سلطة النبي في اعادة ابتكار أو اختراع حياة منزلية مقدسة أو مبجّلة). وكان بحثا موشي شارون عن أهل البيت واحدا من المصادر الأساسية في الإستشهادات التاريخية[٢٥]. وبهذا الصدد علينا أن لا نغفل الدراسة التي حقّقها المستشرق الإسرائيلي المعاصر الآخر وهو البروفسور يوري روبين Uri Rubin الأستاذ في جامعة تل أبيب في قسم الدراسات العربية والإسلامية إذ كتب كتابا عن حياة رسول الله كما صوّرها المسلمون الأوائل - The life of Muhammad as viewed by the early Muslims المطبوع في برنستون في أمريكا سنة ١٩٩٥. وقد وقف فيه على مسألة آل النبي بما له علاقة بحياة رسول الله ﷺ؛ كذلك الحال في بحثه الموسوم (الأنبياء وأسلافهم في الحديث أو الرواية للشيعية المبكرة - Prophets and Progenitors in early Shia Tradition) المنشور في مجلة أورشليم (القدس) للدراسات في العربية والإسلام JSAI ١٩٩٧. والبروفسور روبين سلّط الضوء على محاولة أيجاد أوجه التشابه بين بعض الأحاديث الشيعية لآل البيت مع أوصياء بني إسرائيل. وهو يفسّر الأسلاف والأنبياء بما ورد من أسماء بني إسرائيل في موضوع قصص الأنبياء. فبنى موازنة بين أهل بيت النبي ﷺ والإمام علي مع أوصياء بني إسرائيل بجعل حالة المشابهة بينهما عليهما السلام وبين النبي يوشع Joshua والنبي موسى عليه السلام.[٢٦] ومن المستشرقين المعاصرين

(٢٥) Uri Rubin "Prophets and Progenitors in early Shia Tradition" inJSAI. Reprinted in Shiism. Vol.III، 50 77-. (المترجم).

(٢٦) Moosa Matti;Extremist Shiitees: The Ghlat Sects (first edition ;USA ;1987).Pp.77 87-. (المترجم).

المستشرق الأمريكي العراقي الأصل متي موسى Matti Moosa مؤلف الكتاب الموسوم (الشيعة المتطرفون:-فرق الغلاة. Extremist Shiitees: The Ghu-lat Sects) المطبوع في ثمانينات القرن العشرين[٢٧]. إذ خصّص في أحد فصول كتابه من صفحة٧٧ -٨٧ للحديث عن آل البيت بعنوان (عائلة أو آل النبي). ويقول فيه بإن جميع الشيعة المتطرفين منهم والمعتدلين يؤمنون بالتبجيل والتقديس للأفراد الخمسة من عائلة النبي ويسمونهم بأهل العبا أو الكسا[٢٨]. ويدلي البروفسور موسى برأي لم ينصّ عليه حديث أهل الكساء، فيقول إنه من الممكن الإستنتاج من جواب النبي لأم سلمة إن مضمون الحديث يشمل جميع زوجاته، باعتبارهم جزءاً من عائلته. وهو إستنتاج لا يستند الى أساس تاريخي. ثمّ يستمر في تعقيبه قائلا بإنه من الممكن المحاججة على أن عائلة النبي ليست بالضرورة تعني مجرد أربعة أفراد من عائلته المباشرة، إلّا أن المعنى الحقيقي هو جميع المسلمين؛ والأستاذ موسى هاهنا يكرّر الأفكار الإستشراقية السابقة لكنه يستشهد بالقشيري (المتوفى سنة ٤٧٠ هجرية/ ١٠٧٧م) إذ يشير الى حديث يفيد بأن رسول اللهّ سئل (من هم آل محمد؟) فأجاب (إنهم المسلمون المؤمنون) (القشيري؛ الرسالة القشيرية - تحقيق عبد الحليم محمد ومحمد الشريف، القاهرة/ دار الكتب الحديثة ١٩٦٦؛ جزء ١، ص٢٧٧). ولذا بحسب قول المستشرق:- فإن تخصيص الشيعة هذا التعبير ليعني أهل بيت النبي غير صحيح إنّما هو تعبير شامل وعام ويرجع زمانه الى الحقبة الإسلامية الأولى للمجتمع الإسلامي. فالشيعة مدفوعون في إدّعائهم وذلك لإظهار مدى حبهّم لفاطمة[٢٩]. ويخلص موسى الى القول بأن الحبّ الشديد للشيعة وتعظيمهم لأهل العبا أو أهل الكسا لا يعدّ جزءا من عقيدة الشيعة فحسب لكنه في الحقيقة النواة المركزية للنظام الفقهي لديهم[٣٠].

(٢٧) Ibid.P.87. (المترجم).
(٢٨) Ibid.P.77 -79. (المترجم).
(٢٩) Ibid. (المترجم).
(٣٠) James A.Bill and John Wi -

إزاء ما ذكره متي موسى فقد ظهرت دراسة تعهدتها جامعة كارولونيا الشمالية North Carolina تحت العنوان الموسوم (الرومان الكاثوليك والمسلمون للشيعة، الصلاة والآلام والسياسة - R man Catholics and Shii Mus-lims، Prayers، Passion and Politics) لمؤلفيه جيمس بيل James A.Bell وجون وليامز - John Wi liams وطبع في سنة ٢٠٠٢.[٣١] وتحدّد الكتاب بتسليطه الضوء على المتشابهات بين الأثنين الشيعة الإمامية الإثني عشرية والكاثوليكية في روما. ومن بين فصول الكتاب السبعة خصّص المؤلفان، بيل ووليامز، فصلا عن أهل البيت عليهم السلام بوصفهم الممثلين المقدسين Sacred Actors ولم يصّرا على الأفكار التي طرحها المستشرقون الألمان أو الأستاذ موسى الكاثوليكي المذهب ايضا.

ومن الدراسات الحديثة للمستشرقين دراسة ليندا كلارك Lynda G. Clarke التي كانت في الأصل لنيل درجة للدكتوراه من جامعة ميغل الكندية - M Gill سنة ١٩٩٤ وعنوانها (عقيدة الشيعة، عتمادا على المصادر الشيعية - Accor ing to Shi'i sources). Doctrine of the Shia،)[٣٢]. والبروفسورة ليندا وقفت على موضوع آل البيت النبي صلى الله عليه وآله من خلال متابعتها التفاسير الشيعية والمؤلفات الأخرى بما يتوافق مع تحديد الآيات القرآنية الكريمة الخاصة بأهل البيت عليهم السلام.

مناقشة آراء المستشرقين السابقة:

خلاصة لما سبق عرضه من دراسات المستشرقين الذين توافرت لدينا أعمالهم، بالإمكان تشخيص الخطوط العامة لمواقفهم وتاريخيّة هذه المواقف على الوجه الآتي: -

liams: Roman Catholics and Passion، Prayer، Shii Muslims and Politics.(US. Univ. of North Carolina Press ; 2002). Chapter 3. (المترجم).

(٣١) Lynda G.Clarke: Early Doctrins of the Shiah. According to Shii Sources. (Ph.D.disertation;McGill Univ. 1994). (المترجم).

(٣٢) Ibid. (المترجم).

١. نلاحظ أن المستشرقين الألمان قد وضعوا اللبنات الأولى لعملية التشكيك في آية التطهير بشكل خاص وكونها لا تشير حصرا الى أهل بيت النبي الأطهار إنّما تذهب الى زوجاته وجميع أهله أوعشيرته بل والأكثر من ذلك الى جميع المؤمنين والمسلمين. وكان المستشرق اليهودي جولدتسيهر مؤسس هذا الخطّ وتبعه المستشرق الألماني الآخر رودي باريت ثمّ واصل كلّ من المستشرق الإسرائيلي موشي شارون الفكرة والمستشرق الألماني مادولنك وتناقله مستشرقون آخرون معاصرون.

٢. كذلك الحالة بالنسبة الى فكرة أن التعبير إنْ هو إلّا تعبير كان مألوف الاستعمال عند عرب الجاهلية والقبائل العربية في العصر الجاهلي. وإنه تعبير كان يطلق على صيغة أهل الكعبة تقديسا لها. وإنه قد استعمل من قبل الأمويين والعباسيين ثمّ في الدولة العثمانية وعند آل سعود وحكّام عمان. ..الخ بهدف إعمام التعبير ومناهضته بل ودحض أي تفسير يؤدي الى جعله التعبير الذي يقصد به آل بيت النبوة عليهم أفضل الصلاة والسلام.

٣. وتأتي الآراء بشأن آية المباهلة ضمن هذا السياق أيضا.

٤. المصدر أو المصادر التي اعتمدها هؤلاء جميعهم وأخصّ بالذكر منهم مادولنك مقتصرة على المؤلفات السنّية في التفسير والتاريخ. ومادولنك أظهر أنه قد حدّد إستنتاجاته من أقوال الطبري في التفسير والتاريخ فحسب وكأنه لا يعترف بأي مصدر سواه.

أقول: مبدئيا إنّ اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم من دون شك وهي واسعة جدا في مفرداته وفي تركيباته اللغوية والنحوية والأدبية، وهي طيّعة للأستعمالات في حقول ومعارف إنسانية كثيرة ومتنوعة لا مجال في الخوض بها فالمعجميون والنحّاة واللغويون هم أعلم بها. ولهذا فالفكرة التي جهد اولئك المستشرقون أنفسهم وبذلوا عناء الوصول الى أن تعبير أهل أو آل، أو البيت أو حتى أهل البيت أو المجلة أو العشيرة أو ما

الى ذلك من مفرادات تدّل على التكوين الأسري في العصر الجاهلي أو في عصر ما قبل الجاهلية بكثير جدا من السنين أمر لا شكّ إنه موجود ومألوف. وكلمة بيت الأله وبيت بعل وماشابه كلّ ذلك كان معروفا ومتداولا جدا قديما أو حديثا. فابن عبد ربّه في العقد الفريد ومعاجم الجوهري وابن منظور والزبيدي مصادر معرفة أصيلة في تتبع هذه المسألة من دون عناء. إذ ورد إن العرب كانوا في الجاهلية يسمون قريشا «بآل اللهّ، وبأهل اللهّ؛ وبجيران اللهّ وبسكّان حرم اللهّ (ينظر ابن عبد ربّه: العقد الفريد جزء٣ ص ٣٢٣، ٣٢٧؛ ابا الفرج الأصفهاني: الأغاني جزء ١٧ ص٣١٣.) والمعروف أن أهل الحرم= أهل الكعبة إذ كانت مكة المقدسة عند العرب قبل الإسلام. فالكعبة وأهلها بحماية الله تعالى. فليس بدعاً أن يكون التعبيرمألوفا عند عرب الجاهلية أو قبل ذلك. من هذا نريد الوصول الى أن المباني التي تأسّست عليها أفكار اولئك المستشرقين في نكران التسمية، أي تسمية أهل بيت النبي، لا وجود لها. وخير مصدر يشير الى أن هذا التعبيركان بحكم المتفق عليه عند العرب المسلمين كافة الآيات القرآنية الكريمة التي تحدّد قطعا آل بيت إبراهيم وآل بيت عمران وآل بيت لوط و آل بيت محمدﷺ واضحة وجليّة؛ والمفروض جدا أن يكون آل بيت محمد بهذا الشكل متواصلا مع بيت الأنبياء السابقين اللّهم إلا في حالة عدم اعتراف المستشرقين وعدد من المفسرين والمؤرخين بهذا عمدا وتقصدا بل وبغضاً بآل رسول اللهﷺ سواءا ورد التعبير في آية التطهير أو آية المباهلة أو أيةِ آية أخرى في القرآن الكريم الذي نعمل به ونقدّسه ونؤمن بما أنزله اللهّ تعالى بشأن بيوت الأنبياء وورثتهم ووزرائهم وخلفائهم. فالآيات المباركة بيّنة في شموليتها لآل آدم وآل نوح وآل إبراهيم وآل يعقوب وآل موسى وآل عيسى وآل محمد خاتم النبيين. ولم يذكر في هذه الآيات الصريحة، أقصد ضمن الآل والبيت أي فرد آخر. وهذا ينطبق على الزوجات أو العشيرة أو القبيلة، فأهل قريش هو تعبير يدلّ على تلك القبيلة ولا تشترك به قبائل أسد أو ثقيف أو همدان أو

تميم أو غيرها. فالتفسيرات التي طرحها المستشرقون معتمدين على تفسير القرآن الكريم للطبري أو ابن كثير أو غيرها انما هي للتشكيك فعلا بما جاء به القرآن الكريم بخصوص بيوت الأنبياء السابقين وبيت النبي الأعظم بضمنهم. ومن هم أهل العبا كما قد ورد في كثير من المصادر السنيّة تحديدا كما هو معروف عند الشيعة، فلماذا يتردد الطبري وغيره في إثبات أن يكون بيت النبيﷺ الأقربين، علي وفاطمة والحسن والحسين وان اباهم هو أبيهم النبيﷺ، وهم أهل بيتهﷺ كما هو الحال في بيت آل نوح وآل عمران وغيرهم من الأنبياء والأئمة الذين أودعهم الله تعالى النبوة والرسالة والحكم والحكمة والكتاب المبين؟.

ترجمة بحث البروفسور مادولنك عن آل البيت في القرآن الكريم:

سبق القول بإن المستشرقين عنوا بمسألة أهل البيت لغة ومصطلحا وتفسيرا منذ بدايات اهتماماتهم بالتشيع وتاريخ الخلافة الإسلامية والفرق الإسلامية في أوائل القرن العشرين؛ وأسّسوا مفاهيم ورؤى، معتمدين على المتوافر من المصادرالإسلامية القليلة موازنة بما تحقّق من مصادر شيعية في العقيدة والأصول والرجال والتاريخ عبر هذا القرن. ومع توافر المؤلفات التفسيرية الشيعية العديدة، لكنّ الأغلبية العظمى من المستشرقين يُعرِضون بتقصد عن الرجوع اليها والانتفاع من ما ألّفه العلماء الشيعة الكبار الذين يضاهون بل يفوقون غيرهم في القدر الكبير الذين يفضلون فيه العقل والمعاصرة على مجرد جمع الروايات وسردها باسانيدها الطويلة المتعبة والتي تكون في أكثر الأحيان معرضة للتزوير والكذب. فالمستشرقون في بعض المدارس الإستشراقية نظير المستشرقين الألمان، ظلّوا مستمرين على المباني التي أسّسها مستشرقو الجيل القديم وربما معتقدين بأصالتها التي ينبغي وراثتها وتوريثها للآخرين والاستمرار على إثارتها في الأوقات التي يريدون تفعيلها والإصرار على وجودها أو ربما إن تلك الآراء القديمة تتفق مع رؤاهم الاستشراقية الحديثة والمعاصرة وتتواءم مع مواقفهم وتوجهاتهم من الحركة الشيعية

والعقيدة الشيعية الإمامية المتأثرة بما يحدث في العالم الإسلامي من تطورات سياسية ودينية وما يعرف بالصحوة الإسلامية الناهضة المناهضة للمألوف من السياسات الأحادية والتأثيرات التبشيرية أو العقائدية الدينية الهرطقية التي كانت منذ بدايات ظهور الإسلام تتحرك باتجاهات ضدّية من الإسلام ومعادية لانتشاره؛ والأخرى فقدان تلك السياسات المتعاصرة آنذك، أي في العصور الإسلامية الوسيطة والراهنه من السيطرة على انتشاره وتوسع دائرة تأثيره؛ ولاسيما المتعلق منه بعنفوان الحركة الشيعية برمتها في المنطقة المعروفة عند المسلمين والغربيين ومن يسايرهم من حكّام طغاة فضّلوا الحياة الدنيوية المادية المترهلة على الحياة التي وعد الله لعباده الصالحين المتمسكين بمبادئ الدين القويم وبأن يكونوا أحرارا. ومن بين أهم عناصر تلك الحركة السياسية -الدينية الإلحاح في تطبيق سياسة مؤثرة ومدمرة فعلا لكنها مكشوفة وهي الدأب الحثيث من قبل اولئك على الفرقة الطائفية في المجتمع الإسلامي وتصنيفه تصنيفا يتفق مع ذلك الدأب الى شيعة وسنّة أو الى عرب وغير عرب أو الى مسلمين وأهل الكتاب... الخ. والمؤسف بما فيه الكفاية إنصياع حكّام وغير حكّام من باحثين ورجال دين وخطباء مساجد وممّن يرتضي لنفسه المال الحرام وسفك دماء المسلمين الى الوضع الهامشي السلطوي. وهؤلاء صاروا الآن كثر وجميعهم قد صنعهم الغرب لتنفيذ أوامره في تفكيك هذا المجتمع وانقسامه على نفسه جدليا وفكريا وعقيديا؛ وإن كان باسلوب القتل والتدمير والإقصاء الأبدي. فضلا عن ذلك ينبغي لنا أن لا نغفل احتمالا آخرا ضمن تلكم الأحتمالات وهو بالفعل احتمال واقع لدى عدد من المستشرقين الا وهو إصرار هؤلاء على الأعتماد الكليّ على المصادر السنيّة مثلا في عملية بحثهم عن المذهب الشيعي الإمامي وعن عقيدة الشيعة وعن الشعائر والطقوس الشيعية والعكس صحيح، والمعروف إن منهجية كهذه لا تقدّم الجديد من الآراء والتفسيرات تماما كحالة الكثير من العلماء المسلمين والباحثين إذ نراهم لا يثقون من أول وهلة بما يكتبه المستشرق

أو المبشر عن الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية والتاريخ الإسلامي في عصر الرسالة المطهّرة أوعن التشيع لجهلهم بلغة المستشرقين التي كوّنت لديهم عقدة أو بما يعرف بوهم الكهف. والواقع فإنني كثيرا ما اواجه استغرابا وتشكّكا من زملائي أو من الآخرين من الباحثين والمهتمين سواء بالتشيع أو بالتاريخ الإسلامي عندما أذكر بإن هذا المستشرق أو ذاك له كتاب عن الإمام الحجة (عجل). كيف يحدث هذا؟ أمستشرق ألماني أو إسرائيلي يؤلف عن الأئمةﷺ أوعن الإمام المهديﷺ؟ في الوقت الذي كابرتْ بل وأحجمتْ الكثير من مصادرنا الإسلامية -بدافع مذهبي أو بسبب الخوف من السلطة الحاكمة الأموية والعباسية -على تأسيس عملية إقصاء وتغييب متعمد له -الإمام الحجةﷺ -أو لغيره من الأئمة، تنفيذا لأوامر معاوية بن أبي سفيان في الغاء أية رواية يشمّ منها رائحة ذكر لأبي تراب أو لأي من آل البيت الأطهار وإن كان مجرد ذكر أسمائهم الشريفة فقط. فالمستشرق مادولنك الألماني مع إنه معروف بدراساته عن التشيع وأئمة أهل البيت الأطهار يعتمد في جلّ آرائه الساخنة على الشهرستاني في كتابه الملل والنحل أو على أبن حزم الظاهري أو يحصر أجتهاداته على تفسير الطبري للقرآن الكريم أو رواياته التاريخية من دون مراعاة لأبسط عناصر منهج البحث العلمي الموضوعي الذي عوّدنا عليه في أبحاثه الأخرى كما سنبينه في ثنايا هذه الدراسة في تحليل أو مقارنة رواية الطبري في تاريخه أو في تفسيره برواية أو تفسير آخر وإن لم يكن مصدرا شيعيا على وجه الحصر. والتخصيص ضرورة علمية لا مفرّ منها إن كان هذا المستشرق أو ذاك الباحث العربي والمسلم موضوعيا وحصيفا. وإلّا فإن القارئ اللبيب من دون شكّ سوف لن يكترث كثيرا لما يدلي به من آراء وإستنتاجات. فلماذا نهج البروفسور مادولنك مثل هذا المنهج؟ في الوقت الذي تبنى فيه مستشرقون غيره سواءا من القدامى كأدوارد براون حين أشار على البروفسور المبشر دوايت دونالدسون وحثّه على أخذ معلوماته عن التشيع من المصادر الشيعية وأن يتابع دراساته

عن التشيع؛ وكذلك الحالة بالنسبة الى البروفسورين الإسرائيليين إيتان كوهلبرغ E.Kohlberg وميخائيل مائير بار -آشر ومحقّقي كتاب (التشيع) الأمريكيين بول لفت وكولن تيرنر Paul Luft and Colin Turner على ألأهمية البالغة في قراءة التشيع والحركة الشيعية ومعرفة المذهب الشيعي الإمامي من مصادره الأساسية وهي كثيرة ومتنوعة في حقولها المعرفية. ولنأتِ بمثالين يكشفان عن حقيقة خشية بله خوف الطبري المؤرخ الكبير من العباسيين في حقل مناقشتنا لمعنى آل البيت والمقصود بهم في القرآن الكريم وفي تاريخ القرن الأول للهجرة. فالطبري لم يجرؤ على الوقوف على رواية غدير خم ولا على خطبة رسول الله خطبة الولاية على المسلمين الذين كانوا معه كافة عندما ولّى الإمام عليّ الولاية. والبروفسور مادولنك عندما أشار الى حركة الردّة معتمدا بشكل أساس على الطبري فليكن منصفا وموضوعيا لأن الطبري ما كان إلّا جامعا وساردا للروايات وهو هاهنا يقتبس معلومات سيف بن عمر الأسيدي التميمي الكوفي الذي وصفه مؤلفو الجرح والتعديل من أهل السنّة بإنه كان غير ثقة وكذّاب بل وزنديق وطبع على الوضع واختلاق الأحاديث والروايات التاريخية. فقد اعتمده في كتابه المعروف (الفتوح الكبيرة والردّة) اعتمادا غير مباشر إنّما عن طريق السماع من كلّ من عبيد الله بن سعد الزهري المديني والسريّ بن يحيى الدارمي التميمي الكوفي. في الوقت الذي كان فيه كتاب سيف موجودا وقد رجع اليه المتأخرون في القرن الثامن الهجري. وتؤكد عدّة مخرجات تاريخية على تعمّد الطبري حتى على عدم ذكر أسم الإمام عليّ عليه السلام الذي ورد في كتاب سيف هذا. فأعتمادا على أبن حبيش الأندلسي مؤلف كتاب (الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكاملة في أيام الخلفاء الثلاثة الأول)، فإن ابن حبيش كان يعتمد مباشرة كتاب سيف إذ كان يمتلك نسخة منه. فقد ورد في الجزء الثاني من كتاب أبن حبيش نقلا عن سيف بن عمر على صفحة ٤، و٥ عدّة آحاديث مروية عن الإمام علي بما له علاقة بالردّة

لكنّ الطبري حذفها ولم يأت عليها[٣٣]. كذلك تأكد ليّ خلال البحث المشار اليه آنفا حول (قرآن الشيعة) المنشور في مجلة المصباح أن الطبري في تفسيره كان يغفل، والحقيقة، يتغافل تماما عن التفسير الأصلي لآية التطهير بأنها تخصّ آل بيت رسول اللهّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسينﷺ. وقد تكرّر موقف الطبري هذا أي تجنبه وتخوفه من التصريح مباشرة أو قريب من المباشر عن ذكر أي آية يقول فيها ابن عباس أو جابر بن عبد اللهّ الأنصاري بكونها نزلت في الإمام عليّﷺ.وهو دؤوب على تقديم الفاظٍ وأقوالٍ ضبابية ومنحرفة بكون هذه الآية أو تلك قد أنزلها اللهّ تعالى في الإمام أو في آله. وكما عبّرت عنه المستشرقة الإيطالية فاجيليري L.Veccia Vaglieri بصراحة إن تجاهل الطبري هذا أي عن إحجامه عن الإشارة الى فاطمة الزهراءﷺ خوفه مع غيره من المؤرخين من أن يقطع العباسيون ما يتقاضونه أو خوفا من عقوباتهم[٣٤]. مع كلّ هذا وأكثر فإن البرفسور مادولنك لا يرجع الى أي تفسير أو رواية ما عدا تفسير الطبري وروايته التاريخية. وهذا المنهج يعدّ منهجا غير موضوعي.

والمستشرق ولفريد مادولنك ألماني Wilferd Madelung وصف بكونه عالما بالتاريخ الإسلامي، وقد انتقلت عائلته الى أمريكا أمّا قبل سنة ١٩٤٧ أو بعدها. ودرس في جامعة جورج تاون. وفي سنة ١٩٥٢ سافر الى مصر، وهناك التقى بالأستاذ المحقّق الكبير إحسان عباس. بعدها سافر الى العراق سنة ١٩٥٨ وبقي مدة سنتين. درس الدكتوراه تحت إشراف المستشرق المعروف بتخصّصه عن إيران وآسيا الوسطى خلال تاريخ العصور الوسيطة شبولر Spuler. ومادولنك أستاذ الدراسات العربية في جامعة

(٣٣) ابن حبيش الأندلسي: كتاب الغزوات الضامنة الكاملة والفتوح الجامعة الحافلة الكاملة في أيام الخلفاء الثلاثة الأول(تحقيق د. سهيل زكار، بيروت، ١٩٩٢ جزء٢ ص٤، ٥. (المترجم).

Fatima) in Ency. of Islam) (٣٤) (New Edition) Vol.2Pp841 .-850. ByL.Veccia Vaglieri (المترجم).

اكسفورد من سنة١٩٧٨ -١٩٩٨. ألّف الكثير من الأعمال عن التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية كالشيعة والإسماعيلية، وأسهم في هيئات تحرير عدد من المجلات الأكاديمية. وهو أستاذ باحث في معهد للدراسات الإسماعيلية في لندن- The I stitute for Ismaili Studies. ومن بين مؤلفاته ما يأتي:-

١. نصوص عربية متعلقة بتاريخ الأئمة الزيديين في طبرستان والديلم وجيلان سنة١٩٨٧.
٢. الأتجاهات الدينية في إيران في الفترة الإسلامية المبكرة في ١٩٨٠.
٣. الحركات الإثنية والدينية في العصور الإسلامية الوسطى في سنة ١٩٩٢.
٤. هرطقة إسماعيلية طبع في ليدن ١٩٩٨ بالأشتراك مع البروفسور بول وولكر ..P.Walker
٥. ظهور الفاطميين:- شاهد شيعي معاصر طبع في سنة ٢٠٠٠بالأشتراك مع بول وولكر.
٦. الإمام القاسم بن إبراهيم والزيدية. باللغة الألمانية في سنة ٢٠٠٢.
٧. المدارس الدينية والفرق في الإسلام المعاصر في سنة ٢٠٠٢.

وسأقوم -بعون الله -بترجمة البحث وفي الوقت نفسه أقدم مداخلاتي المتواضعة بحسب المواضع التي تقتضيها الضرورة بالمداخلة. فضلا عن ترجمة حرفية للأيات القرآنية الكريمة كما ترجّمها المستشرق الى اللغة الإنجليزية ومن ثمّ ندوّن النصّ القرآني، بين معكوفين، بغية تعيين مواطن الضعف والقوة في نقل المستشرق لآيات اللهّ تعالى.

يبدأ المستشرق مادولنك W.Maduleng بحثه عن آل البيت في القرآن الكريم بتكرار ما قاله كلّ من المستشرق الإيطالي كيتاني L.Caetani في كتابه حوليات الإسلام Annali dell Islam [٣٥] وهنري لامانس في كتابه ((Fatima et les Filles de Mahomet بإن المقصود بالآية رقم

(٣٥) L.Caetani: Annali dell'Islam (Milan 1905 -1925. Vol.X. p.470. According to Madelung، (المترجم).

٣٣من سورة رقم ٣٣، أي آية التطهير في سورة الأحزاب، بكونها تشير حصرا الى ازواج رسول الله ﷺ[٣٦]. فالمستشرق مادولنك قد استهّل بحثه بتقليده فرضية كيتاني ولامانس التي اعتمدت على تفسير الطبري من دون تمحيص أو الرجوع الى تعقيب البرفسور ترتونTritton الدقيق الذي يفيد بأن صيغة الضمير في هذه الآية، أي آية التطهير، هي صيغة الجمع المذكر في الوقت الذي جاءت صيغته في الآيات التي سبقتها على صيغة الجمع المؤنث[٣٧]. ونوّد إضافة أمر مهم آخر وهو إن الآيات السابقة تشير الى ما فرضه الإسلام على أمهات المؤمنين -زوجات النبي ﷺ - من فروض أخلاقية وإيمانية وأجتماعية وعبادية بصيغة "تبرجنّ" و "قرنّ" في حين انتقلت الآية، آية التطهير، الى ما يريده اللهّ من أفراد بيته الأقربين ومن اولاده وأرحامه، بمعنى ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ﴾ و (ليطهركم).

وخصّص المستشرق مادولنك موضوعا جانبيا تحت عنوان (التزامات صلة الرحم والتزامات آل بيوت الأنبياء في القرآن).[٣٨] فيذكر بإن القرآن يشدد كثيرا على الواجب الملقى على المسلمين كافة بهدف صيانة الدين الحنيف وأكّد على وضعية أولي الأرحام وعلى عدم التهاون في مسألة روابط قرابة الدم وأولي الأرحام والأقربين. ففي عدّة مقاطع (هنا يريد المستشرق الآيات) يفرض اللهّ على المؤمن العمل الصالح كالاحسان إزاء الأقرباء المقربين؛ وأن يساعدهم وأن ينهض بأعبائهم. ففي سورة ١٦ آية٩٠ يقول اللهّ -بحسب ترجمة الآية عند المستشرق ثمّ بعد ذلك سأذكر النصّ القرآني الكريم محاولة منيّ إظهار الفهم الصحيح أو الخطأ

(٣٦) H.Lammens: Fatima et le Filles de Mahomet(Rome ،1912) P.99. As cited by W.Madelung. (المترجم).

(٣٧) Lammens ;ibid. ;Tritton: (Ahl al -Kisa) in Ency. Of Islam. Op.Cit. (المترجم).

(٣٨) الطبري؛ جامع البيان في تفسير القرآن (تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر، القاهرة، ١٣٧٣ -١٣٨٨/ ١٩٥٥-١٩٦٩)مجلد ١٤ ص٨٩.

للمستشرق في النصّ المقدس -(ومن المؤكد إن اللهّ يأمر بالعدل وعمل الخير وإيتاء أهل القربى ويحظر البغض والمنكر والإثم). ويقصد المستشرق بذلك ما ورد في [سورة النحل: ٩٠] إذ قال عزّ من قائل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. فيلاحظ أنه استخدم كلمة abominable لترجمة كلمة الفحشاء في حين ان هذه الكلمة في القاموس تعني االبغض) وترجم البغي بكلمة - tran gression وهذه تترجم حرفيا بالإثم. ويستمر المستشرق قائلا وحسب ما ورد في القرآن في كثير من الأحايين بإن الأقارب المذكورين في هذا السياق مرافقا لليتيم والفقير، أي المسكين، وابن السبيل يعكس إن هؤلاء فقط هم المؤهلون لسخاء وكرم المؤمنين. ومهما يكن فإن هؤلاء كانو يذكرون بانتظام ممّا يدل على إنهم المستفيدون بالمكان الأول عن غيرهم؛ فيقول اللهّ (واعط القريب حقّه والمسكين وابن السبيل. وهذا هو الأفضل بالنسبة الى اولئك الذين ينشدون الدعم والتأييد من اللهّ. وإنهم سوف يكونوا مترفين) سورة١٧ آية٢٦. (ويقصد المستشرق ما جاء في [سورة الإسراء: ٢٦] إذ يقول اللهّ سبحانه وتعالى ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾؛ فالزيادة بعد ذلك هي من المستشرق وليس هناك من ذكر لها في الآيات السابقة أو اللاحقة. ولعل المستشرق يقصد بذلك آية أخرى). ويتوقف(البرّ ويكمن في إعطاء المال في حبّ اللهّ الى ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والمعدوم وتحرير العبيد) سورة ٢ آية ١٧٧. (وهي [سورة البقرة: ١٧٧] قال اللهّ ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ فالملاحظ إن البرفسور

مادولنك قد ترجم وفي الرقاب الى التعبير الإنجليزي manumission of slaves التي تعني تحرير العبيد أو تحرير الرقيق). وحينما يسأل المؤمن محمد ما الذي ينبغي أن ينفق in charity في الصدقة عليه أن يقول (ما أنفقتم من صالح، فإنه للوالدين والأقربين واليتامى والفقير وابن السبيل. وما تفعلوه من خير، فالله يعلمه) سورة ٢ آية ٢١٥. أي [سورة البقرة: ٢١٥] يقول عزّ من قائل ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾.

فتلك الآية بمعناها الأوسع تؤكد بأن الأقربين ينبغي معاملتهم معاملة صالحة من الإحسان والحبّ والمودة وقد جاء في القرآن (وأذكر، فقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل: أن لا تعبدوا إلهٍ آخر غير الله، وعامل الوالدين بالإحسان والأقربين واليتامى والمساكين. وتحدث بشكل طيب الى الناس وأقم الصلاة وأعط الزكاة) سورة٢ آية ٨٣. كذلك أمر الله المسلمين (أن يعبدوا الله ولا يلحقوا بالوالدين ضررا وأن يعاملوا الأقربين واليتامى والمحتاجين والمولى القريب بإحسان(أي الجار ذي القربى في أصل الآية الكريمة) والجار الغريب، والجار الذي الى جنبك وابن السبيل وعبيدك أو ورقيقك) سورة ٤ آية ٣٦. ويقول مادولنك مضيفا؛ فالأقرباء واليتامى والمساكين -الفقراء—مخولون لأن يعاملوا بإحسان عندما يحضرون أثناء توزيع الميراث للمتوفى (سورة ٤ آية ٧ -٨. (والمقصود [سورة النساء: ٧ -٨] إذ يقول الله تعالى ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾. فمن الجلي الواضح إن الأقارب لا حقّ لهم بالمشاركة في الميراث كما تنصّ هذه الآية.

فالإحسان الى ذوي القربى ودعمهم ماديا قد ميّزها القرآن كالتزام ديني أساسي. وعل أية حال فإن هذا الالتزام لم يكن من دون شرط؛ إنه يطبق عمليا لذوي

القرابة الذين أصبحوا مسلمين فقط. ففي سورة التوبة حذّر الله المؤمنين قائلا (يأيها الذين آمنوا، لا تتّخذوا أباءكم وإخوانكم كأولياء إن فضّلوا الكفر على الإيمان. اولئك الذين اتّخذوهم أولياء، فإنهم هم الخاطئون. فإن كان أباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وعشيرتكم وثرواتكم التي كسبتموها أو تجارة تخافون إنحطاطها، ومساكن تحبونها هي أعزّ لديكم من الله ورسوله ونضال أو جهاد في سبيله، إذن انتظروا حتى يحدث الله أمره. والله لا يرشد الناس الذين يذنبون أو يأثمون) سورة ٩ آية ٢٣ -٢٤. (والمقصود [سورة التوبة: ٢٣ -٢٤] فيها يقول الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾. وهنا نلحظ أن المستشرق مادولنك قد ترجم (من يتولّهم) بتعبير who take them وهو تعبير لا يتطابق تماما مع التعبير القرآني. كذلك ترجم (استحبوا) بكلمة prefer ومعناها يفضّل أو يعطي الأولوية. وكذلك فإنه اغفل كلمة (وإخوانكم) فلم يترجمها. وترجم تعبير(وجهاد في سبيله) بكلمة striving ويقصد بها يكافح أو يناضل أو يجاهد بمعنى المجاهدة لا الجهاد. وترجم (الظالمون) بكلمة wrongdoers وهذه الكلمة تعني الآثمون أو المعتدون. وترجم (الفاسقون)بتعبير who offend التي لا تدلّ دلالة مباشرة على التعبير القرآني فهو يعني ذلك الذي أذنب أو الذي أزعج وأغضب). ويعقب المستشرق على هذه الآية بقوله إنه لم يسمح للنبي حتى الصلاة والأستغفار على ذوي القربى الذين أخفقوافي الألتحاق بالإسلام، فيقول الله (إنه ليس من الملائم بالنسبة الى النبي والذين آمنوا أن يصلوا للأستغفار لأولئك الذين يجعلون set up مع الله شركاء، حتى وإن كانوا ذوي قربى، بعد

أن يتضح لهم بأنهم من أصحاب الجحيم. وإن إبراهيم قد صلّى ليستغفر لأبيه فقط لأنه تعهد عهدا له. ولكن بعد أن صار واضحا له إنه كان عدوّا لله، أنفصل عنه) سورة ٩ آية ١١٣ -١١٥. (وهذه هي [سورة التوبة: ١١٣ -١١٥] يقول فيها اللهّ تعالى ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

فنلحظ في ترجمة المستشرق لهذه الآية أنها لا تنطبق معانيها مع ما ورد في القرآن الكريم مثلا: -إنه لم يترجم بداية الآيتين (ما كان)، كذلك ترجم (المشركين) بتعبير who have fail to join Islam بينما هنالك عدّة كلمات أقرب من تلك العبارة تدلّ على المشركين. وترجم (الموعدة) بتعبير a promise التي تعني وعد أو تعهد). وفوق هذا وذاك فعلى المؤمن أن لا ينحرف عن الأمانة والصدق والعدل حتى وإن كان ذلك في صالح والديه وأقاربه المقربين؛ فيقول اللهّ (يا أيها الذين آمنوا اتّخذوا موقفا ثابتا في العدل، كشهود عند اللهّ وحتى وإن كان ذلك هو ضدّكم أو ضدّ الوالدين والأقربين إن كان غنيا أو فقيرا، لأن اللهّ هو أقرب من كليهما. ولا تّتبعوا العاطفة والهوى بديلا عن العدل) سورة ٤ آية ١٣٥. (والسورة المقصودة هي [سورة النساء: ١٣٥] يقول فيها اللهّ تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾. فالأستاذ مادولنك قد ترجم هذا الجزء من الآية الكريمة (كونوا قوامين بالقسط) بجملة غير معبّرة عن الآية الكريمة وهي stand firmly for justice -بمعنى قف استقم ثابتا من أجل العدل -. وترجم تعبير الآية الكريمة ﴿ فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ الى جملة غير واضحة

لا تلبي سمو الآية الكريمة وهيGod is closest to them both بمعنى حرفي اللهّ أقرب كثيرا جدا الى كلّ منهما). ثمّ يستمر المستشرق قائلا: وبصورة عامة فإن المؤمنين يحثّون أو يشجعوّن على إداء الألتزام بذلك فيقول اللهّ (وحيثما تولوا أو تتحدثوا فكونوا عادلين حتى وإن كان ذلك من ذوي القربى) سورة ٦ آية ١٥٢.(والمقصود [سورة الأنعام: ١٥٢] إذ يقول اللهّ تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾؛ فالقارئ المتأني سوف يعثر على الهفوات التي وقع فيها المستشرق).

ويستمر المستشرق في عرضه قائلا: ومهما يكن من أمر فإنه وضمن هذه الحدود والقيود يكون من حقّ الأسرة الرعاية والإحسان والفضل والدعم الماديّ، فهو حق مطلق وبيّن ويعطى الأولوية على أي نوع آخر من الروابط الطوعية والأختيارية إن كان في الولاء أو التحالف فيقول اللهّ (لأولي الأرحام روابط وثيقة فهم أولى ببعضهم البعض الآخر في كتاب اللهّ من المؤمنين والمهاجرين. وما على أية تعملوا أو تفعلوا إحسانا الى أوليائكم. وهذا هو مدوّن في الكتاب). سورة رقم٣٣ آية ٦. (والمستشرق يشير الى [سورة الأحزاب: ٦] التي قال فيها العليّ القدير ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾. والمعروف إنه بعد الهجرة، هجرة المسلمين الى المدينة أسّس الكثير منهم -في المؤاخاة التي نظّمها محمد -تحالفات ومواثيق شكلية مع المدينيين والمسلمين الغرباء الآخرين وذلك من أجل التعويض عن غياب روابط الدم (أولوا الأرحام) تلك للذين بقوا على شركهم. والقرآن يذكر في هذا المجال (بالتأكيد، اولئك الذين آمنوا وهاجروا وحاربوا بأموالهم وبأنفسهم في

سبيل اللهّ واولئك الذين وفّروا الحماية لهم وساعدوهم فإنهم أولياء بعضهم للآخر كالذين آمنوا ولكنهم لم يهاجروا، فليس لك من رابطة تحالف أو عقد معهم أبدا حتى يهاجروا، لكن إذا سألوك مساعدتهم في الدين، فمن واجبك مساعدتهم، ماعدا ضدّ أناس بينك وبينهم ميثاق. واللهّ يرى ماذا تفعل، الكفّار بعضهم للبعض الآخر. وما لم تفعل هذا (أي مساعدة المسلمين الآخرين) يكون فيه إغراء أو فتنة (للإرتداد) في الأرض وفساد كبير. فهؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وحاربوا في سبيل اللهّ واولئك الذين حموّا وساعدوا، همّ المؤمنون حقّا ولهم مغفرة ومساعدة أو رزق كريم) سورة ٨ آية ٧٢ -٧٤. (وهي [سورة الأنفال: ٧٢ -٧٤] إذ يقول البارئ عزّ وجلّ فيها ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۖ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾. فالملاحظ هنا إنه قد ترجم النصّ القرآني ترجمة فيها عدد من المفاهيم غير الصحيحة من وجهة نظر التفسير، فمثلا على ذلك إنه فهم المؤاخاة بكونها حماية الأنصار للمهاجرين to shelter فتعبير (آوى) القرآنية لا يقصد منها الحماية. كذلك عبّر عن الجهاد بتعبير to fight بمعنى القتال والمحاربة وهذه الكلمة لا تعكس الروحانية المقدّسة لمفهوم الجهاد في الإسلام. كذلك فالمستشرق فهم للفتنة على أنه إغراء وإغواء - tempt tion بل هي شرك أو بلاء). ويقول: إن هذه الآيات قد أسّست تكافلا أو تضامنا بين المسلمين -المكيين المهاجرين والمدنيين الأنصار -فقد تجمعوا في مجتمع المدينة. مع أن الآية رقم ٧٥ من السورة ذاتها التي تلي المقاطع(المستشرق يسمي خطئا الآيات السابقة لأية ٧٥ بالمقاطع وهو

في هذا غير دقيق) التي يبدو أنها أضيفت ححقا قد لطّفت أو عدّلت - mod fied المعنى لصالح أولي الأرحام حتى وإن كانوا قد انضموا الى مجتمع المدينة في تاريخ لاحق: -اولئك الذين آمنوا من بعد وهاجروا وقاتلوا (التي جعلها المستشرق بديلا لفعل وجاهدوا وهو غير صحيح) معكم، إنهم منكم. وأولوا الأرحام الى بعضهم الآخر في كتاب الله) سورة ٨آية ٧٥.(أي [سورة الأنفال: ٧٥] فيها يقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴾. فالجملة الثانية، اعتمادا على مفسريّ القرآن، بشكل خاصّ تجدد أو تعيد الحقّ في توريث ذوي القربى وتتجاهل عن المواثيق والتحالفات الأولى التي عقدت مع الغرباء أو الأجانب[٣٩].

(هاهنا لابدّ من وقفة مناقشة لما أبداه المستشرق مادولنك بإن هذا الجزء من الآية الكريمة مضاف في فترة لاحقة من دون أن يوضح أمرا خطيرا وغامضا فهل يعتقد المستشرق بإن القرآن الكريم عندما أختتم بوفاة رسول الله ﷺ قد تعرّض، كما تعرّض الحديث الشريف، الى عملية إضافة أو تعديل أو تحوير؟ ومتى حدث هذا بالضبط لا بمجرد ترجيح أو احتمال؟ ومن هو الشخص أو الأشخاص الذين أجروا عملية التعديل هذه على القرآن الكريم. إنه رأي قد وقفت عليه وناقشته في بحثي الموسوم "المستشرقون وإشكالية قرآن الشيعة أو قرآن فاطمة"[٤٠].

(٣٩) الطبري؛ جامع البيان في تفسير القرآن (القاهرة، ١٣٢١/ ١٩٠٣) مجلد ١٨ ص٧٢-٧٣.ومسطح هو عوف بن أثاثة بن عبّد بن المطّلب (ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تميز الصحابة(القاهرة، ١٣٢٣ -١٣٢٥/ ١٩٠٥ -١٩٧١=.

=مجلد ٦ص٨٨؛ الزبيري، كتاب نسب قريش(تحقيق E.Levi -Provencal/ القاهرة، ١٩٥٣) ص ٩٥. وكونه مطلبيّا فإنه كان مخولا أيضا لعمّ من النبي بخمس الغنيمة والفيء؛ كذلك فقد ذكر بإنه كان من بين الذين يتسلمون من انتاج خيبر ممن حصة محمد. ينظر" - The Hash miyyyat of al -Kumayt and Hashimi Shiism' in Studio Isl- amica 7011989، pp. 5 -26 at 12 .(and n.36

(٤٠) R.Paret; "Der Plan einer

وفي قصص الأنبياء السابقين، كما أشير اليها في القرآن، فإن عوائلهم أو أهل بيوتهم قد أدّوا دورا بارزا. فالعوائل أو(أهل بيوت الأنبياء) قد وفّروا بصورة عامة المساعدة والعون لأنبيائهم ضدّ الخصوم من بين أفراد قومهم. وبعد وفاة الأنبياء، فإن ذريتهم صاروا هم ورثتهم الروحانيين والمعنويين. فالأنبياء قد سألوا اللهّ أن يمنحهم مساعدة وعون أفراد أولي أرحامهم، وصلّوا من أجل الرعاية السماوية لذوي قرباهم ولذرياتهم. وأبناء بني إسرائيل كانوا في الواقع جميعهم منحدرين من عائلة واحدة من آدم ونوح ثم بعد ذلك وصولا الى المسيح؛ فيقول اللهّ (حقّا، إن اللهّ اختار آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين، كذلك ذرية بعضها من بعض)سورة ٣ آية٣٣ -٣٤. (أي سورة آل عمران حيث قال اللهّ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. وهكذا نلحظ بإن المستشرق قد أفحم كلمة حقّا في الآية الكريمة). ويمضي المستشرق في بحثه قائلا: وبعد هذه القصة تذكر قصة موسى ونوح وإبراهيم وأدريس فيضيف القرآن قائلا (اولئك كانوا الأنبياء الذين منحهم اللهّ إحسانه لذرية آدم ولاولئك الذين حملناهم في (سفينة) نوح، ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل، واولئك الذين هديناهم واخترناهم)سورة ٢٩آية٥٨. (أي [سورة مريم: ٥٨] التي يقول اللهّ فيها ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ فنلاحظ إن المستشرق لم يترجم جميع الجزء المتبقي من الآية الكريمة).

ويقول المستشرق: إن سلسلة الأنبياء وآلهم قد تمّ وصفها بصورة أكثر تفصيلا في الآيات اللاحقة لآية ٥٨ في سورة٥٩ قال اللهّ (وقد أعطيناه -يقصد إبراهيم—

neuen kommentierten ko-ranubersetzung" inOrienalis -tisch Studien Enno Littmann ،zu seinem 60.Geburtstag ed.R.Paret (Leiden ،1935) .at127 -130 ،Pp121 -130

إسحاق ويعقوب وقد هدينا جميعهم. وقبله هدينا نوحا وذريته وداود وسليمان وأيوب Job ويوسف وموسى وهارون. وهكذا نجازي اولئك الذين يفعلون خيرا. وزكريا ويحيى John وعيسى وإلياس وجميعهم من الصالحين، وإسماعيل واليشع El - sha ويونس Jonah ولوط وكلا فضّلنا على العالمين، -وبعض -آبائهم وذرياتهم وإخوانهم قد اخترناهم وهو يهديهم الى الطريق المستقيم.ذلك هوهداية من اللّه الذي يهدي من يشاء من عباده. ولكنّ إذا أشركوا به مهما يكن قد فعلوا ستحبط أعمالهم. إنهم اولئك الذين أعطينا الكتاب أو الحكم rule والنبوة)سورة٦ الآيات من٨٤ -٨٩. (ويقصد [سورة الأنعام: ٨٤ -٨٩] إذ يقول اللّه سبحانه ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾. وهكذا نلاحظ إن البروفسور مادولنك قد ترجم كلمة ووهبنا الى and we gave him بمعنى وأعطينا).

ويستمر قائلا: فنوح قد نجى مع أهله بينما البقية من قومه، أو الأغلبية العظمى منهم قد غرقوا في الطوفان بسبب آثامهم، فيقول اللّه (و -تذكّر -نوح عندما التمسنا في وقت سابق، واستجبنا له ونجيناه وأهله من الكارثة أو النكبة العظمى. وساعدناه ضدّ القوم الذين تعاملوا مع علاماتنا كأنها أكاذيب، إنهم كانوا قوما أشرار، لهذا أغرقناهم أجمعين).سورة ٢١ آية ٧٦ -٧٧ (أي [سورة الأنبياء: ٧٦-٧٧] قال اللّه تعالى ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ

﴿ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ فنلاحظ إن المستشرق ترجم (إذ نادى) بكلمة لا تعطي نفس المفهوم implored التي تعني التمس أو طلب. كذلك ترجم كلمة(كرب) بكلمة خخرى لا تعطي نفس الدلالة وهي – d saster). ثم يقول: وأمر اللهّ نوحا (ضع فيها –السفينة –من كلّ زوجين وأهلك ما عدا اولئك الذين سبق أن أشارت اليهم الجملة –وهنا يسمي المستشرق الآية بكلمة جملة –السابقة.ولا تخاطبني بشأن الذين كانوا ظالمين.سوف يغرقون) سورة رقم٢٣آية٢٧، وينظر سورة ١١آية ٤٠. (أي [سورة المؤمنون: ٢٧] وكذلك ينظر [سورة هود: ٤٠] فيقول الباري عزّ وجل ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٢٧]. أمّا السورة الأخرى فهي [سورة هود: ٤٠] التي جاء فيها ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ فالمستشرق لم يترجم (وفار التنور)، كذلك ترجم الآية (إلّا من سبق عليه القول) بتعبيرلا يتوافق مع ما ورد في الآية الكريمة فترجّمها الى: –except for those of them against whom the sentence has already gone forth بما ترجمته حرفيا في النصّ الذي أورده المستشرق). ويستمر المستشرق قائلا: كانت زوجة نوح وأحد أبنائه مبعدين من ركوب الفلك ومن النجاة، على الرغم من التماس نوح ربه ومناشدته إياه من أجل ابنه (ودعا نوح ربه وقال: أو(O) ربي بالتأكيد إن ابني من أهلي، وإنّ وعدك الحقّ، وإنك أعدل الحاكمين. قال –اللهّ –: أو(O) نوح إنه ليس من أهلك، وبالتأكيد إنه عمل غير صالح. فلاتسألني ما لم لك به علم)سورة١١آية ٤٥ –٤٦. (وهي [سورة هود: ٤٥ –٤٦] إذ قال تعالى﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ

بِهِۦ عِلۡمٞۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾.

وهكذا نلاحظ أيضا إن المستشرق قد أستهلّ الآيتين الكريمتين باستهلال (O Noah) الزائدة عن الآية الكريمة فليس في التعبير الذي أبداه النبي نوح عليه السلام أي تعجب. كذلك فقد أدخل المستشرق كلمة surely في حالتين وليس هناك أي مجال في الآيات لهما؛ إمّا قول الله تعالى ﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ ﴾ فقد ترجمها ترجمة لا تتوافق والآية الكريمة. فضلا عن ذلك فقد ترجم الحاكمين بما يماثل الحاكم= القاضي ولكنّ الكلمة تفسّر بكونها أحد أسماء الله تعالى الحسنى الحاكم= المهيمن...الخ).

وما يماثل ذلك في مسألة آل النبي لوط فقد نجحوا معه بينما أبيد أو محق قومه ومدينته، قال الله (قوم لوط فإنهم تعاملوا مع التنذيرات على أنها أكاذيب فأرسلنا ضدّهم وابلا من المطر من الحجارة، ما عدا آل لوط. فنجيناهم أثناء الفجر، فضل منّا. وهكذا نجزي اولئك الذين يشكرون)سورة رقم٥٤آيات ٣٣-٣٥. (وهي [سورة القمر: ٣٣-٣٥] قال الله فيها ﴿ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ۝٣٣ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ۝٣٤ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴾ هنا أيضا نلحظ إن المستشرق قد ترجم حاصبا بتعبير هو a shower of stones كالذي ترجمناه(وابل من مطر من الحجارة) وحقيقة الأمر إن حاصبا تعني ريحا ترميهم بالحصباء. كما ترجم بسحر ترجمة يفهم منها الفجر at down، وهناك اختلاف بين انصداع الفجر وبين الفجر نفسه). ويستمر المستشرق في بحثه فيقول: وآل لوط قد نالوا حالة من الطهارة والنقاء بحيث تميّزوا عن الناس العاديين. وعندما أنّب أو لام لوط قومه لأنهم استسلموا للعمل الشائن—فكان الجواب الوحيد من قومه أن قالوا: اطردوا آل لوط من بلدتنا. إنهم فعلا قوم يطهرون أنفسهم. لكن نجيناه وأهله، ما عدا زوجته. أردنا أن تكون من اولئك الذين ظلّوا خلفنا) سورة ٢٧آيات ٥٦ -٥٧. (وهي [سورة النمل: ٥٤ -٥٧] إذ قال عزّ من قائل ﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ ۝٥٤ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ

أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٥٧﴾. ويلاحظ إن المستشرق استخدم كلمة town في مقابل تعبير قريتنا والكلمة التي استخدمها أقرب الى المدينة أو البلدة من القرية. واستخدم فعل expel للتعبير عن فعل اخرجوا، بينما ترجمة هذه الكلمة الإنجليزية اطردوا. كذلك عبّر عن وضعية زوجة لوط عليه السلام بتعبير(ان تكون من اولئك الذين ظلّوا في الخلف) إلّا أن ما ورد في الآية ﴿قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ بمعنى حكمنا عليها بجعلها من الباقين في العذاب). واستمر المستشرق قائلا: وزوجة لوط مثل زوجة نوح قد عوقبت لأنها خانت زوجها.فقال الله (ولقد ضرب الله مثلا للكافرين زوجة نوح وزوجة لوط. كانتا زوجتين لأثنين من عبيدنا الصالحين لكنهن خانتاهما. ادخلا النار مع اولئك الذين سيدخلونها) سورة٦٦آية١٠. (وهي [سورة التحريم: ١٠] إذ يقول سبحانه وتعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.

نكمل الترجمة في العدد القابل إن شاء الله تعالى.



مُعجِزَةُ خَلْقِ آدَمَ وَعيسى (عليهما السّلام)

-دراسةٌ قرآنيةٌ-

د. علي رحيم هادي الحلو
جامعة كربلاء – العراق

ملخص البحث

البحثُ دراسةٌ قرآنية تحليلية ودلالية ونحوية حيث نجد فيه السيد الباحث يرى أن من معجزات القرآن الكريم، بسط قصة خلق النبيَّيْنِ آدم وعيسى -عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام- وقد احصى مواطن ورود اسميهما ودلالة ذلك في تلك المواطن.

بدأ البحث -بعد المقدمة- بالمبحث الاول الذي تناول المعنى اللغوي للاسمين الكريمين. وفي المبحث الثاني، وقف عند الآيات وخصوصاً الآية (٥٩) من سورة آل عمران.

وجاء المبحث الثالث بأهم النتائج التي توصل اليها البحث ولا سيما من تحليل الآية المشار اليها.

واختتم بسرد مراجع البحث ومصادره.

مقدمة

الشكر لله سبحانه الذي جعلنا من الراغبين في تدبّر آيات تنزيله الحكيم، والراجين توفيقه في هذا التدبّر، والنُّجحَ فيما نرجو منه، إنّه نِعم المولَى، ونِعمَ المعين.

إنّ أسلوب القرآن الكريم أسلوب مُعْجِزٌ مقصود، هذا أمر لا خلاف فيه بين العلماء، بل هو ما أجمعت عليه الأمة. وإنْ جاء بلغة العرب من حيثُ ألفاظُه، وتراكيبُه، وتعبيراتُه التي كانت بأعلى درجات البلاغة العربية، وبأروع بيانها، وبأبلغ صورها.فكان أسلوبُه السِّحرَ الحلال بيانًا، ومعنًى، وغايةً، وأحكامًا، وإحكامًا، ولم يستطع أساطين العربية: كتابٌ وشعراء وخطباء ومتكلمون وقادة، بل وكهنة. .من الصَّمْد أمام تحديه في مراحل التحدي كلّها، حتى عجزوا عن الإتيان بمثله قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة الطور: ٣٣ - ٣٤].، ولا بعشر سورٍ من مثل سوره قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ ﴾ [سورة هود: ١٣]، ولا بسورة من مثل سوره قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [سورة البقرة: ٢٣]. وقوله جلّت قدرتُه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [سورة يونس: ٣٨].

ومعلوم أنّ سورةَ الكوثر مكونةٌ من ثلاثِ آياتٍ قصار، وتعدّ أقصر سور القرآن الكريم، وعلى الرغم من ذلك فإنّ الكفارَ ـ وكذا أهل الكتاب ـ عجزوا عن الإتيان بمثلها، وأنّى لهم ذلك؟ ! وقد قرر القرآن الكريم عجزَ الإنس والجن عن الإتيان بمثل كلام الله تبارك وتعالى قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: ٨٨].

لقد بهر القرآن الكريم كلَّ دارسيه، ومُتدبّريه.بل كلّ مَن سَمِعَه. ولمّا كان القرآن مائدةً فيها كلّ شيء من طعام للجسد والروح، ونظام للحياة. .فهو لما يُصلِح البشر في الدنيا ويُسعدهم، ويقودهم إلى جِنان الخُلدِ؛ لذا تنوّعت أبحاث العلماء فيه، ولا سيّما معاجزه التي لا تنتهي.

المبحث الأول

معنى اسمَي: آدم وعيسَى عليهما السلام.

أوّلا: اسم آدم عليه السلام

اسم لأول إنسان، وأول نبيٍّ بعثه الله سبحانه، وهو المخلوق على غير مثال سبقه، ومن دونما أبٍ وأُمٍّ. وفي صوغ لفظه واشتقاقه آراء، والذي أميل إليه أنه عَلَم (معرفة) ليس مُشتَقًّا.

قال ابن فارس: (يقال: أَدَم، يَأْدِم، أَدْمًا..قال أبو عبيد: ولا أرى هذا إلا من أَدْم الطعام؛ لأن صلاحَه وطيبَه إنما يكون بالإدام، وكذلك يقال: طعام مأدوم. ومن هذا الباب قولهم: جعلت فلانا أدمة أهلي، أي: أُسْوَتهم، وهو صحيح، لأنه إذا فعل ذلك فقد وفق بينهم. والأدمة الوسيلة إلى الشيء، وذلك أن المخالف لا يتوسل به. فإن قال قائل: فعلى أي شيء تحمل الأَدَمَة، وهي باطن الجلد؟ قيل له: الأدمة أحسن ملاءمة للَّحْم من البشرة؛ ولذلك سمي آدم عليه السلام؛ لأنه أُخِذ من أَدَمَة الأرض.. والعرب تقول: مُؤْدَمٌ مُبْشَرٌ، أي: قد جمع لِينَ الأَدَمَة وخُشونَة البشرة، فأما اللّون الآدَم؛ فلأنه الأغلب على بني آدم، وناس تقول: أديم الأرض، وأَدَمَتُها: وجهها)[1].

وقال ابن منظور: (ويقال: بينهما أُدْمَةٌ ومُلْحَة، أي: خُلْطَةٌ، وقيل: الأُدمة: الخُلْطَةُ، وقيل: الموافقة. والأُدْم: الألْفة والاتفاق..وأَدَم: لأَمَ، وأصلَح، وأَلَّف، ووفّق، وكذلك آدَمَ يُؤْدِم - بالمد، وكل موافق إدام. قالت غادية الدُّبيرية: كانوا لمن خالطهم إداما)[2].

ويقول المصطفوي: (إنّ الأصلَ في المادّة هو خلطٌ يُوجِبُ إصلاحًا، وملاءمة. ومنه خبزٌ مَأْدُومٌ، وإدام الطعام.

وكلمة آدم عربيّة على أفْعَل، وهي مأخوذةٌ من العبرانيّة والسريانيّة بتغيير مختصر، وتصرّف وتعريب.

ثم إنّ ما يُقوى في النظر أنّ الكلمة أُطلقت عليه عليه السلام أوّلاً بعدّ معناه الوصفي، لا بعنوان العلميّة، ثم جعلت علمًا له بالغلبة.

(١) مقاييس اللغة١/ ٧١ -٧٢، مادة (أدم). وينظر: المفردات/ ١٤. وأساس البلاغة/ ٤. ومختار الصحاح/ ١٠ -١١. والمصباح المنير١/ ٩. والمعجم الوسيط١/ ١٠. والمعجم الوجيز/ ١٠.

(٢) لسان العرب١/ ١٠٢، وما بعدها، ، مادة (أدم).

ومن الآيات التي استعملت هذه الكلمة فيها بعنوان العَلَميّة الشّخصية قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[سورة آل عمران: ٣٣]..فالكلمة استعملت فيها علمًا كـ: نوح، وعيسَى عليهما السلام، والحكم [الاصطفاء، المِثليّة] أيضًا مخصوص به، ولا يمكن تعميمه بسائر بني آدم. .

وليُعلم أنّ إطلاق كلمة -آدم -في القرآن الكريم واقع في موارد تقتضي الإشارة إلى فطرته الأصلية السليمة الصافية، وخلقته الطاهرة الخالصة؛ فإنها أوّل كلمةٍ أُطلقَت عليه بعد قوله تعالى: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[سورة البقرة: ٣٠]، وهذا بخلاف كلمة البشر والإنسان؛ فإنّ إطلاقهما عليه باعتبارات عَرَضيّةٍ ثانويّة، بتناسب المادّتين)[٣].

ورد اسم (آدم) في (٢٥) خمسة وعشرين موضعًا[٤] من القرآن الكريم.

ثانيًا: اسم عيسى عليه السلام

هو المسيح نبيُّ الله، وهو المخلوق من دونما أبٍ بأمر الله سبحانه، ولكنه مولود من رَحِم مريمَ العذراء عليها السلام بقدرة الله وحكمته. واسم عيسى، قيل: اسم أعجمي علم لا يصرف؛ للعجمة والعلمية، وقيل هو مشتق من العيس وهو بياض يخالطه شقرة.

قال الخليل: (..يقال: جمل أعيَس، وناقة عيساء، والجمع عِيس، قال رؤبة:

بالعِيس تمطوها قياقٍ تمتطي

والعربُ خَصَّت بالعيس عِراب الإبل البيض خاصّة.. وعيسى: اسم نبيّ الله (صلوات الله عليه)، يجمع: عِيسُون بضم السين والياء ساقطة، وهي زائدة، وكذلك كلّ ياءٍ زائدة في آخر الاسم تسقط عند واو الجمع، ولم تعقب فتحة[٥]. فإن قلت: ما الدليل على أن ياء عيسى زائدة؟ قلت: هو من العَيَس، وعيسى شبه فُعلى، وعلى هذا القياس موسى)[٦].

(٣) التحقيق١/ ٥٧-٥٩، مادة (أدم).
(٤) المعجم المفهرس/ ٣٢، مادة (أدم).

(٥) قصد أنّ ألف عيسَى عند حذفها لم توضع (فتحة) لتدل عليها لأنّ أصلها (ياء).
(٦) العين٢/ ٢٠١ -٢٠٢، مادة(عيس). وينظر: مقاييس اللغة ٤/ ١٩٢ -١٩٣. والمفردات/ ٣٥٣. والمصباح المنير٢/ ٤٤٠. والمعجم الوسيط٢/ ٦٣٩.

وقال الرازي: (و(عيسى) بن مريم عليه السلام اسم عبراني، أو سرياني والجمع العِيسَون - بفتح السين[٧] - ورأيت العِيسَيْن..وأجاز الكوفيون ضَمَّ السين قبل الواو، وكسرها قبل الياء، ولم يُجزه البصريون، وكذا القول في موسى، والنسبة إليهما: عِيسَوِيّ، ومُوسَوِيّ، وعيسيّ، موسيّ)[٨].

ونقل ابن منظور عن سيبويه أن(عيسى)على زنة (فِعلى) فقال: (قال سيبويه: عيسى فِعلَى، وليست ألفه للتأنيث، إنما أعجمي، ولو كانت للتأنيث لم ينصرف في النكرة وهو ينصرف فيها).

ونقل عن الأزهري قوله: (كأن أصل الحرف من العَيَس، قال: إذا استعملت الفعل منه قلت: عَيِس يَعْيَس، أو عاس يَعِيس، قال: وعِيسَى شبه فِعْلَى. قال الزجاج: عيسى اسم عَجَمِيّ، عُدِل عن لفظ الأعجمية إلى هذا البناء، وهو غير مصروف في المعرفة لاجتماع العُجمة والتعريف فيه، ومثال اشتقاقه من كلام العرب أن عيسى فِعلى، فالألف تَصلُح أن تكون للتأنيث، فلا ينصرف في معرفة ولا نكرة.. فأما اسم نبيّ الله فمعدول عن إيسوع، كذا يقول أهل السريانية)[٩].

يقول المصطفوي في دلالة اسم (عيسى): (إنّها كلمة مأخوذة من العبرية (عيسو= كثير الشَّعر)، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على عظم شأنه، وسمو مقامه:

١. تبشير به: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٥].

فالمُبَشِّر هو الله سبحانه وتعالى بواسطة ملائكته لمريم أمّه عليها السلام. والتعبير بقوله بكلمة منه: إشارة إلى أنه في الظاهر من أمّه مريم. وفي الحقيقة ظهور وتجلي منه، ومن نوره تعالى.

٢. كلمة منه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ

(٧) هذا خلاف ما ذهب إليه الخليل، وسينسبه إلى الكوفيين، وهو الأفصح - عندي - والله أعلم.

(٨) مختار الصحاح/ ٤٦٥، مادة(عيس).

(٩) لسان العرب٦/ ٥٤٤ -٤٤٥، مادة(عيس). وينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه١/ ١٤١.

مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾[سورة النساء: ١٧١].

الكلمة هي ما يُنبأ عن مقصود في الضمير، ويظهر عمّا في السرِّ، وهي لفظيّة بيانيّة وتكوينيّة خارجيّة.

والتكوينيّة المتجلِّية في الخارج: أقوى دلالة وإنباء من اللفظيّة، والكلمة أتم وأكمل في البيان من الآية، فإن الآية ما فيه عنوان العلامتيّة في الجملة. فالتعبير بالكلمة يشير إلى كونه آية تامة، وظهورًا، وبيانًا، وتجليًّا عما في الغيب. وهذا يدلّ على كونه مظهرًا للأسماء الحسنى، والصفات العليا الإلهية.

٣. رسول الله: كما في الآية (١٧١) من سورة النساء، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم﴾ [سورة الصف: ٦]. فهو مرسَل من الله تعالى، جاء من عنده بدين وكتاب جديد، وهو المسمى بإنجيل..قال سبحانه: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ [سورة الحديد: ٢٧].

٤. وآتيناه الإنجيل: صرح بأنّ الإنجيل آتاه الله إياه، ونزّله من عنده، وهو كتاب سماوي، وبهذا يردّ ما يُؤلّف بعد عيسى عليه السلام، كما هو الظاهر المبرهن في الأناجيل المتداولة، ولا ينكرها أحد.

٥. جاء بالبيّنات: هي ما يدل على كونه رسولاً من عند الله، ونبيًّا عن الله تعالى. وقوله حقٌّ وصدْقٌ، وما ينطق عن هوى نفسه: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [سورة البقرة: ٨٧]. ﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ﴾ [سورة الزخرف: ٦٣]. والبيّنات تشمل كل ما يكون منكشِفًا ظاهرًا واضحًا مستخرجًا، وفاصلاً عن غيره، كالمعجزات الباهرة، وإحياء الموتى، وشفاء المرضى والحكمة والنورانية. فالقرآن الكريم يصرح بكونه صاحب بيِّنات، وحكمة إلهية حقة.

٦. وأيدناه بروح القدس: إنّ الرُّوح هو ما يتحصّل من النفخ والإفاضة والرَّوح، فيكون مظهر التجلي والظهور، وتوجّه ذلك الرُّوح لا بد أن يكون بطريق الشهود والحضور، قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[سورة المائدة: ١١٠].

٧. موسى وعيسى: يذكر عيسى عليه السلام في رديف سائر الأنبياء العظام كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٦].

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ ﴾ [سورة النساء: ١٦٣]

﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[سورة الأنعام: ٨٥].

﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ﴾[سورة الشورى: ١٣].

تدل على كونه في رديف الأنبياء ونزول الوحي إليه، وإنه من الصالحين.

٨. خوارقه: وقد شوهد منه عجائب خارقة معجزة خارجة عن القوى المادية البشرية قال جلّ في علاه: ﴿ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٩].

٩. كمثل آدم: فكما أن آدم الأول عليه السلام خلقه الله بلا سابقة أب وأمّ وصورة، كذلك خلق عيسى عليه السلام. ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ [سورة آل عمران: ٥٩ – ٦٠]..

فخَلْقُ عيسى عليه السلام أهون وأسهل بكثير من خلق آدم عليه السلام، قال تبارك وتعالى: ﴿ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾[سورة مريم: ٢١].

١٠. برنامجه: وأما برنامج اعتقاده، وعمله، وأدبه، ودينه فكما يصرح به القرآن الكريم: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ

﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ [سورة مريم: ٣٠-٣٤]. نعم برنامج جريان أموره في حياته: الإخلاص التام لله عز وجل، والعبودية الكاملة المستمرة، والتوجه القاطع، والانقطاع عمّا سواه.

ومن الأسف فقدان كتابه الإنجيل[١٠] الأصيل السماوي النازل عليه عليه السلام. وتداول كتب تاريخية مؤلفة بعد عشرات السنوات من رفعه عليه السلام، وغيبته بآسم الإنجيل، ثم تسامح التابعين والروحانيين في بيان الحقائق جهلاً، أو قصورًا، أو تقصيرًا، قال عزّ اسمه: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة مريم: ٣٧][١١].

لم ترد في القرآن الكريم من مادة (عيس) إلا صيغة (عيسى) اسمًا للسيد المسيح عليه السلام حسب، وفي (٢٥) خمسة وعشرين موضعًا[١٢].

واللافت لفكر الباحث وتفكيره ورود اسم عيسى عليه السلام منسوبًا إلى أمّه في (١٦) ستةَعشرَ موضعًا، وهي: في [سورة البقرة ٢/ ٨٧ و٢٥٣]. وفي [سورة آل عمران ٣/ ٤٥]. وفي [سورة النساء ٤/ ١٥٧ و١٧١]. وفي [سورة المائدة ٥/ ٤٦ و٧٨ و١١٠ و١١٢ و١١٤ و١١٦]. وفي [سورة الأنعام٦/ ٣٤]. وفي [سورة مريم١٩/ ٣٤]. وفي [سورة الأحزاب ٣٣/ ٧]. وفي [سورة الحديد ٥٧/ ٢٧]. وفي [سورة الصفّ ٦١/ ٦ و١٤].

وورد الاسمُ مفردًا من دون النسبة تلك في (٩) تسعة مواضع، وهي: في [سورة البقرة ٢/ ١٣٦]. وفي [سورة آل عمران ٣/ ٥٢. و٥٥. و٥٩]. و٨٤. وفي [سورة النساء ٤/ ١٦٣]. وفي [سورة الأنعام ٦/ ٨٥]. وفي [سورة الشورَى ٤٢/ ١٣]. وفي [سورة الزخرف٤٣/ ٦٣].

ويَخضعُ ورُودُ هذا الاسم ـ منسوبًا أو غيرَ منسوبٍ ـ إلى السياق الذي ضمّه، ولابدّ من مُسَوِّغاتٍ لاستعماله منسوبًا مرّةً، وغيرَ منسوبٍ أُخرى.

والذي أراه أنّ السياق الذي ورد

(١٠) ومثله ما حصل من تحريف كبير في التوراة.
(١١) التحقيق ٨/ ٣٣٤-٣٣٧، مادة (عيس).
(١٢) المعجم المفهرس/ ٤٩٨، مادة (عيس).

فيه الاسم منسوبًا كان أُسلوبًا مقصودًا، وذلك أنه:

١. يُريد زيادةَ التعريف به أحيانًا.

٢. قد يقصدُ تعظيمَه بحقيقةٍ غيرِ ما ألفه الناس، وتعارفوا عليه، ولا سيما في هذه النسبة، وتوكيد أنّه مولود بمشيئة الله من دونما أبٍ، وأنْ لا مَندوحة في نسبته إلى أمّه العذراء الصدّيقة مريم بنت عمران، بل في ذلك ما يدعو إلى الفخر؛ وشكر الله؛ لِمَا صحبَ ولادته عليها السلام، وأمومته، وحياته من معجزات.

٣. إنّ النسبة إلى الأمّ قد يكون فيها غضاضة عند أقوام؛ ولكنها جاءت هنا لِتُبطل تلك المزاعم التي لا تقوم على حجّةٍ مُقنعة. ولا سيما إذا كانت الأم ممّن يُفتَخَرُ بكينونَتِها، وبأُمومَتِها، بل بعظمتِها.

أمّا السياق الذي ورد فيه الاسم مُفردًا -غيرَ مَنسوبٍ إلى أُمِّه- فهو كان أُسلوبًا مقصودًا أيضًا، وقد يريد أنّه ـ اسم عيسى ـ صارَ بدرجة عَلَمِيَّةٍ لا تحتاج إلى مزيد إبانة. وقد يرد الاسم في سياقٍ يضمّ أسماء أنبياء آخرين، فيُحتَمَل أنه قصد المِثْلِيَّةِ في ذلك، فلا ينسبه؛ ليُظهر هذه العَلَمِيَّة. وربّما قصد الكينونة المُستقلة، أو الشخصيّة المُرادَة بذاتها لدى إطلاق الاسم وحدَه مِن دونما نسبةٍ ـ والله وحدَه أعلمُ بما أنزل.

المبحث الثاني
مواضع ورود اسمي النَّبِيَّين عليهما السلام، ودلالات ذلك

القسم الأول:
مواضع ورود اسمَي آدم وعيسى عليهما السلام في القرآن الكريم

إنّ المواضع التي نذكرها ـ هنا ـ ستكون بحسب ترتيب المصحف الشريف، وليس بحسب نزولها.

ورد اسم آدم عليه السلام في:

١. سورة البقرة ٢/ ٣١. و: ٣٣. و: ٣٤. و: ٣٥. و: ٣٧. في(٥) خمسة مواضع.

٢. سورة آل عمران ٣/ ٣٣. و: ٥٩. في موضعَين.

٣. سورة المائدة ٥/ ٢٧. في موضع واحدٍ.

٤. سورة الأعراف ٧/ ١١. و: ١٩. و: ٢٦. و: ٢٧. و: ٣١. و: ٣٥. و:

١٧٢. في (٧) سبعة مواضع.

٥. سورة الإسراء ١٧/ ٦١. و: ٧٠. في موضعين.

٦. سورة الكهف ١٨/ ٥٠. في موضع واحدٍ.

٧. سورة مريم١٩/ ٥٨. في موضع واحدٍ.

٨. سورة طه٢٠/ ١١٥. و: ١١٦. و: ١١٧. و: ١٢٠. و: ١٢١. في (٥) خمسة مواضع.

٩. سورة يس ٣٦/ ٦٠. في موضع واحدٍ.

ورد اسم النبيّ آدم عليه السلام في (٢٥) خمسة وعشرين موضعًا، بحسب هذا الإحصاء.

أمّا اسم عيسَى عليه السلام فقد ورد في (٢٥) خمسة وعشرين موضعًا كذلك، وهي في:

١. سورة البقرة ٢/ ٨٧. و: ١٣٦. و: ٢٥٣. في(٣) ثلاث مواضع.

٢. سورة آل عمران ٣/ ٤٥. و: ٥٢. و: ٥٥. و: ٥٩. و: ٨٤. في (٥) خمسة مواضع.

٣. سورة النساء ٤/ ١٥٧.و: ١٦٣. و: ١٧١. في(٣) ثلاث مواضع.

٤. سورة المائدة ٥/ ٤٦. و٧٨. و١١٠. و١١٢. و١١٤. و١١٦. في (٦) ستة مواضع.

٥. سورة الأنعام٦/ ٨٥. في موضع واحد.

٦. سورة مريم١٩/ ٣٤. في موضع واحد.

٧. سورة الأحزاب ٣٣/ ٧. في موضع واحد.

٨. سورة الشورَى ٤٢/ ١٣. في موضع واحد.

٩. سورة الزخرف٤٣/ ٦٣. في موضع واحد.

١٠. سورة الحديد ٥٧/ ٢٧. في موضع واحد.

١١. سورة الصفّ ٦١/ ٦. و: ١٤. في موضعَين.

القسم الثاني:

دلالات ورود الاسمين في المواضع التي مرّ ذكرها

إنّ المواضعَ التي ورد فيها اسمَا آدم وعيسَى عليهما السلام مختلفٌ سياقُها، ولذا ثَمَّةَ دلالاتٌ مقصودةٌ مُرادةٌ في كُلّ موضع،

وهذا ما سنحاولُ تبيُّنَهُ -بعون الله -من تحليلنا بعضَها. وذلك:

أوّلاً: إنّه معلومٌ أنّ آدمعليه السلام ما بُعِث نبيًّا لقومٍ -مثل بقية الأنبياء -بل كانت الغاية من خلقه ليكون خليفةً في الأرض، ويُخضَع للاختبار، لعمله في الحياةِ، فيَستَعْمِر الأرض.

ثانيًا: هناك أمورٌ أُخَر يمكن تبيُّنُها من تحليلِنا لتلك المواضع التي جاء فيها الاسمان الكريمان، منها:

أ. إنّ خلق النّبيَّيْن آدم وعيسَىعليهما السلام- من حيثُ التكوين -واحد، وفي هذا توكيد أنّهما مخلوقان بمشيئة اللهِ وبقدرته وحكمته، وكلاهما أُبدِع من العدم، إلا أنّ آدمعليه السلام أَبدَعَه الله سبحانه من دونها أبٍ، ومن دونها أمٍّ، وعلى غير هيأةٍ سبقت لمثله في الخلق والوجود، فلا مثالَ له في الكونِ المُدرِكِ بمدركاتنا البشرية. أمّا عيسىعليه السلام فقد جاء خَلْقُه من دونها أبٍ كذلك، ولكنه من أمٍّ، وقد سبقه خلقٌ لا يحصيهم إلا الله سبحانه. فيكون خلق عيسَىعليه السلام بحسب مدركاتنا العقلية والفكرية -أيسر من خلق آدمعليه السلام.

ب. بطلان فكرة تأليه السيد المسيحعليه السلام وغيره من المخلوقات ـ كونه مخلوقًا؛ لأنّ المخلوق مملوك لخالقه، ولأنه لا يملك من أمره شيئًا، من نحو تجنب الضرّ والشرّ والأذى. .ولا القدرة على بلوغ الخلود المادّي في الحياة الدنيا، ولا دفع الموت عن نفسه.. وقد كانت والدته الصّدّيقة مريم العذراءعليها السلام تتعبّدُ، بل اقترن اسمها بمحراب العبادة: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [سورة آل عمران: ٣٧]. وكذا كان السيد المسيحُ لا ينفكّ عن عبادة الله، وبناءًا على هذا كيف يمكنُ التوفيقُ بين كونهما عَبدَين مخلوقَيْن، يعبدان الله مثل ما يفعلُ عبادُ الله المُخلَصين، وبين تأليههما -بحسب زعم النصارى-؟.

ت. إنّ الآيات التي ورد فيها اسم النَّبيَّيْن آدم وعيسىعليهما السلام تُفصِحُ عن أمرين، الأول: اتفاقها في فكرة أنّ النَّبيَّيْن آدم وعيسىعليهما السلام مخلوقان، وأنهما من عبيد

الله سبحانه، وأنّ الله أمرَ بخلقِهما لحكمةٍ، وخلقهما -بالنسبة لعقولنا القاصرة، وقدراتنا المُحدودة -كان معجزةً، ولا يمكن حصولها إلا بأمر الله، وقدرته حسب.

وإنّ هذين المَخلوقَين -آدم وعيسى عليهما السلام، وكل البشر -من التراب، وقد وُجِدَتْ فيهما -وفي كل المخلوقات الحيّة -الروح التي لا يُدرك كنهها إلا الله قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [سورة الإسراء: ٨٥]. جلّت قدرتُه.

والأمر الثاني: اختلاف دلالة الحديث عن النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام في الآيات التي جاء ذكر كلٍّ منهما فيها. وهذا الاختلاف ناتج عن اختلاف الغاية من خلقهما، واختلاف الرسالةِ الموكَلَةِ إلى كلٍّ منهما، والغرضِ المُراد تحقيقُه في الأخبار التي تحدّثت عنهما، وذلك:

أ. إنّ الآيات التي تحدّثت عن آدم عليه السلام يمكن أن نتبيّن فيها ما يأتي:

١. أولُ آيةٍ تحدثت عن آدم عليه السلام أخبرت عنه إشارةً لا تعيينًا في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]، فقصد بـ(خليفة) آدم عليه السلام.

ولمّا كان آدمُ عليه السلام أولَ مخلوقٍ على الأرض نتبيّن أمورًا كثيرةً من الآيتين بعد الآية التي مرّ ذكرها قبلُ، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [سورة البقرة: ٣١]، وفي قوله سبحانه: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾ [سورة البقرة: ٣٣]، منها: الحاجة إلى الإفصاح عن ماهية هذا المخلوق، وما يحتاجه من أسس لبناء العائلة والمجتمع الذي سيكون، فكان البدء بتكريمه عليه السلام بالعلم والتعليم، وهذا أول بناء لا بدّ منه للإنسان. وبيان استعداده عليه السلام لذلك، واستجابته عليه السلام للتعلم، وقدرته على نشرِه وإعلانه، ونتبيّن ذلك من تلبيته عليه السلام أمرَ الله بإنباءِ الملائكةِ بالأسماءِ، ويقينًا أنه وَعَى ما بُلّغ به، وما أُريد منه.

٢. جاء تكريمٌ آخرُ عظيمٌ لهذا المخلوق، وذلك بأنْ أمرَ اللهُ الملائكةَ بالسجودِ له، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ

﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٤][١٣].

٣. وتبعَ أمرَ الملائكةِ بالسجود لآدم عليه السلام بأنْ يُكرّم بمأوًى، فقضت حكمة الله تعالى أنْ يأمره بالسُّكنَى في الجنّة ـ أوّل الأمر، قال عزّ وجلّ: ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٥][١٤].

٤. وثمة تكريم مطلقٌ شَملَ بَني آدم عليه السلام كافة، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [سورة الإسراء: ٧٠].

٥. على الرغم من أنّ آدمَ عليه السلام أولُ مخلوق من السلالة البشرية غير أنّ الله تعالى ذكرَ اصطفاءَه مثلَ بقيةِ الأنبياء، وفي هذا تكريم آخر لآدم عليه السلام، وإشارة إلى بنوّةِ النبوّة كذلك، وتسلسلِها، ونقائِها، وصفائِها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣]. وقد أكد هذا قوله جلّت حكمته: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ ﴾ [سورة مريم: ٥٨].

٦. لقد كان آدمُ عليه السلام أوّلَ مخلوقٍ، فهو لا يعرف مَن حوله، وما حوله، ولا كيفية تعامله فيما حوله إلا بتعليم الله إياه. وكونه مخلوقًا فيه استعدادٌ للخير، ومثلُه استعدادٌ للشرّ، وهذا ما ذكره التنزيل الحكيم، نحو قوله جلّ ذكرُه: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [سورة الإنسان: ٣]. وقوله جلّ وعزّ: ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [سورة البلد: ١٠]؛ لهذه الأحوال وسواها نرى أنّ آدمَ عليه السلام يحتاج إلى تربية من خالقه، وتوجيه، ومعاونة على الانتصار على النفس الأمّارة بالسوء. ولذا نَبَّهَهُ الله تبارك وتعالى كثيرًا

(١٣) وورد هذا في (٥) خمسة مواضع، منها آية سورة البقرة في المتن، وكذا في سورة الأعراف، آية ١١. وفي [سورة الإسراء: ٦١]. وفي [سورة الكهف: ٥٠]. وفي [سورة طه: ١١٦].

(١٤) وكذا ورد هذا التكريم في [سورة الأعراف: ١٩].

للحَذَرِ من الشيطان، نحو قوله عزّت أسماؤُه: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ ﴾[سورة طه: ١١٧]. وقوله عزّ اسمُه: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ ﴾ [سورة طه: ١٢٠]. وكذلك حذر الباري تبارك وتعالى بني آدمَ عليه السلام جميعًا من غواية الشيطان، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ﴾[سورة الأعراف: ٢٧]. وقال وهو خير القائلين: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[سورة يس: ٦٠].

٧. إنّ كون آدم عليه السلام مؤسسًا لأول عائلة في الحياة الدنيا، -على وفق أكثر آراء العلماء، فقد قضت حكمة الله تعالى أن يُنبِّهَه إلى مسؤولياته، وانْ تعتبر بذلك ذريتُه من بعده، وقد جاء ذلك بما عُهِد إليهم به من مواثيق، نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٢]. وكذا أمرُ بني آدم عليه السلام بالأخذ بمنهجِ رُسُلِهم عليهم السلام، واتباعهم، قال سبحانه: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٣٥].

٨. وترتّب على كينونة آدم عليه السلام البشرية- وكذا بنوه من بعده، وما تركب منه هذا المخلوق من صفات، نحو: الحواس، والمشاعر، والرغبات المقبولة، أو غير المرضيّة -الهوى -فقد يفعلُ أمورًا كان الأولى ألاّ يفعلها، أو كان الأولى أن يفعل كذا بدلها، وهذه الأفعال لا تمنع من بقاء عصمته، ولا تغيّر اتصافه بها؛ لأن عملَها تمثيلٌ لحقيقة البشرية فيه، وفي ذريّته من بعده، قال تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [سورة طه: ١١٥].إنّ هذه الآية المباركة تحكي الطبيعة البشرية العامة في هذا المخلوق. وكذا قوله سبحانه: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾[١٥] [سورة طه: ١٢١].وبما أنّه مخلوق بما ذكرنا له

(١٥) هذا الأمر مُرتَبِطٌ بعصمة الأنبياء، وقد بحثته في كتابنا: القرآن إعرابٌ وبَيان/ ج٢.

من صفات، وثبت أنّه لم يفعل الأولى بما خالف أمر الله؛ ولا يَخفَى أنّ آدمَ عليه السلام ما كان في دار تكليف حتى يُحاسب، بل هو من باب الرغبة بمعرفة الشيطان بالتطبيق العملي الواقعي. فهذا جانبٌ من تأويل الآية هذه. ولمّا كان منه ذلك السلوك، فلا بدّ أن يظهر عليه الندم، وطلب العفو والمغفرة، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾(١٦)[سورة البقرة: ٣٧].

وأحسب هذا -أيضًا -من التعريف بطبيعة آدم عليه السلام البشرية، وما قد تَقُودُنا إليه من هَفواتٍ. وأكرر أنّ هذا كلّه حصل لآدمَ عليه السلام، وهو في غير دار التكليف ـ كما ذكرت قبلُ.

وقدّم التنزيل العزيزُ مثالا على طبيعة هذا المخلوق، وما فيه من استعداد للخير، وللشر، فقصّ علينا قصة ابنَي آدم عليه السلام، التي تُعدّ خيرَ تجسيد لطبيعة الإنسان، قال العليّ الحكيم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[سورة المائدة: ٢٧].

٩. وقدّمت آية: ٣١ من سورة الأعراف- التي ورد فيها اسم آدم عليه السلام بيانًا لبَنِي آدم عليه السلام في اتخاذ الزينة عند كلّ مسجد؛ لأنّ ذلك تكريم لهم، وزيادة في التمتع بنِعَمِه على خَلقِه، قال عَظُمت قدرتُه: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[سورة الأعراف: ٣١].

دلالة الآيات التي ورد فيها اسم آدم عليه السلام

١٠. ونجدُ في آية: ٢٦، من سورة الأعراف تربيةً موجّهةً إلى بَنِي آدم عليه السلام بأنْ أنزلَ اللهُ عليهم لباسًا يسترهم، وفي ذلك ما فيه من سترٍ لما قبُح منظرُه، وفي ذلك جوانب من حسنِ الرعاية لحسن السلوك الاجتماعي، وما فيه من حفظ للخُلُقِ، ورعايةٍ للذوق، بل هو مُنتهَى مراعاة التفكير السليم في الجسد الكريم، لا الجسد الحيواني. قال خيرُ قائلٍ: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ

(١٦)اختلف العلماء في هذه الكلمات، ولكنّ أقربَ الأقوالِ قبولاً فيها: هي أنّها أسماءُ محمدٍ وأهلِ بيتِه (صلوات الله عليهم أجمعين).

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[سورة الأعراف: ٢٦].

ب. ونَتبيَّنُ من تحليلِ الآياتِ التي ضمّت اسم النبيّ عيسى عليه السلام الآتي:

١. أُشير إلى عيسى عليه السلام أنّه: كلمة الله، قال سبحانه في توجيه الكلام إلى مريم عليها السلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[سورة آل عمران: ٤٥]. وقال سبحانه أنّه كلمةُ اللهِ ورسوله، وروحٌ منه، وليس إلهً، ولا ربًّا قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾[سورة النساء: ١٧١]. وتؤكد الآية بعدها عبودية عيسى لله: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ﴾[سورة النساء: ١٧٢]

ومن هذه الآياتِ وغيرِها يَتبيّنُ أنّ عيسى عليه السلام قد وُلِد من رحمِ امرأةٍ هي مريم عليها السلام، وأنه جاء على أمثلةِ الخلقِ من البشر في الخِلْقةِ؛ غير أنّه لا أبَ له، وهذا كان بأمرِ الله، وحكمته، وهنا وشيجة بين خلق آدم وعيسى عليهما السلام.

٢. إنّ ما قلناه في نقطة (١) يؤكد عبودية المسيح عيسَى بن مريم عليها السلام لله، ويبيّن كفرَ مَن يتخذه ربًّا، فيعبده، ومما يبيّن ضلالَ هؤلاء قوله عزّ ذكرُه: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾[سورة آل عمران: ٥٥]. ولو كان ربًّا لمَنَع عن نفسه ما جرى عليه، ولَمَّا احتاج إلى مَن يُخلّصه من كيد اليهود الذين عزموا على صلبه، كما قال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾[سورة النساء: ١٥٧].

ونتبيّن من دلالة الإخبار بتوفية اللهِ عيسَى عليه السلام، ورفعه إليه سبحانه الآتي:

الأولَى: أنّ عيسى عليه السلام عبدًا مخلوقًا، جرى عليه ما جرى على عباد الله، وأنبيائه. الثانية: الإعجاز في خلقه؛ فقد وُلِد من رحمِ مريمَ العذراء، من دونما زواج، بل حكمة الله قضت بذلك. الثالثة: أنّ الله سبحانه تكفل بحمايته من الصلب، وأنه رفعه إليه، فهو ما زال حيًّا عند ربّه. وعلى وفق هذه الدلالة نتبيّنُ صِحّةَ فكرةِ غيبةِ الإمام الثاني عشر الحجة بن الحسن

العسكري عليه السلام، وتوكيدها من خلال دلالة تغييب الله تعالى لعيسى عليه السلام، ورفعه إلى السماء، وبقائه حيًّا إلى ما شاء الله.

٣. لا خلافَ في أنّ عيسى عليه السلام قد بُعِث بعد كثيرٍ من الأنبياء والرسل عليهم السلام، فقد بعثه الله في بني إسرائيل مصدِّقًا بالإنجيلِ لما في التوراةِ، ولِمَا جاء به موسى عليه السلام، ولِمَا جاء به الرُّسُل عليهم السلام الذين سبقوه، فهو رسول مبعوث في أُمّةٍ، ويحملُ رسالةً، قال الله، وهو خير القائلين: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الحديد: ٢٦ -٢٧].

وما جاء به عيسى عليه السلام استمرارٌ لِمَا كان قد جاء به الرسل عليهم السلام قبله: قال جلّت حكمته: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [سورة الشورى: ١٣].

٤. ولمّا كان عيسى عليه السلام نبيًّا مثل غيره من الأنبياء عليهم السلام فقد أُلزِم بميثاق الأنبياء عليهم السلام، قال عزّ ذكرُه: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٧].

٥. ويُؤكّدُ التنزيل الكريم أنّ عيسى عليه السلام رسولُ الله، وما جاء به تصديقٌ لما في التوراة، ومِن مسؤولياته عليه السلام أداءُ الرسالةِ السماويةِ إلى مَن سيَخلفُه بأمانةٍ، فبَشّر بنبيٍّ يأتي من بعده اسمه (أحمد)، قال الحقُّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴾ [سورة الصف: ٦].

وهذا بعض ما مازَه من آدم عليه السلام. وهذا ما لم يحتجْ إبانته مع آدم عليه السلام؛ لاختلافِ بيئةِ كلٍّ منهما.

٦. لقد منحَ اللهُ سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام معاجزَ مختلفةً؛ تكريمًا له، وتثبيتًا لنبوّته، وتوكيدَ أنّه نَبيٌّ مرسل؛ ولأنّه مبعوث في قومٍ يُريدون منه الحججَ والمعاجزَ. لذا كرر التنزيلُ العزيزُ

تأييده لعيسى عليه السلام بالبيّنات، نحو قوله سبحانه: ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ﴾[17] [سورة البقرة: ٨٧].

٧. وفي آياتٍ أُخَر بيّنت أنّه لا فرق بينه وبين الأنبياء، وأنه جاء بما جاءوا به، فهو مكلّف بأداءِ رسالةٍ فيها خير الناس، وتنظيم شؤونهم، وأنّ ما جاء به عليه السلام ليس بدعًا عمّا جاء به من سبقه من الرسلِ والأنبياء عليهم السلام، نحو قوله جلّت حكمته: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[سورة البقرة: ١٣٦].

٨. تحمّل عيسى عليه السلام مسؤولية الرسالة السماوية التي كُلّف بها، فحوربَ من بَني إسرائيل مثلما حُوربَ الأنبياء عليهم السلام من قبله، نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[سورة المائدة: ٧٨].

وتَطَلّبَ تكليفُه بالرسالة السماوية جهدًا عقليًّا وجَسَديًّا، وطاقاتٍ تجعله قادرًا على التبشيرِ بدين الله، وداعيًا إليه، ونشره، نحو قوله عزّت أسماؤه على لسانه عليه السلام، وهو يدعو بَني إسرائيل إلى الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[سورة الصف: ١٤]. وفي آية أُخرى يحاولُ تمحيصَ أصحابِه؛ لأنه يريدهم أن يكونوا مؤمنين حقًّا، مُتَمسّكين بما جاءهم به من ربِّهم، ويكونون مثالاً للإيمان، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[سورة آل عمران: ٥٢].

٩. وواجَهَ عيسى عليه السلام امتحاناتِ قومِه في أن يُقدّم البراهين الإعجازية، مثلما واجه أنبياء الله عليهم السلام ذلك، نحو قوله تبارَك اسمُه: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ

(١٧) وكذا في آية: ٢٥٣، من سورة البقرة. وآية: ١٣، من سورة الزخرف.

﴿ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[سورة المائدة: ١١٢].

ومثلما أيّدَ اللهُ -عظمت قدرته -أنبياءَه بالملائكة والمعجزات، فقد أيّد عيسى عليه السلام بكثير منها، ولا سيما قصة المائدة، فلما توجّه عيسى عليه السلام بطلب قومه إلى الله بقوله الذي حكاه التنزيل العزيز: ﴿ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلۡ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ ﴾[سورة المائدة: ١١٤]. فقد استجابَ جلّت قدرته لطلبَ عيسى عليه السلام، فقال سبحانه: ﴿ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيۡكُمۡ ﴾[سورة المائدة: ١١٥].

المبحث الثالث

تحليل الآية (٥٩) من سورة آل عمران، وبيان دلالاتها

القسم الأول:

سبب نزول الآية الكريمة، ومعناها العام

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

نَقَلَ عطية العوفي عن ابن عباس قوله في سبب نزول هذه الآية: (أنّ رهطًا من أهل نجران قدموا على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وكان فيهم السيّد والعاقب، فقالوا: ما شأنُك تذكر صاحبَنا؟ فقال: مَن هو؟ قالوا: عيسَى؛ تزعُمُ أنّه عَبدُ الله، فقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (أجل، إنّه عبدُ الله). قالوا له: فهل رأيتَ مِثلَ عيسَى، أو أُنبِئتَ به؟ ثم خرجوا من عنده، فجاءه جبريلُ بأمر ربِّنا السميع العليم، فقال: قُلْ لهم يامحمد إذا أتوك: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ ﴾ الآية[١٨].

وزاد الطبري في بيان قصة وفد نجران

(١٨) تفسير القرآن الكريم١/ ٣٥٤. وتنظر: مصادر المحقق في هامش (١) و(٢) من ص٣٥٤ ـ٣٥٥. وينظر: معاني القرآن ـ الفراء١/ ٢١٩.ومعاني القرآن وإعرابه١/ ٣٥٥ـ٣٥٦. وجامع البيان ٣/ ٢٩٣ـ٢٩٥. والتبيان في تفسير القرآن٢/ ٤٨٢. وتفسير القرآن الكريم (بحر العلوم)٢/ ٧٨ـ٧٩. وأسباب النزول ـ للواحدي/ ٦٠. والمحرر الوجيز ٣/ ١٤٧.ومجمع البيان٢/ ٣٧٧.والتفسير الكبير ٨/ ٧٠.وأنوار التنزيل٢/ ٢٠.والجامع لأحكام القرآن٥/ ٢٨ـ٢٩. والبحر المحيط٢/ ٤٧٧.وحاشية الشهاب٣/ ٣١ -٣٢.وفتح القدير١/ ٤٢٦.وروح المعاني ٣/ ٢٤٥. وعقود المرجان في تفسير القرآن ١/ ٣١٩. والتفسير الكاشف٣/ ٧٤، و: ٧٦. والأمثل٢/ ٣١٤.

النصراني، فقال: (لما بُعِث رسولُ الله ﷺ، وسمع به أهلُ نجران، أتاه منهم أربعة نفرٍ من خيارهم..فسألوه: ما يقول في عيسى؟ فقال ﷺ: (هو عبد الله، وروحه، وكلمته. قالوا هم: لا ولكنه هو الله، نزل من مُلكه، فدخل في جوفِ مريم، ثم خرج منها، فأرانا قدرته، وأمره! فهل رأيت قط إنسانًا خُلِق من غير أبٍ؟ فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ ﴾ الآية...

فإنْ قال قائلٌ: فكيف قال: ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ ﴾، و(آدم) معرفة، والمعارف لا تُوصَل؟ قيل: إنّ قوله ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ غير صلةٍ لآدم، وإنما هو بيانٌ عن أمره على وجه التفسير عن المَثَل الذي ضربه، وكيف كان؟)[19].

وقال الطبري في معنى الآية الكريمة: (إنّ شبه عيسَى في خَلْقِي إيّاه من غير فحلٍ -فأخبِرْ به يا محمد الوفدَ من نصارى نجران -عندي كشبهِ آدمَ الذي خلقتُهُ من ترابٍ، ثم قلت له: ﴿ كُن ﴾، فكان من غير فحلٍ، ولا ذكرٍ، ولا أُنثَى. يَقول: فليس خَلْقِي عيسَى من أُمِّه من غير فحلٍ بأعجبَ من خَلْقِي آدم من غير ذكرٍ، ولا أُنثَى، وأمري إذ أمرته أن يكونَ فكان لحمًا. يقول: فكذلك خلْقِي عيسى: أمرته أن يكون فكان)[20].

القسم الثاني

فوائد دلالية ونحويّة وأسلوبية من تحليل آية: ٥٩ من سورة آل عمران

١. قال الزمخشري في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾: (جملة مُفَسِّرة لما له شبه عيسَى بآدمَ ﷺ، أي: خلق آدم ﷺ من تراب، ولم يكن ثمة أبٌ ولا أمّ، وكذلك حال عيسَى)[21].

٢. وقال الطبري في رفع ﴿يَكُونُ﴾: (وقد ابتدأ الخبر عن خلق آدم، وذلك خبر عن أمر قد تقضَّى، وقد أخرَجَ الخبرَ عنه مُخرَجَ الخبر عمّا قد مضَى، فقال

(١٩) جامع البيان٣/ ٢٩٣ -٢٩٤.

(٢٠) جامع البيان٣/ ٢٩٣.وينظر: التبيان في تفسير القرآن٢/ ٤٨٢.والكشاف١/ ١٦٧.ومجمع البيان٢/ ٣٧٧. والتفسير الكبير٨/ ٧٢.والجامع لأحكام القرآن٥/ ٢٩.والبحر المحيط٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨. والتفسير الكاشف٣/ ٧٤.

(٢١) الكشاف١/ ١٦٧.

جلّ ثناؤُه: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾؛ لأنّه بمعنى الإعلام من الله نبيَّه أنّ تكوينه الأشياء بقوله سبحانه: ﴿كُن﴾، ثم قال: ﴿فَيَكُونُ﴾، خبر مبتدأ، وقد تناهَى الخبر عن أمر آدم عند قوله تعالى: ﴿كُن﴾[٢٢].

٣. وبيّن الطبري الدلالة التي أوحَى بها تعبير: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن﴾، فقال: (لما كان في قوله: ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ -الآية- دلالةٌ على أنّ الكلام يُرادُ به إعلام نبي الله ﷺ، وسائر خلقه أنه كائنٌ ما كوّنه ابتداءًا من غير أصلٍ، ولا أوّل، ولا عنصر؛ استغنى بجلالة الكلام على المعنى. وقيل: ﴿فَيَكُونُ﴾، فعطفَ بالمستقبل على الماضي على ذلك المعنى)[٢٣].

٤. وبيّن الطوسي دلالة رفع ﴿فَيَكُونُ﴾ (إنّه إخبارٌ عن سرعة الفعل، وتيسّره من غير مشقّةٍ ولا إبطاء)[٢٤].

وقال الزمخشري: (﴿فَيَكُونُ﴾ حكاية حال ماضية)[٢٥].

٥. وبيّن الزمخشري وجه التشبيه بين خلق آدم وعيسى عليه السلام، فقال: (فإن قلت: كيف شبه به وقد وُجِد هو من غير أب، ووجد آدم من غير أب وأم؟ قلت: هو مثيله في إحدى الطرَفَين، فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به؛ لأنّ المماثلة مشاركة في بعض الأوصاف، ولأنه شبه به في أنه وُجِد وجودًا خارجًا عن العادة المستمرّة، وهما في ذلك نظيران؛ ولأنّ الوجودَ من غير أبٍ وأمٍّ أغربُ وأخرَقُ للعادة من الوجود بغير أبٍ، فشبه الغريب بالأغرب؛ ليكون أقطعَ للخصم، وأحسم لمادة شبهته، إذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه)[٢٦].

(٢٢) جامع البيان ٣/ ٢٩٤. وينظر: التبيان في تفسير القرآن٢/ ٤٨٢. والمحرر الوجيز٣/ ١٤٩.

(٢٣) جامع البيان ٣/ ٢٩٥. وينظر: التبيان في تفسير القرآن٢/ ٤٨٢. والمحرر الوجيز٣/ ١٤٩. ومجمع البيان٢/ ٣٧٧. والتفسير الكبير٨/ ٧٢. والتفسير الكاشف٣/ ٧٤-٧٥. وتفسير شبّر/ ٩٣.

(٢٤) التبيان في تفسير القرآن٢/ ٤٨٢. ومجمع البيان٢/ ٣٧٨. والبحر المحيط٢/ ٤٧٨.

(٢٥) الكشاف١/ ١٦٧.

(٢٦) الكشاف١/ ١٦٧. ومجمع البيان٢/ ٣٧٨. والبحر المحيط٢/ ٤٧٧. وحاشية

٦. وقال أبو حيان في دلالة ﴿ثُمَّ﴾ و ﴿كُنْ﴾: (و﴿ثُمَّ﴾ قيل لترتيب الخبر؛ لأنّ قوله ﴿كُنْ﴾ لم يتأخر عن خلقه، وإنّما هو في المعنى تفسير للخلق، ويجوز أن يكون للترتيب الزماني، أي: أنشأه أوّلاً من طين، ثم بعد زمانٍ أوجد فيه الروح؛ إذ صيّره لحمًا، ودمًا).

ونقل عن الراغب تفسيرَه لـ﴿كُنْ﴾ قوله: (وقال الراغب: ومعنى﴿كُنْ﴾ بعد خلقه من ترابٍ: كُن إنسانًا حيًّا ناطقًا، وهو لم يكن كذلك، بل كان دهرًا مُلْقًى لا روحَ فيه، ثم جعل له الروحَ. وقوله ﴿كُنْ﴾ عبارة عن إيجاد الصورة التي صار بها الإنسان إنسانًا)[٢٧].

٧. وقال أبو حيان في عود الضمير في ﴿لَهُ﴾: (والضمير في ﴿لَهُ﴾عائد على آدم، وأبعد مَن زعمَ أنه عائدٌ على عيسى، وأبعد من هذا مَن زعم أنه يجوز أنْ يَعودَ على كل مخلوقٍ خلق- وهو قول الحوفي)[٢٨].

ما ذهب إليه أبو حيان في عود الضمير على آدم عليه السلام هو الصحيح؛ لأنه المُراد بالغرابة في الخَلْق أوّلاً. وثانيا: إنّ تشبيه خلق عيسَى عليه السلام جرى بطرفٍ من أطراف التشبيه بين آدم وعيسى عليهما السلام، وهو الخلق من غير أبٍ، ولذا تكون الغرابةُ في الخلق قائمةً على المُشبَّهِ به؛ مما يدفع المتدبّر نظمَ الآية لا يحكم بعود الضمير إلا على آدم عليه السلام.

٨. وقال الآلوسي في شبه الجملة الظرفية ﴿عِنْدَ اللهِ﴾: (إنّ صفة عيسى ﴿عِنْدَ اللهِ﴾، أي: في تقديره وحكمه، أو فيما غاب عنكم، ولم تطلعوا على كنهه، والظرف متعلّق فيما تعلّق به الجار والمجرور﴿كَمَثَلِ آدَمَ﴾، أي: كصفته وحاله العجيبة التي لا يرتاب فيها مُرتاب)[٢٩].

٩. وقال الطباطبائي في دلالة الآية الكريمة كلها: (قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ﴾ الآية -تلخيص لموضع

الشهاب٣/ ٣٢.وتفسير شبّر/ ٩٣.

(٢٧) البحر المحيط٢/ ٤٧٨.

(٢٨) البحر المحيط٢/ ٤٧٨.

(٢٩) روح المعاني٣/ ٢٤٦.

الحاجة ممّا ذكره من قصّة عيسى[٣٠] في تولّده تفصيلا. والإيجاز بعد الإطناب. وخاصّة في مورد الاحتجاج والاستدلال -من مزايا الكلام؛ والآيات نازلة في الاحتجاج، ومتعرضة لشأن وفد النصارى.. فكان من الأنسب أن يوجز البيان في خلقته بعد الإطناب في قصّته؛ ليدلّ على أنّ كيفيّة ولادته لا تدلّ على أزيد من كونه بشرًا مخلوقًا نظير آدم عليه السلام، فليس من الجائز أن يُقال فيه أزيد، وأعظم ممّا قيل في آدمَ، وهو أنّه بَشَرٌ، خَلَقَه اللهُ من غير أبٍ)[٣١].

١٠. وقدّم الطبطبائي بحثًا[٣٢] مستفيضًا طيّبًا نافعًا في السيد المسيح عليه السلام، عرض فيه شيئًا من حياة والدته مريم عليها السلام، وكيف تكفّلها زكريا عليه السلام؟ وكيف حملت بعيسى؟ وكيف واجهت قومها به؟ ونشأته وتَحَمّله أعباء الرسالة السماوية إلى بني إسرئيل، وقتل اليهود ـ أو صلبهم ـ إياه. وقصة رفع الله إياه. وعَرَضَ في مباحث قيّمة: منزلة عيسى عليه السلام عند الله، وموقفه في نفسه. وما الذي قاله عيسى عليه السلام؟ وما الذي قيل فيه؟ بعد ذلك بيّن احتجاج القرآن على مذهب التثليث. وبيّن كذلك أنّ المسيح عليه السلام من الشفعاء عند الله، وليس بفادٍ. وفي مبحث رائع يحلل المؤلف نشأة رأي التثليث بين النصارى واليهود. بعد أن يذهب إلى محاكمة الكتاب الذي ينتسب إليه أهل الكتاب.

وفي بحث روائي يقدم الطباطبائي تحليلاً لحياة اليهود مع موسى عليه السلام ويوشع، وما بعد ذلك. ويصل بعد جولته هذه إلى القول: (وأنت ترى بعد التدبّر في القصة- يعني قصة التوراة الحاضرة ـ أنّ سند التوراة الدائرة اليوم مقطوعة غير مُتّصلة بموسى عليه السلام.

وبعد النتيجة التي توصّل إليها في توراة اليوم يذهب إلى تفصيل قصة المسيح عليه السلام والإنجيل، وفي (٤٣) ثلاثة

(٣٠) قصد بذلك ما حكاه في الآيات التي قبل هذه الآية.

(٣١) الميزان٣/ ٢٣١.

(٣٢) ينظر: الميزان٣/ ٣٠٧، وما بعدها.

وأربعين صفحةً خرج منها بأن الإنجيل هذا هو ليس ذلك الذي جاء به عيسى عليه السلام.

١١. ومن البحوث الطيّبة الطريفة في معجزة خلق آدم وعيسى عليهما السلام ما اطلعت عليه في الانترنت للكاتب عبد الله الكحيل[٣٣]، وممّا توصّل إليه:

أ. إنّه يجد في رقم(٧) دلالاتٍ ـ بحسب رأيه ـ لها شأنٌ في الدلالات القرآنية من خلال السياق.

ب. تساوي عدد مرّات ورود اسمَي آدم وعيسى عليهما السلام في القرآن الكريم.

ت. تماثل عملية خلق النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام، ولا سيما أنهما لا أب لهما.

ث. وقف الكحيل عند الآية (٥٩) من سورة آل عمران -وهي موضوع بحثنا، فرأى:

- أنّ ترتيب هذه الآية هو السابع من حيث ورود اسمي النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام، وبحسب ترتيب المصحف الشريف. ويعدّ هذا إعجازًا لا مُصادفةً.
- يذهب الباحث الكحيل إلى أنّ الرقم (٧) له دلالات في السياق القرآني، من ذلك قوله:

أ. إنّ عدد كلمات تعبير ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عند اللهِ كَمَثَلِ آدم﴾ هو سبع كلمات. ويقول: إنّ هذا ليس مُصادفة.

ب. إنّ عدد حروف ﴿مثَل عيسى﴾ هو سبعة حروف.

ت. إنّ عدد حروف ﴿عندَ اللهِ﴾ هو سبعة حروف.

ث. إنّ عدد حروف ﴿كمَثَلِ آدمَ﴾ هو سبعة حروف.

ج. إنّ عدد حروف ﴿ ثُمَّ قالَ لهُ﴾ هو سبعة حروف.

ح. إنّ عدد حروف ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ هو سبعة حروف. ويعدّ الكحيل أنّ هذه التناسقاتِ السباعيّة إحكامًا إلهيًا، لا مُصادفة.

ويقول: إنّ العدد(٢٥) ـ الذي هو عدد مرات ورود اسمي النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام- عند جمع رقميه ٥+٢= ٧. وكذا رقم آية سورة آل عمران (٥٩) هو من مضاعفات الرقم(٧)، ٩+٥= ١٤. كذا إنّ عدد حروف اسم سورة آل عمران هو سبعة حروف.

(٣٣) عنوان الموقع kaheel7 com www

وممّا توصّل إليه الكحيل تَماثُلُ تسلسلِ ورود اسمي النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام في سورة مريم[٣٤]، فكان تسلسل هذه السورة هو: ١٩، بحسب ترتيب المصحف الشريف. وكذا كان تسلسل ورود اسمي النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام أيضًا برقم: ١٩. بحسب ترتيب ورود الاسمين في مواضعهما من القرآن الكريم. ويذهب إلى أنّ في هذا إعجازًا لا مُصادفة.

إنّ الآراء التي ذهب إليها الكحيل- هنا -جميلة، بل رائعة، تنمّ عن فطنةٍ وملكةِ تفكير رفيعة، مُتنوّرة، ومُستنيرة بالفيض القرآني الإلهي، وببراعةٍ في التحليل والاستنتاج، ولكنها تبقى في باب الإضاءات القرآنية، وفتوحاته وفيوضاته. وأنها تبقَى آراء غيرَ قاطعة؛ لأنّ القرآن الكريم لا يمكنُ القطعُ في تأويلِه من لدُن البشر الاعتياديين؛ لأنّه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

١١. لا خلاف في أنّ خلق آدم عليه السلام كان لرسالة، هي غيرها الرسالة التي لأجلها خلقَ اللهُ عيسى عليه السلام. ويمكن أن نتبيّن ذلك في سياق الآيات التي ضمّت اسمي النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام. وقد بيّنا ما وَفَّقَنا الله إليه من دلالاتٍ[٣٥]، وما توصّلنا إليه من إشارات قسمٍ من مواضع ورود الاسمين الكريمين.

١٢. إنّ التشابه في خلق النَّبِيَّيْن آدم وعيسى عليهما السلام جاء من جهة انعدام الأب. غير أنّ خلقَ آدم عليه السلام أعلى إعجازًا -بحسب تفكيرنا القاصر؛ كونه جاء على غير مثال، ومن دونما أصل، ومن دونما أبٍ وأم..لذا يمكن عدّ خلق عيسى عليه السلام أيسرَ من خلق آدم عليه السلام؛ لأنّ ولادة عيسى عليه السلام جاءت على وفق قسمٍ من المسلمات الطبيعية، فقد وُلِد من رحم أمٍّ -مريم عليها السلام، وإنْ كان خلقُه في بطن مريم من دونما زوج، بل بما نُفِخ في رحمها من روح الله، فعلى هذا -بحسب عقولنا

(٣٤) ورد اسم آدم عليه السلام في آية: ٥٨. وورد اسم عيسى عليه السلام في آية: ٣٤.

(٣٥) ينظر: القسم الأول من المبحث الثاني من هذا البحث.

القاصرة، لا بحسب تقدير الخالق المدبّر الحكيم -نتبيّن أنّ خلق عيسى ﷺ أهون عند الله من خلق آدم ﷺ. وإنّما يُقال هذا لغرض المُحاججة، وإسكات المعاندين من الجاحدين الكفرة، أو من أهل الكتاب الذي يتذرعون بمزاعم واهية، لا يمكن أن تقوم حجّة مُقنعةً.

١٣. إنّ ما نُريدُ بيانَه، وتوكيدَه في هذه الدراسة أمور، منها:

أ. عظمة الخالق الذي خلق آدم ﷺ من العدم، ومن دونما مثال سابق له، بل كان ذلك بمشيئته، وقدرته وحكمته. وكذا الأمر في خلق عيسى ﷺ.

ب. إنّ خلقَ عيسى ﷺ أيسرُ من خلق آدم ﷺ؛ لأنّه وُلِد من رحِم امرأة.

ج. قَصدَ التنزيلُ العزيزُ أنّ في ذكر قصةِ خلق آدم وعيسى ﷺ إقامةَ الحجّة على النّصارَى المُحاجِّين، ولجعلهم يُذعنون للحقّ الذي لا مراء فيه، وحجّة على الخلق أجمعين بقدرته سبحانه، وأنه هو الخالق المُدبِّر لما في العالَمين، ولا يستحقّ أحدٌ أنْ يُعبَدَ سواه.

د. بيان ضلالِ المدّعين أنّ المسيحَ ابنُ الله[٣٦] -وكذا زعم القائلين إنّ عزيرَ ابنُ الله؛ لأنه - وإنْ كان نبيًّا - عَبدٌ من عباد الله المخلوقين.

هـ. على الذين يَعُدّون السيّد المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ ربًّا، أو أنّه ابنُ الربّ أنْ يَعُودُوا إلى عقولِهم، فيتفكّروا: كيف يكون المخلوق إلهًا يُعْبَدُ، وهو لا يملك لنفسه نفعًا، ولا يقدر أنْ يدفعَ عنها ضرًّا إنْ قضى الله أمرًا في ذلك؟.

ونقل الرازي محاورةَ الإمام علي ﷺ لأحد النصارى، وكان الرازي يبيّنُ دلالةً من دلالاتِ قولِه تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١٦]: (أراد به الملائكة وعزيرًا والمسيح، أي: كل من هؤلاء الذين حكموا عليهم بالولد أنهم قانتون له. يُحكى عن علي بن أبي طالب ﷺ قال لبعض النصارى: لولا تمرد عيسى عن عبادة الله لصرت على دينه، فقال النصراني: كيف يجوز أن يُنسَبَ ذلك إلى عيسى مع جدّه في طاعة الله، فقال علي ﷺ: فإن كان عيسى إلهًا فالإهُ كيف يَعبُدُ غيرَه؟ إنما

(٣٦) ومثلُه بُطْلان زعم اليهود أنّ عزيرَ ابنُ الله.

العبد هو الذي يليق به العبادة، فانقطع النصرانيّ)[٣٧].

المراجع والمصادر

القرآن الكريم

١. أساس البلاغة -جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) -تحـ. عبد الرحيم محمود -ط١-مطبعة أولاد أورفاند ١٣٧٢هـ -١٩٥٣م.

٢. أسباب النزول أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) ط١-مكتبة التراث الإسلامي- القاهرة ١٤٢٤هـ -٢٠٠٤م.

٣. إعراب القرآن الكريم وبيانه -محيي الدين الدرويش -ط٣ -دار الإرشاد سورية -١٤١٢هـ ١٩٩٢م.

٤. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - ناصر مكارم الشيرازي - ط٢ - مطبعة الأميرة -بيروت -لبنان١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م.

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المعروف بـ(تفسير البيضاوي) -ناصر الدين أبوالخير عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٦٩١هـ) -إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي- بيروت، لبنان (د.ت).

٦. البحر المحيط - أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) - ط٢- دار إحياء التراث العربي ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٧. التبيان في تفسير القرآن - محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) -تحـ. حبيب قيصر العاملي - ط١- مطبعة سليمان زادة قم إيران ١٤٣١هـ. ق.

٨. التحقيق في كلمات القرآن الكريم- حسن المصطفوي -ط٣ -دار الكتب العلمية -لبنان١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م.

٩. تفسير القرآن الكريم (تفسير شبر) عبد الله شبر-راجعه د. حامد حفني

(٣٧) التفسير الكبير٤/ ٢٨.

داود ـ ط٢ القاهرة ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م.
١٠. تفسير القرآن الكريم (تفسير عطية بن سعد بن جنادة العوفي ـ ت ١٢٧هـ) ـ تحـ.عبد الرزاق بن محمد حسين حرز الدين –ط١–قم–إيران١٤٣١هـ – ١٣٨٨هـ. ش.
١١. تفسير القرآن الكريم (بحر العلوم) ـ أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) دراسة وتحقيق د. عبد الرحيم أحمد الزقة –ط١ –مطبعة الإرشاد ـ بغداد ١٤٠٥هـ –١٩٨٥م.
١٢. التفسير الكاشف –محمد جواد مغنية ط١ –مطبعة أسوة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.
١٣. التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ـ فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت٦٠٤هـ) –تحـ.عماد زكي البارودي –المكتبة التوقيفية –مصر القاهرة ٢٠٠٣م.
١٤. جامع البيان في تأويل القرآن –أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ) دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٠هـ –١٩٩٩م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) –أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت٦٧١هـ) تحـ.محمد بيومي، وعبد الله المنشاوي مكتبة جزيرة الورد، ومكتبة الإيمان القاهرة (د.ت).
١٦. حاشية الشهاب (المسمّاة: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي) –دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي بيروت –لبنان (د.ت).
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني –أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي ـ تحـ. محمد أحمد الأمد وعمر عبد السلام السلامي ط١ –دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.
١٨. عقود المرجان في تفسير القرآن ـ نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ) –تحـ. مؤسسة شمس الضحى الثقافية إحياء الكتب الإسلامية –قم –إيران ١٤٢٥هـ.
١٩. العين –أبو عبد الرحمن الخليل بن

أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ـ تحـ. د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي -دار الرشيد للنشر بغداد ١٩٨٢م.

٢٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت ١٢٥٠هـ) ـ تحـ د.عبد الرحمن عميرة ط١ -دار الوفاء -المنصورة ١٤١٥هـ ١٩٩٤.

٢١. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ـ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) -مصححة على نسخة خطية، د.عبد الرزاق المهدي ـ ط١ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م.

٢٢. لسان العرب -أبو الفضل محمد بن مكرم المعروف بـ (ابن منظور ت٧١١هـ) -دار الحديث -القاهرة ١٤٢٢هـ -٢٠٠٢م.

٢٣. مجمع البيان لعلوم القرآن -أبو علي الفضل بن الحسن الطّبَرسي (ت ٥٤٨هـ) -مؤسسة الهدى -طهران ١٤١٧هـ -١٩٧٠م.

٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز -أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ) -تحـ.عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، وآخرَين طبع على نفقة الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير قطر -ط١ -الدوحة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٥. مختار الصحاح - محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت٦٦٦هـ) دار الرسالة -الكويت ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

٢٦. المصباح المنير ـ أحمد بن محمد المقري الفيومي (ت٧٧٠هـ) -ط٣ مؤسسة دار الهجرة إيران -قم ١٣٢٥هـ.ش.

٢٧. معاني القرآن -أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ) -ط٢ -عالم الكتب بيروت ١٩٨٠م.

٢٨. معاني القرآن وإعرابه ـ أبو اسحق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت٣٣١١هـ) -تحـ.د. عبد الجليل عبده شلبي ـ دار الحديث-القاهرة ١٤٢٤هـ ـ٢٠٠٤م.

٢٩. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

الكريم-محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الفكر -بيروت ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.

٣٠. المعجم الوجيز -مجمع اللغة العربية في القاهرة -المركز العربي للثقافة والعلوم (د.ت).

٣١. المعجم الوسيط -مجمع اللغة العربية في القاهرة -قام بإخراجه إبراهيم مصطفى وآخرون -ط٢-مطبعة باقري إيران ١٤٢٧هـ ق ١٣٨٥ ش هـ.

٣٢. المفردات في غريب القرآن -أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ) تحـ محمد سيد الكيلاني -دار المعرفة بيروت لبنان (د.ت).

٣٣. مقاييس اللغة -أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) -تحـ.عبد السلام محمد هارون -إيران (د.ت).

٣٤. الميزان في تفسير القرآن -السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٣٦٠هـ) دار الكتب الإسلامية -طهران ١٣٧٩هـ ش.

٣٥. شبكة الإنترنت -موقع عبد الدائم الكحيل.
www.kaheelv.com



إسْمُ النبيِّ إبراهيمَ وَصفاتُهُ
في الكتابِ المقدَّسِ والقرآنِ الكريمِ
-دراسة مقارنة-

د. ستار الفتلاوي

معهد الدراسات السامية والعربية جامعة برلين-المانيا

ملخص البحث

يحاول السيد الباحث في هذا البحث إلقاء الضوء لغوياً على اسم النبي (ابراهيم)عليه السلام باللغات العبرية و السريانية والعربية من خلال نصوص ما يسمى بـ (الكتاب المقدس) الذي يضم التوراة والاناجيل، ثم القرآن الكريم والبحث مقسم على اربع نقاط رئيسة هي:

١- اسم ابراهيم.

٢- اسماء (النبي ابراهيم) وصفاته.

٣- الخطوط الرئيسة لقصته.

٤- معجم اسم النبي ابراهيم في الكتب المقدسة.

الخلاصة:

النبي إبراهيم، خليل الله، أبو المؤمنين، من الأنبياء الذين ورد ذكرهم مرات عدة في الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية، المسيحية، الإسلام)، لدوره الكبير في تاريخ البشرية، ولسبقه في الإيمان والرسالة.

فنجد في ما يسمى (الكتاب المقدس) (العهد القديم والجديد) ذكر اسم النبي إبراهيم، مرات عدة وبصيغ وصفات مختلفة، إذ ورد في العهد القديم (١٧٥) مرة، بصيغة (افراهام) و(٦١) مرة بصيغة (افرام)، واحتلت سيرته وحياته وأعماله مكاناً واسعاً من السفر الأول (سفر التكوين).

وفي العهد الجديد، نجد أن اسم إبراهيم ورد (٧٥) مرة، في الأناجيل الأربعة ورسائل القديسين، مع ذكر صفاته وأعماله الإيمانية بوصفه رمزا للإيمان يُحتذى به.

وفي القرآن الكريم، ورد اسم النبي إبراهيم (٦٩) مرة، في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، تصور قصة هذا النبي وأثرها في عقيدة التوحيد، وقصة الذبيح وبناء الكعبة.

وهذا البحث محاولة لإلقاء الضوء لغوياً على اسم النبي إبراهيم في اللغات العبرية والسريانية والعربية ومن خلال نصوص الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن الكريم).

وقد قسمنا البحث على أربع نقاط رئيسة:

١. اسم إبراهيم.

٢. أسماء النبي إبراهيم وصفاته.

٣. الخطوط الرئيسة لقصة النبي إبراهيم.

٤. معجم اسم النبي إبراهيم في الكتب المقدسة.

١. اسم إبراهيم:

يعدّ اسم (إبراهيم) من الأسماء القديمة التي كانت مستعملة في الشرق القديم، فقد وجد في بعض الألواح الطينية البابلية والآشورية بصيغة (ابارام) او (ابرامو)[1].

ويذكر الدكتور سامي سعيد الأحمد أن اسم (ابرامو) الذي وجد في النصوص

(١) انظر: سوسة، احمد. العرب واليهود في التاريخ، ط ٢، دار الاعتدال، دمشق (د.ت)، ص ٢٣٣.

العراقية القديمة هو نفسه (إبراهيم)، والذي يعد من الأسماء السامية الصرفة[٢].

أما الدكتور خالد إسماعيل علي فقد ذهب إلى أن اسم إبراهيم لعله مركب من اب + ر هـ م بمعنى: اب رحيم، أو أ ب ر هـ أُلحق به الميم من الأصل: ب ر هـ، وقد يكون له صلة اشتقاق بالاسم الحبشي (ابرهة)، من الأصل: ب ر هـ، وان جميع تفاسير الاسم تخمينية غير اكيدة[٣].

وسنتناول اسم النبي (إبراهيم) بالتحليل والدراسة من خلال لغة نصوص الكتب المقدسة، باللغة العبرية (العهد القديم)، واللغة السريانية (العهد الجديد)، واللغة العربية (القرآن الكريم).

• العهد القديم:

ورد هذا الاسم في أسفار العهد القديم بصيغتين، هما:

١. (אַבְרָם/ اَفرام):

وهو الاسم الأول للنبي إبراهيم، وقد ورد (٦١) مرة، معظمها في السفر الأول (سفر التكوين)، منها: تكوين ١١: ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣١، ١٢: ١، ١٣: ٨، ١٥: ١٨، ١٦: ٥[٤]. ويبدو ان هذا الاسم مكوّن من مقطعين، هما:

-الأول (אָב/ آف): أب، والد، سيد[٥].

وجاء في قاموس العهد القديم، إن لفظة (אָב/ آف) من الألفاظ السامية الموجودة في عدد من اللغات السامية، مثل: اللغة الاكدية والفينيقية والآرامية والسريانية والسبئية[٦].

(٢) انظر: الأحمد، د. سامي سعيد. المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، مطبعة الحكم المحلي، بغداد ١٩٨١، ص ١٨.

(٣) انظر: علي، د. خالد اسماعيل. القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، مكتب سناريا، بغداد ٢٠٠٤، ص ١ -٢.

(٤) אבן -שושן، אברהם. הקונקורדנציה החדשה לתורה נביאים וכתובים، מהדורה השלישית، הוצאת קרית -ספר בע»מ ירושלים 1982، כרך ראשון א -ח، עמ»20 -21.

(٥) אבן -שושן، אברהם.המלון החדש، הוצאת קרית -ספר בע»מ ירושלים 1974، כרך ראשון א -ד، עמ» 1.

(٦) Brown، F. Driver، S. Briggs، A. A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament، Oxford 1974. P. 3

-الثاني (רָם/ رام): ارتفع، كبر، علا، سما، وهو فعل أجوف واوي أصله: (רוּם/ روم)[٧].

وبذلك يكون معنى اسم (אַבְרָם/ اَفرام): أب عالٍ، أب عظيم، أب سامٍ.

وهذا ما أشار إليه الأستاذ حسن النجفي، من أن هذا الاسم قريب من (أب+ رام) (Ab + Ram)، ومعنى الاسم: الأب الرفيع العالي[٨].

أما قاموس الكتاب المقدس فقد أشار إلى أن معنى الاسم (ابرامو) هو: الأب الرفيع، الأب المكرّم[٩].

بعد ذلك، نرى أن معنى اسم (אַבְרָם/ اَفرام)، له علاقة بدلالة السمو والرفعة، وانه الأب المكرّم والمعظّم لأمّةٍ من الناس.

٢. (אַבְרָהָם/ اَفراهام):

وهو الاسم الثاني للنبي إبراهيم، وقد ورد (١٧٥) مرة، منها: تكوين ١٧: ٩، ١٥، ١٧، ٢٣، ٢٦، ٢٠: ١٨، ٢١: ١١، ٢٢: ١، خروج ٣: ٦، ١٥، ٤: ٥، اشعيا ٥١: ٢، ارميا ١٣: ٢٦، مزامير ٤٧: ١٠، ١٠٥: ٦[١٠].

ويبدو ان هذا الاسم لا يختلف عن تحليل اسم (אַבְרָם/ اَفرام) كثيرًا، ما عدا في حرف الهاء (ה/ هـ)، ومن الباحثين من يرى أن حرف الهاء حين زيد على الاسم، اكتسب دلالة جديدة ببركة الله تعالى، فزيادة هذا الحرف، وهو مختصر لكلمة (הֲמון/ همون): جمهور، فصار الاسم (אַבְרָהָם/ اَفراهام) بمعنى: اب جمهور[١١].

والاسم في هذا المعنى ينطبق على ما جاء في سفر التكوين، الإصحاح السابع

(٧) אבן -שושן. המלון החדש، כרך ששי ק -ר، עמ» 2491.

(٨) انظر: النجفي، حسن. معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ط ١، دار آفاق عربية، بغداد ١٩٨٣، ص ٩.

(٩) انظر: نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، ط٢، بيروت ١٩٧١، ص ٩.

(١٠) אבן -שושן. הקונקורדנציה החדשה לתורה נביאים וכתובים، כרך ראשון א -ח، עמ» 19 -20.

(١١) انظر: بدر، محمد. الكنز في قواعد اللغة العبرية، المطبعة التجارية الكبرى، مصر (د.ت)، ص ٣٩.

عشر، الفقرة (الآية) الخامسة:

فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك إبراهيم لأني أجعلك أباً لجمهور من الأمم.

وقد ذهب الأب انستاس ماري الكرملي في تفسيره لاسم (إبراهيم)، إلى أنه مركب من مقطعين، هما: (أب) + (رهيم)، وان معناه: أبو الجماعات[١٢].

• العهد الجديد:

ورد هذا الاسم في أسفار العهد الجديد بصيغة واحدة، هي:

-(اَبرُيم/ اَفراهام):

ورد هذا الاسم (٧٥) مرة، منها: متى ١: ٢، ١٧، ٣: ٩، ٨: ١١، لوقا ١: ٥٥، ٣: ٨، ٣٤، ١٦: ٢٤، ٢٥، يوحنا ٨: ٣٩، ٤٠، اعمال ٧: ٢، روما ٤: ١٢، غلاطية ٣: ٦.

وجاء في معجم روض الكلم السرياني، ان (اَبرُيَم/ اَفراهام) اسم مذكر، يعني: أبا الملأ، أبا الكثرة، الأب العظيم، وهو اسم عبري، وان الاسم الآخر لإبراهيم (اَبرُم/ اَفرام) الذي لم يرد في أسفار العهد الجديد، مستعمل كذلك في اللغة السريانية، ويرجع أصله إلى اللغة السريانية[١٣].

• القرآن الكريم:

ورد هذا الاسم في سور القرآن الكريم بصيغة واحدة، هي:

-(إبراهيم):

ورد (٦٩) مرة، في (٣٢) مرة في سور نزلت في مكة المكرمة، و (٣٧) مرة في سور نزلت في المدينة المنورة، منها: البقرة: ١٢٥، ١٢٧، ٢٦٠، آل عمران: ٩٥، النساء: ٥٤، الإنعام: ٧٥، ٨٣، إبراهيم: ٣٥، الأنبياء: ٥١، ٦٩، الصافات: ١٠٤، ١٠٩.

جاء هذا الاسم في اثنتين منها مضافاً إليه (آله)، واثنتين أخريين مضافاً إليه (قومه)، وقد سُمّيت إحدى سور القرآن الكريم باسمه.

(١٢) انظر: الكرملي، الاب انستاس ماري. المساعد، تحقيق: كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٢، ج ١، ص ١٠٩.

(١٣) انظر: حداد، بنيامين. روض الكلم، معجم عربي -سرياني، منشورات مركز جبرائيل دنبو الثقافي، بغداد ٢٠٠٥، ج ٢، ص١٢٧٥.

وقد تكرر اسم النبي إبراهيم (٦٩) مرة، وهو اكبر رقم بعد اسم النبي موسى، وهذا يدل على شدة اهتمام القرآن الكريم بشأنه، لأنّ حياته كانت حافلة بالأحداث ومسيرته وقف لهداية العباد، فيليق بالوحي الإلهي ان يُحدّث بها ويهتم بشأنها ؛ إذ جاء ذكره في (٢٥) سورة، وعرضت وقائع حياته في (٢٠٠) آية مكية ومدنية.

وقد اختلف العلماء العرب في تحليل هذا الاسم، فذهب عدد الى أنه من الأسماء المعربة (الاعجمية)، منهم[١٤]:

- ابن عبّاس في (اللغات في القرآن: ١٨)، أن إبراهيم بلغة توافق السريانية.
- سيبويه في (الكتاب ٣: ٢٣٥) ذهب الى ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وهرمز وفيروز وقارون وفرعون واشباه هذه الاسماء فانها لم تقع في كلامهم (أي العرب) الا معرفة، على حد ما كانت في كلام العجم، ولم تمكن من كلامهم كما تمكّن الأول (أي ما ذكره قبل هذه الاسماء)، ولكنها وقعت معرفة، ولم تكن من اسمائهم العربية، فاستنكروها ولم يجعلوها بمنزلة اسمائهم العربية.
- الجواليقي في (المعرب: ٦١) ذكر ان ابراهيم اسم قديم ليس بعربي.
- ابو حيان في (البحر المحيط ١: ٣٧٢) ذكر أن إبراهيم اسم علم اعجمي، قيل ومعناه بالسريانية -قبل النقل الى العلمية -أب رحيم.
- المصطفوي (التحقيق في كلمات القرآن ١: ٨) ذهب إلى أن هذه الكلمة (ابراهيم) وامثالها المأخوذة من اللغات الاعجمية، إذا تصرف فيها بالابدال او التغيير او التخفيف في التلفظ تصير عربية، ويقال: انها معربة.

وذهب عدد من العلماء إلى ان اسم (إبراهيم) عربي، وانه مشتق من مادة عربية، منهم[١٥]:

- الفيروزآبادي (بصائر ذوي التمييز ٦:

(١٤) انظر: قسم القرآن بمجمع البحوث الاسلامية. المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد ١٤١٩ هـ، المجلد الأول، ص ٨٥ -١٠٧.

(١٥) المصدر نفسه.

٣٢)، ذكر ان بعض المتكلمين قالوا: إن اسم إبراهيم قريب من البراء والبُرء والبراءة، ومن الهيمان والوهم والهمة، فقالوا: بريءٌ من دون الله، فهام قلبه بذكر الله. وقال بعضهم: برأ من علة الزلة، فهمّ بالحلول في محلّة الخُلة، وقيل: برّأه الله في قالب القُربة، فهمّ بصدق النية إلى ملكوت الهمة.

- الدكتور احمد نصيف الجنابي، ذكر ان لفظ (ابراهيم) مشتق من مادة عربية هي (بره) ومنها قالوا: أبره الرجل: إذا غلب الناس وأتى بالعجائب، وأحرف الزيادة في هذا الاسم وفق هذا الأصل هي اربعة (الهمزة والألف والياء والميم)[١٦].
- ومنهم من قال إن (إبراهيم) مشتق من البرهمة، وهي شدة النظر.
- ومنهم من قال إن (إبراهيم)، مركب من (أب) و (رحيم) ثم قلبت الحاء هاء، كما في: (مدح ومده) و(كدح وكده)، وان فتحة الهمزة كسرة كما في الأصر والإصر، والأقط والإقط، وزيدت الفاً بين الراء والهاء، فاصبح: ابراهيم.

واسم (إبراهيم) في اللغة العربية، اسم أعجمي مُنع من الصرف للعلمية والعجمة[١٧].

ولإبراهيم لغات عدة، إذ يذكر أبو حيان أن فيه لُغَىَ ست، هي: إبراهيم بألف وياء وهي الشهيرة المتداولة، وابراهام بالف مكان الياء، وابراِهِم، ابراهَم، ابراهُم باسقاط الياء مع كسر الهاء او فتحها او ضمها، وابرهَم بحذف الألف والياء وفتح الهاء[١٨].

٢. أسماء النبي إبراهيم وصفاته:

ذُكر النبي إبراهيم في الكتب المقدسة (العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم) باسمه الصريح، وبأسماء أخرى ضمنية، هي في معظمها صفات له، منها:

(١٦) انظر: الجنابي، د. احمد نصيف. تأصيل عروبة ابراهيم، مجلة الضاد، ج٢، سنة ١٩٨٩، ص ١٨٦ -١٨٨.

(١٧) انظر: الزجاج، ابو اسحاق ابراهيم بن السري (ت ٣١١هـ). ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة ١٩٧١، ص ٤٥.

(١٨) انظر: الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط، ج١، ص ٣٧٢.

• العهد القديم:

-خليل الله، اشعيا ٤١: ٨، اخبار الايام الثاني ٢٠: ٧.

-الضاحك، تكوين ١٧: ١٧.

-المتكلم مع الله، تكوين ١٨: ١٧، ٢٢: ١٧، ٢٧: ١٨، ٣٣: ١٨.

-أمّة، تكوين ١٨: ١٨.

-المبارَك، تكوين ١٨: ١٨، ١٩: ١٤.

-الشيخ، تكوين ١١: ١٨.

-الصالح، البار، تكوين ٢٣: ١٨.

-المذكور، تكوين ٢٩: ١٩.

-المتنقل، تكوين ١: ٢٠، ١٠: ١٢، ٣٤: ٢١، ٢٧: ٣٥.

-المصلّي، تكوين ١٧: ٢٠.

-الحالف، تكوين ٢٤: ٢١.

-مع الله، تكوين ٢٢: ٢١، ١٥: ٤٨.

-الداعي، تكوين ٣٣: ٢١، ١٤: ٢٢.

-الممتّحن، تكوين ١: ٢٢.

-الساجد، تكوين ٧: ٢٣، ١٢: ٢٣.

-السامع والمطيع، تكوين ٥: ٢٦.

-عبد الله، تكوين ٢٤: ٢٦، خروج ١٣: ٣٢، تثنية ٢٧: ٩.

-المعاهِد، الميثاق، خروج ٢٤: ٢، لاويين ٢٦: ٤٢، تثنية ٥: ٩.

-المؤمن، التابع الى الله، المهاجر، عدد ١١: ٣٢.

-الحليم، تكوين ٨: ١٣.

-القوي، الشجاع، تكوين ١٤: ١٤.

-المتضرّع، تكوين ١٨: ٢٢ -٣٢.

-المُشَفّع، تكوين ١٣.

-الرائي، تكوين ١: ١٥.

-المأجور، تكوين ١: ١٥.

-الكامل، تكوين ١: ١٧.

-مثل موسى، خروج ٣٢: ١٣.

-مثل ايليا، الملوك الأول ١٨: ٣٦.

• العهد الجديد:

-خليل الله، يعقوب ٢: ٢٣.

-اب، متّى ٩: ٣، لوقا ٨: ٣، يوحنا ٣٣: ٨، ٣٧: ٨، ٥٣: ٨.

-المؤمن، متّى ١١: ٨، روما ٣: ٤، ١٢: ٤، غلاطية ٦: ٣، عبرانيين ٨: ١١، ١٧: ١١، يعقوب ٢٣: ٦.

-في ملكوت الله، لوقا ٢٨: ١٣.

-ابو الفقراء المؤمنين، لوقا ٢٢: ١٦، ٢٣: ١٦.

-المبشِّر، غلاطية ٨: ٣.

-المبارك، اعمال ٢٥: ٣، غلاطية ١٤: ٣.
-الموعود، عهد الله، لوقا ٥٥: ١، ٧٣: ١، روما ١٣: ٤، عبرانيين ١٣: ٦.

• القرآن الكريم:

-خليل الله، النساء: ١٢٥.
-المُبتلى، البقرة: ١٢٤.
-الامام، البقرة ١٢٤.
-المُطهّر، الحج: ٢٦.
-الرافع، البقرة: ١٢٧.
-الحنيف والمسلم، آل عمران: ٦٧.
-الصالح، البقرة: ١٣٠.
-المطمئن، البقرة ٢٦٠.
-الأمة والقانت، النحل: ١٢٠.
-الرائي، الانعام: ٧٦.
-البريء، الانعام: ٧٨.
-المتوجه الى الله، الانعام: ٧٩.
-الحليم، الأواه، المنيب، هود: ٧٥.
-المبشَّر، الصافات: ١١٢.
-البعل والشيخ، هود: ٧٢.
-المُبارَك، هود: ٧٣.
-المُضيف، الحجر: ٥١.
-المذكور، مريم: ٤١.
-الصدّيق والنبي، مريم ٤١.
-الوافي، النجم: ٣٧.
-ابو الملة، الحج: ٧٨.
-الذاهب الى الله، الصافات: ٩٩.
-المحسن، الصافات: ١٠٥.
-المؤمن، الصافات: ٨١.
-المرسَل، الحديد: ٢٦.

٣. الخطوط الرئيسة لقصة النبي إبراهيم:

عرضت الكتب المقدسة بشيء من التفصيل قصة النبي إبراهيم، ولاسيما في العهد القديم والقرآن الكريم، نستطيع ان نُجمِلَها بخمسة خطوط رئيسة، هي:

أولاً:- توحيد الرب، ورفض الشرك، واحتجاجه على ذلك:

• العهد القديم:

- كان آباء إبراهيم يعبدون آلهة غير الرب، يشوع ٢٤: ٢، ١٤، أما إبراهيم فقد آمن بالإله الواحد مالك السماء والأرض وإلههما، تكوين ١٤: ٢٢، ٢٤: ٣، وديّان الأمم وكل الأرض، تكوين ١٥: ١٤، ١٨: ٢٥.

• القرآن الكريم:

- اعتزال قومه وما يدعون من دون الله، الصافات: ٩٩، تحطيم الاصنام،

الصافات: ٩١، ٩٢، ٩٣ -٩٨.

ثانياً:- صفاته ومواهبه:

• العهد القديم:

- خليل الله، اخبار الأيام الثاني ٢٠: ٧، اشعيا ٤١: ٨، يعقوب ٢: ٢٣.

- كريم، تكوني ١٣: ٩، ١٤: ٢٣.

- اضافته للغرباء، تكوين ١٨: ٢ -٨.

- اخلاصه ووفائه وامانته، وحنوه ورقة عاطفته، تكوين ١٤: ١٤، ٢٤، ١٨: ٢٣-٣٢.

-شجاعته، تكوين ١٤: ١٤ -١٦.

• القرآن الكريم:

- كان حنيفاً مسلماً ولم يكن مشركاً، آل عمران: ٦٧، ٩٥، الأنعام: ٧٩.

- اتخذ الله إبراهيم خليلاً، النساء: ١٢٥.

- ما كان يهودياً ولا نصرانياً، البقرة: ١٤٠، آل عمران: ٦٥، ٦٦، ٦٧.

-حليم اواه منيب، التوبة: ١١٤، هود: ٧٥.

- امة قانتاً شاكراً، النحل: ١٢٠ -١٢١.

- إراءته كيف يحيى الموتى، البقرة: ٢٦٠.

ثالثاً:- شخصية إبراهيم وسيرة حياته:

• العهد القديم:

- حياته وهو فيما بين النهرين، تكوين ١١: ٢٧ -٣١.

- تنقلاته في كنعان ومصر، تكوين ١٢: ٦-١٠، ١٣: ١ -١٨.

• القرآن الكريم:

- حياته بين أهله وعشيرته، الأنعام: ٧٤-٧٨، الصافات ٨٥ -٩٠.

- إحراقه بالنار، وحماية الله له منها، الأنبياء ٦٨ -٦٩، الصافات ٩٧ -٩٨.

- مغادرته أرضه وموطنه إلى الأرض التي بارك الله فيها، مريم: ٤٩، الأنبياء: ٧١.

رابعاً:- ذرية إبراهيم:

• العهد القديم:

- ولادة إسماعيل، تكوين ١٦: ١ -١٥.

- مباركة الله لإسماعيل، ويصبح امة كبيرة، تكوين ١٧: ٢٠.

- ولادة اسحق، تكوين ١٨: ١ -١٥، ٢١: ١ -٨.

- الشروع بذبح ولده، تكوين ٢٢: ١-١٨.

• القرآن الكريم:

- طلبه ان تكون الإمامة في ذريته، البقرة: ١٢٤.

- وهب له الله اسحق ويعقوب وسائر

الأنبياء، الأنعام: ٨٤، مريم: ٤٩، ٥٠.

- شكره الله لكونه وهب له على الكبر إسماعيل واسحق، إبراهيم: ٣٩.

- دعاؤه ان يبعث فيهم رسول الله محمدﷺ، البقرة: ١٢٩.

- الشروع بذبح ولده، الصافات: ١٠٣.

خامساً:- ضيوفه من الملائكة واحتجاجه في قوم لوط:

- **العهد القديم:**

- نزول الملائكة عليه وتبشيره بالولد، تكوين ١٨: ١ -١٥.

- احتجاجه في قوم لوط، تكوين ١٨: ١٦-٣٣، ١٩: ١ -٢٩.

- **القرآن الكريم:**

- نزول الملائكة عليه وتبشيره بالولد، هود: ٦٩ -٧٤، الحجر: ٥١ -٥٦.

- احتجاجه في قوم لوط، هود: ٧٤ -٧٦، الحجر: ٧٥ -٦٠.

٤. معجم اسم إبراهيم في الكتب المقدسة:

-إبراهيم.

- **العهد القديم.**

تك ١٧: ٥ فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم. لاني اجعلك ابا لجمهور من الامم.

تك ١٧: ١٧ فسقط ابراهيم على وجهه وضحك. وقال في قلبه هل يولد لابن مئة سنة وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة

تك ١٧: ١٨ وقال ابراهيم لله ليت اسماعيل يعيش امامك.

تك ١٨: ١٨ وابراهيم يكون امة كبيرة وقوية ويتبارك به جميع امم الارض.

تك ١٧: ٢٢ فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن ابراهيم.

تك ١٧: ٢٣ فاخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته كل ذكر من اهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم في ذلك اليوم عينه كما كلمه الله.

تك ١٧: ٢٤ وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة حين ختن في لحم غرلته.

تك ١٧: ٢٦ في ذلك اليوم عينه ختن ابراهيم واسماعيل ابنه.

تك ١٨: ٦ فاسرع ابراهيم الى الخيمة الى سارة وقال اسرعي بثلاث كيلات دقيقا سميذا. اعجني واصنعي خبز ملّة.

تك ١٨: ٧ ثم ركض ابراهيم الى البقر

واخذ عجلا رخصا وجيدا واعطاه للغلام فاسرع ليعمله.

تك ١٨: ١١ وكان ابراهيم وسارة شيخين متقدمين في الايام.وقد انقطع ان يكون لسارة عادة كالنساء.

تك ١٨: ١٦ ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم.وكان ابراهيم ماشيا معهم ليشيعهم.

تك ١٨: ١٧ فقال الرب هل اخفي عن ابراهيم ما انا فاعله.

تك ١٨: ٢٢ وانصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم.واما ابراهيم فكان لم يزل قائما امام الرب

تك ١٨: ٢٣ فتقدم ابراهيم وقال أفتهلك البار مع الاثيم.

تك ١٨: ٢٧ فاجاب ابراهيم وقال اني قد شرعت اكلم المولى وانا تراب ورماد.

تك ١٨: ٣٣ وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع ابراهيم ورجع ابراهيم الى مكانه.

تك ١٩: ٢٧ وبكّر ابراهيم في الغد الى المكان الذي وقف فيه امام الرب.

تك ١٩: ٢٩ وحدث لما اخرب الله مدن الدائرة ان الله ذكر ابراهيم وارسل لوطا من وسط الانقلاب.حين قلب المدن التي سكن فيها لوط

تك ٢٠: ١ وانتقل ابراهيم من هناك الى ارض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار.

تك ٢٠: ٢ وقال ابراهيم عن سارة امراته هي اختي.فارسل ابيمالك ملك جرار واخذ سارة.

تك ٢٠: ٩ ثم دعا ابيمالك ابراهيم وقال له ماذا فعلت بنا وبماذا اخطأت اليك حتى جلبت عليّ وعلى مملكتي خطية عظيمة.اعمالا لا تعمل عملت بي.

تك ٢٠: ١١ فقال ابراهيم اني قلت ليس في هذا الموضع خوف الله البتة. فيقتلونني لاجل امرأتي.

تك ٢٠: ١٧ فصلّى ابراهيم الى الله. فشفى الله ابيمالك وامرأته وجواريه فولدن.

تك ٢٠: ١٨ لان الرب كان قد اغلق كل رحم لبيت ابيمالك بسبب سارة امرأة ابراهيم

تك ٢١: ٣ ودعا ابراهيم اسم ابنه

المولود له الذي ولدته له سارة اسحق.

تك ٢١: ٤ وختن ابراهيم اسحق ابنه وهو ابن ثمانية ايام كما امره الله.

تك ٢١: ٥ وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه.

تك ٢١: ٨ فكبر الولد وفطم.وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق

تك ٢١: ١١ فقبح الكلام جدا في عيني ابراهيم لسبب ابنه.

تك ٢١: ١٤ فبكر ابراهيم صباحا واخذ خبزا وقربة ماء واعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها. فمضت وتاهت في برية بئر سبع.

تك ٢١: ٢٢ وحدث في ذلك الزمان ان ابيمالك وفيكول رئيس جيشه كلما ابراهيم قائلين الله معك في كل ما انت صانع.

تك ٢١: ٢٤ فقال ابراهيم انا احلف.

تك ٢١: ٢٥ وعاتب ابراهيم ابيمالك لسبب بئر الماء التي اغتصبها عبيد ابيمالك.

تك ٢١: ٢٧ فاخذ ابراهيم غنما وبقرا واعطى ابيمالك فقطعا كلاهما ميثاقا

تك ٢١: ٢٨ واقام ابراهيم سبع نعاج من الغنم وحدها.

تك ٢١: ٣٣ وغرس ابراهيم أثلا في بئر سبع ودعا هناك باسم الرب الاله السرمدي.

تك ٢١: ٣٤ وتغرب ابراهيم في ارض الفلسطينيين اياما كثيرة

تك ٢٢: ١ وحدث بعد هذه الامور ان الله امتحن ابراهيم.فقال له يا ابراهيم. فقال هانذا.

تك ٢٢: ٣ فبكّر ابراهيم صباحا وشدّ على حماره واخذ اثنين من غلمانه معه واسحق ابنه وشقّق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذي قال له الله.

تك ٢٢: ٤ وفي اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وابصر الموضع من بعيد.

تك ٢٢: ٥ فقال ابراهيم لغلاميه اجلسا انتما ههنا مع الحمار.واما انا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما.

تك ٢٢: ٦ فاخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ابنه واخذ بيده النار والسكين.فذهبا كلاهما معا.

تك ٢٢: ٧ وكلم اسحق ابراهيم اباه وقال يا ابي.فقال هانذا يا ابني.فقال

هوذا النار والحطب ولكن اين الخروف للمحرقة.

تك ٢٢: ٨ فقال ابراهيم الله يرى له الخروف للمحرقة يا ابني. فذهبا كلاهما معا.

تك ٢٢: ٩ فلما أتيا الى الموضع الذي قال له الله بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب.

تك ٢٢: ١٠ ثم مدّ ابراهيم يده واخذ السكين ليذبح ابنه.

تك ٢٢: ١١ فناداه ملاك الرب من السماء وقال ابراهيم ابراهيم. فقال هانذا.

تك ٢٢: ١٣ فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكا في الغابة بقرنيه. فذهب ابراهيم واخذ الكبش واصعده محرقة عوضا عن ابنه.

تك ٢٢: ١٤ فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع يهوه يرأه. حتى انه يقال اليوم في جبل الرب يرى

تك ٢٢: ١٥ ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء.

تك ٢٢: ١٩ ثم رجع ابراهيم الى غلاميه. فقاموا وذهبوا معا الى بئر سبع. وسكن ابراهيم في بئر سبع.

تك ٢٢: ٢٠ وحدث بعد هذه الامور ان ابراهيم أخبر وقيل له هوذا ملكة قد ولدت ايضا بنين لناحور اخيك.

تك ٢٢: ٢٣ وولد بتوئيل رفقة. هؤلاء الثمانية ولدتهم ملكة لناحور اخي ابراهيم.

تك ٢٣: ٢ وماتت سارة في قرية اربع التي هي حبرون في ارض كنعان. فاتى ابراهيم ليندب سارة ويبكي عليها.

تك ٢٣: ٣ وقام ابراهيم من امام ميته وكلم بني حثّ قائلا.

تك ٢٣: ٥ فاجاب بنو حثّ ابراهيم قائلين له.

تك ٢٣: ٧ فقام ابراهيم وسجد لشعب الارض لبني حثّ.

تك ٢٣: ١٠ وكان عفرون جالسا بين بني حثّ. فاجاب عفرون الحثّي ابراهيم في مسامع بني حثّ لدى جميع الداخلين باب مدينته قائلا.

تك ٢٣: ١٢ فسجد ابراهيم امام شعب الارض.

تك ٢٣: ١٤ فاجاب عفرون ابراهيم قائلا له.

تك ٢٣: ١٦ فسمع ابراهيم لعفرون ووزن ابراهيم لعفرون الفضة التي ذكرها في مسامع بني حثّ.اربع مئة شاقل فضة جائزة عند التجار.

تك ٢٣: ١٩ وبعد ذلك دفن ابراهيم سارة امرأته في مغارة حقل المكفيلة امام ممرا التي هي حبرون في ارض كنعان.

تك ٢٤: ١ وشاخ ابراهيم وتقدم في الايام.وبارك الرب ابراهيم في كل شيء.

تك ٢٤: ٢ وقال ابراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كل ما كان له.ضع يدك تحت فخذي.

تك ٢٤: ٦ فقال له ابراهيم احترز من ان ترجع بابني الى هناك.

تك ٢٤: ٩ فوضع العبد يده تحت فخذ ابراهيم مولاه وحلف له على هذا الامر

تك ٢٤: ١٢ وقال ايها الرب اله سيدي ابراهيم يسّر لي اليوم واصنع لطفا الى سيدي ابراهيم.

تك ٢٤: ١٥ واذ كان لم يفرغ بعد من الكلام اذا رفقة التي ولدت لبتوئيل ابن ملكة امرأة ناحور اخي ابراهيم خارجة وجرتها على كتفها.

تك ٢٤: ٢٧ وقال مبارك الرب اله سيدي ابراهيم الذي لم يمنع لطفه وحقه عن سيدي.اذ كنت انا في الطريق هداني الرب الى بيت اخوة سيدي.

تك ٢٤: ٣٤ فقال انا عبد ابراهيم.

تك ٢٤: ٤٢ فجئت اليوم الى العين وقلت ايها الرب اله سيدي ابراهيم ان كنت تنجح طريقي الذي انا سالك فيه.

تك ٢٤: ٤٨ وخررت وسجدت للرب وباركت الرب اله سيدي ابراهيم الذي هداني في طريق امين لآخذ ابنة اخي سيدي لابنه.

تك ٢٤: ٥٢ وكان عندما سمع عبد ابراهيم كلامهم انه سجد للرب الى الارض.

تك ٢٤: ٥٩ فصرفوا رفقة اختهم ومرضعتها وعبد ابراهيم ورجاله.

تك ٢٥: ١ وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة.

تك ٢٥: ٥ واعطى ابراهيم اسحق كل ما كان له.

تك ٢٥: ٦ واما بنو السراري اللواتي كانت لابراهيم فاعطاهم ابراهيم عطايا

وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى ارض المشرق وهو بعد حيّ.

تك ٢٥:٧ وهذه ايام سني حياة ابراهيم التي عاشها.مئة وخمس وسبعون سنة.

تك ٢٥: ٨ واسلم ابراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعان اياما وانضمّ الى قومه.

تك ٢٥: ١٠ الحقل الذي اشتراه ابراهيم من بني حثّ.هناك دفن ابراهيم وسارة امرأته.

تك ٢٥: ١١ وكان بعد موت ابراهيم ان الله بارك اسحق ابنه.وسكن اسحق عند بئر لحي رئي

تك ٢٥: ١٢ وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة لابراهيم.

تك ٢٥: ١٩ وهذه مواليد اسحق بن ابراهيم.ولد ابراهيم اسحق.

تك ٢٦: ١ وكان في الارض جوع غير الجوع الاول الذي كان في ايام ابراهيم.فذهب اسحق الى ابيمالك ملك الفلسطينيين الى جرار.

تك ٢٦: ٥ من اجل ان ابراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي اوامري وفرائضي وشرائعي.

تك ٢٦: ١٥ وجميع الآبار التي حفرها عبيد ابيه في ايام ابراهيم ابيه طمّها الفلسطينيون وملأوها ترابا.

تك ٢٦: ١٨ فعاد اسحق ونبش آبار الماء التي حفروها في ايام ابراهيم ابيه وطمّها الفلسطينيون بعد موت ابيه.ودعاها باسماء كالاسماء التي دعاها بها ابوه.

تك ٢٦: ٢٤ فظهر له الرب في تلك الليلة وقال انا اله ابراهيم ابيك.لا تخف لاني معك وابارِكك واكثر نسلك من اجل ابراهيم عبدي.

تك ٢٨: ٤ ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك معك.لترث ارض غربتك التي اعطاها الله لابراهيم.

تك ٢٨: ٩ فذهب عيسو الى اسماعيل واخذ محلة بنت اسماعيل بن ابراهيم اخت نبايوت زوجة له على نسائه.

تك ٢٨: ١٣ وهوذا الرب واقف عليها فقال انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق.الارض التي انت مضطجع عليها اعطيها لك ولنسلك.

تك ٣١: ٤٢ لولا ان اله ابي اله ابراهيم وهيبة اسحق كان معي لكنت الآن قد صرفتني فارغا. مشقّتي وتعب يديّ قد نظر الله فوبّخك البارحة.

تك ٣١: ٥٣ اله ابراهيم وآلهة ناحور آلهة ابيهما يقضون بيننا. وحلف يعقوب بهيبة ابيه اسحق.

تك ٣٢: ٩ وقال يعقوب يا اله ابي ابراهيم واله ابي اسحق الرب الذي قال لي ارجع الى ارضك والى عشيرتك فاحسن اليك.

تك ٣٥: ١٢ والارض التي اعطيت ابراهيم واسحق لك اعطيها. ولنسلك من بعدك اعطي الارض.

تك ٣٥: ٢٧ وجاء يعقوب الى اسحق ابيه الى ممرا قرية اربع التي هي حبرون. حيث تغرب ابراهيم واسحق.

تك ٤٨: ١٥ وبارك يوسف وقال الله الذي سار امامه ابواي ابراهيم واسحق. الله الذي رعاني منذ وجودي الى هذا اليوم.

تك ٤٨: ١٦ الملاك الذي خلصني من كل شر يبارك الغلامين. وليدع عليهما اسمي واسم ابوي ابراهيم واسحق. وليكثرا كثيرا في الارض.

تك ٤٩: ٣٠ في المغارة التي في حقل المكفيلة التي امام ممرا في ارض كنعان التي اشتراها ابراهيم مع الحقل من عفرون الحثي ملك قبر.

تك ٤٩: ٣١ هناك دفنوا ابراهيم وسارة امرأته. هناك دفنوا اسحق ورفقة امرأته. وهناك دفنت ليئة.

تك ٥٠: ١٣ حمله بنوه الى ارض كنعان ودفنوه في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها ابراهيم مع الحقل ملك قبر من عفرون الحثي امام ممرا.

خر ٢: ٢٤ فسمع الله انينهم فتذّكر الله ميثاقه مع ابراهيم واسحق ويعقوب.

خر ٣: ٦ ثم قال انا اله ابيك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب. فغطى موسى وجهه لانه خاف ان ينظر الى الله.

خر ٣: ١٥ وقال الله ايضا لموسى هكذا تقول لبني اسرائيل يهوه اله آبائكم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب ارسلني اليكم. هذا اسمي الى الابد وهذا ذكري الى دور فدور.

خر ٣: ١٦ اذهب واجمع شيوخ

اسرائيل وقل لهم الرب اله آبائكم اله ابراهيم واسحق ويعقوب ظهر لي قائلا اني قد افتقدتكم وما صنع بكم في مصر.

خر ٤: ٥ لكي يصدقوا انه قد ظهر لك الرب اله آبائهم اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب.

خر ٣٢: ١٣ اذكر ابراهيم واسحق واسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم اكثر نسلكم كنجوم السماء واعطي نسلكم كل هذه الارض الذي تكلمت عنها فيملكونها الى الابد.

لا ٢٦: ٤٢ اذكر ميثاقي مع يعقوب واذكر ايضا ميثاقي مع اسحق وميثاقي مع ابراهيم واذكر الارض.

تث ١: ٨ انظر قد جعلت امامكم الارض. ادخلوا وتملكوا الارض التي اقسم الرب لآبائكم ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيها لهم ولنسلهم من بعدهم.

تث ٦: ١٠ ومتى أتى بك الرب الهك الى الارض التي حلف لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيك. الى مدن عظيمة جيدة لم تبنها.

تث ٩: ٥ ليس لاجل برك وعدالة قلبك تدخل لتمتلك ارضهم بل لاجل اثم اولئك الشعوب يطردهم الرب الهك من امامك ولكي يفي بالكلام الذي اقسم الرب عليه لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب.

تث ٩: ٢٧ اذكر عبيدك ابراهيم واسحق ويعقوب. لا تلتفت الى غلاظة هذا الشعب واثمه وخطيته.

تث ٢٩: ١٣ لكي يقيمك اليوم لنفسه شعبا وهو يكون لك الها كما قال لك وكما حلف لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب.

تث ٣٠: ٢٠ اذ تحب الرب الهك وتسمع لصوته وتلتصق به لانه هو حياتك والذي يطيل ايامك لكي تسكن على الارض التي حلف الرب لآبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ان يعطيهم اياها.

يش ٢٤: ٢ وقال يشوع لجميع الشعب. هكذا قال الرب اله اسرائيل. آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الدهر. تارح ابو ابراهيم وابو ناحور وعبدوا آلهة اخرى.

يش ٢٤: ٣ فأخذت ابراهيم اباكم من عبر النهر وسرت به في كل ارض كنعان

واكثرت نسله واعطيته اسحق.

١مل ١٨: ٣٦ وكان عند اصعاد التقدمة ان ايليا النبي تقدم وقال ايها الرب اله ابراهيم واسحق واسرائيل ليعلم اليوم انك انت الله في اسرائيل واني انا عبدك وبامرك قد فعلت كل هذه الامور.

٢مل ١٣: ٢٣ فحنّ الرب عليهم ورحمهم والتفت اليهم لاجل عهده مع ابراهيم واسحق ويعقوب ولم يشأ ان يستأصلهم ولم يطرحهم عن وجهه حتى الآن.

١اخ ١: ٢٧ ابرام وهو ابراهيم.

١اخ ١: ٢٨ ابنا ابراهيم اسحق واسماعيل.

١اخ ١: ٣٢ واما بنو قطورة سرية ابراهيم فانها ولدت زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا. وابنا يقشان شبا ودان.

١اخ ١: ٣٤ وولد ابراهيم اسحق وابنا اسحق عيسو واسرائيل

١اخ ١٦: ١٦ الذي قطعه مع ابراهيم. وقسمه لاسحق.

١اخ ٢٩: ١٨ يا رب اله ابراهيم واسحق واسرائيل آبائنا احفظ هذه الى الابد في تصوّر افكار قلوب شعبك واعدّ قلوبهم نحوك.

٢اخ ٢٠: ٧ ألست انت الهنا الذي طردت سكان هذه الارض من امام شعبك اسرائيل واعطيتها لنسل ابراهيم خليلك الى الابد.

٢اخ ٣٠: ٦ فذهب السعاة بالرسائل من يد الملك ورؤسائه في جميع اسرائيل ويهوذا وحسب وصية الملك كانوا يقولون يا بني اسرائيل ارجعوا الى الرب اله ابراهيم واسحق واسرائيل فيرجع الى الناجين الباقين لكم من يد ملوك اشور.

نح ٩: ٧ انت هو الرب الاله الذي اخترت ابرام واخرجته من اور الكلدانيين وجعلت اسمه ابراهيم.

مز ٤٧: ٩ شرفاء الشعوب اجتمعوا. شعب اله ابراهيم. لان لله مجان الارض. هو متعال جدا

مز ١٠٥: ٦ يا ذرية ابراهيم عبده يا بني يعقوب مختاريه.

مز ١٠٥: ٩ الذي عاهد به ابراهيم وقسمه لاسحق.

مز ١٠٥: ٤٢ لانه ذكر كلمة قدسه مع ابراهيم عبده.

اش ٢٩: ٢٢ لذلك هكذا يقول لبيت يعقوب الرب الذي فدى ابراهيم.ليس الآن يخجل يعقوب وليس الآن يصفار وجهه.

اش ٤١: ٨ واما انت يا اسرائيل عبدي يا يعقوب الذي اخترته نسل ابراهيم خليلي.

اش ٥١: ٢ انظروا الى ابراهيم ابيكم والى سارة التي ولدتكم.لاني دعوته وهو واحد وباركته واكثرته.

اش ٦٣: ١٦ فانك انت ابونا وان لم يعرفنا ابراهيم وان لم يدرنا اسرائيل انت يا رب ابونا ولينا منذ الابد اسمك.

ار ٣٣: ٢٦ فاني ايضا ارفض نسل يعقوب وداود عبدي فلا آخذ من نسله حكاما لنسل ابراهيم واسحق ويعقوب لاني ارد سبيهم وارحمهم.

حز ٣٣: ٢٤ يا ابن آدم ان الساكنين في هذه الخرب في ارض اسرائيل يتكلمون قائلين ان ابراهيم كان واحدا وقد ورث الارض.ونحن كثيرون.لنا أعطيت الارض ميراثا.

• العهد الجديد

مت ١: ١ كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم.

مت ١: ٢ ابراهيم ولد اسحق. واسحق ولد يعقوب.ويعقوب ولد يهوذا واخوته.

مت ١: ١٧ فجميع الاجيال من ابراهيم الى داود اربعة عشر جيلا.ومن داود الى سبي بابل اربعة عشر جيلا. ومن سبي بابل الى المسيح اربعة عشر جيلا.

مت ٣: ٩ ولا تفتكروا ان تقولوا في انفسكم لنا ابراهيم ابا.لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابراهيم.

مت ٨: ١١ واقول لكم ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب في ملكوت السموات.

مت ٢٢: ٣٢ انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب.ليس الله اله اموات بل اله احياء.

مر ١٢: ٢٦ واما من جهة الاموات انهم يقومون أفما قرأتم في كتاب موسى

في أمر العلّيقة كيف كلمه الله قائلا انا اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب.

لو ٣: ٨ فاصنعوا اثمارا تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في انفسكم لنا ابراهيم ابا. لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابراهيم.

لو ٣: ٣٤ بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم بن تارح بن ناحور

لو ١٣: ١٦ وهذه وهي ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثماني عشرة سنة أما كان ينبغي ان تحل من هذا الرباط في يوم السبت.

لو ١٣: ٢٨ هناك يكون البكاء وصرير الاسنان متى رأيتم ابراهيم واسحق ويعقوب وجميع الانبياء في ملكوت الله وانتم مطروحون خارجا.

لو ١٦: ٢٢ فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم. ومات الغني ايضا ودفن.

لو ١٦: ٢٣ فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ولعازر في حضنه.

لو ١٦: ٢٤ فنادى وقال يا ابي ابراهيم ارحمني وارسل لعازر ليبل طرف اصبعه بماء ويبرّد لساني لاني معذب في هذا اللهيب.

لو ١٦: ٢٥ فقال ابراهيم يا ابني اذكر انك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك لعازر البلايا. والآن هو يتعزى وانت تتعذب.

لو ١٦: ٢٩ قال له ابراهيم عندهم موسى والانبياء. ليسمعوا منهم.

لو ١٦: ٣٠ فقال لا يا ابي ابراهيم. بل اذا مضى اليهم واحد من الاموات يتوبون.

لو ١٩: ٩ فقال له يسوع اليوم حصل خلاص لهذا البيت اذ هو ايضا ابن ابراهيم.

لو ٢٠: ٣٧ واما ان الموتى يقومون فقد دل عليه موسى ايضا في امر العليقة كما يقول. الرب اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب.

يو ٨: ٣٣ اجابوه اننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لاحد قط. كيف تقول انت انكم تصيرون احرارا.

يو ٨: ٣٧ انا عالم انكم ذرية ابراهيم. لكنكم تطلبون ان تقتلوني لان كلامي لا موضع له فيكم.

يو ٨: ٣٩ اجابوا وقالوا له ابونا هو ابراهيم.قال لهم يسوع لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم.

يو ٨: ٤٠ ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني وانا انسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله.هذا لم يعمله ابراهيم.

يو ٨: ٥٢ فقال له اليهود الآن علمنا ان بك شيطانا.قد مات ابراهيم والانبياء. وانت تقول ان كان احد يحفظ كلامي فلن يذوق الموت الى الابد.

يو ٨: ٥٣ ألعلك اعظم من ابينا ابراهيم الذي مات.والانبياء ماتوا.من تجعل نفسك.

يو ٨: ٥٦ ابوكم ابراهيم تهلل بان يرى يومي فرأى وفرح.

يو ٨: ٥٧ فقال له اليهود ليس لك خمسون سنة بعد.أفرأيت ابراهيم.

يو ٨: ٥٨ قال لهم يسوع الحق الحق اقول لكم قبل ان يكون ابراهيم انا كائن.

اع ٣: ١٣ ان اله ابراهيم واسحق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذي اسلمتموه انتم وانكرتموه امام وجه بيلاطس وهو حاكم باطلاقه.

اع ٧: ٢ فقال ايها الرجال الاخوة والآباء اسمعوا.ظهر اله المجد لابينا ابراهيم وهو في ما بين النهرين قبلما سكن في حاران.

اع ٧: ١٦ ونقلوا الى شكيم ووضعوا في القبر الذي اشتراه ابراهيم بثمن فضة من بني حمور ابي شكيم.

اع ٧: ٣٢ انا اله آبائك اله ابراهيم واله اسحق واله يعقوب.فارتعد موسى ولم يجسر ان يتطلع.

اع ١٣: ٢٦ ايها الرجال الاخوة بني جنس ابراهيم والذين بينكم يتقون الله اليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص.

رو ٤: ١ فماذا نقول ان ابانا ابراهيم قد وجد حسب الجسد.

رو ٤: ٢ لانه ان كان ابراهيم قد تبرر بالاعمال فله فخر.ولكن ليس لدى الله.

رو ٤: ٣ لانه ماذا يقول الكتاب.فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا.

رو ٤: ١٢ وابا للختان للذين ليسوا من الختان فقط بل ايضا يسلكون في خطوات ايمان ابينا ابراهيم الذي كان وهو في الغرلة.

رو ٤: ١٦ لهذا هو من الايمان كي يكون على سبيل النعمة ليكون الوعد وطيدا لجميع النسل ليس لمن هو من الناموس فقط بل ايضا لمن هو من ايمان ابراهيم الذي هو اب لجميعنا.

رو ٩: ٧ ولا لانهم من نسل ابراهيم هم جميعا اولاد.بل باسحق يدعى لك نسل.

رو ١١: ١ فاقول ألعل الله رفض شعبه.حاشا.لاني انا ايضا اسرائيلي من نسل ابراهيم من سبط بنيامين.

٢كو ١١: ٢٢ أهم عبرانيون فانا ايضا.أهم اسرائيليون فانا ايضا.أهم نسل ابراهيم فانا ايضا.

غل ٣: ٦ كما آمن ابراهيم بالله فحسب له برا.

غل ٣: ٧ اعلموا اذا ان الذين هم من الايمان اولئك هم بنو ابراهيم.

غل ٣: ٨ والكتاب اذ سبق فرأى ان الله بالايمان يبرر الامم سبق فبشر ابراهيم ان فيك تتبارك جميع الامم.

غل ٣: ٩ اذا الذين هم من الايمان يتباركون مع ابراهيم المؤمن.

غل ٣: ١٤ لتصير بركة ابراهيم للامم في المسيح يسوع لننال بالايمان موعد الروح

غل ٣: ١٦ واما المواعيد فقيلت في ابراهيم وفي نسله.لا يقول وفي الانسال كانه عن كثيرين بل كانه عن واحد وفي نسلك الذي هو المسيح.

غل ٣: ٢٩ فان كنتم للمسيح فانتم اذا نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة.

عب ٢: ١٦ لانه حقا ليس يمسك الملائكة بل يمسك نسل ابراهيم.

عب ٦: ١٣ فانه لما وعد الله ابراهيم اذ لم يكن له اعظم يقسم به اقسم بنفسه.

عب ٧: ١ لان ملكي صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلي الذي استقبل ابراهيم راجعا من كسرة الملوك وباركه.

عب ٧: ٢ الذي قسم له ابراهيم عشرا من كل شيء.المترجم اولا ملك البر ثم ايضا ملك ساليم اي ملك السلام.

عب ٧: ٤ ثم انظروا ما اعظم هذا الذي اعطاه ابراهيم رئيس الآباء عشرا ايضا من راس الغنائم.

عب ٧: ٥ واما الذين هم من بني لاوي الذين يأخذون الكهنوت فلهم

وصية ان يعشروا الشعب بمقتضى الناموس اي اخوتهم مع انهم قد خرجوا من صلب ابراهيم.

عب ٧: ٦ ولكن الذي ليس له نسب منهم قد عشّر ابراهيم وبارك الذي له المواعيد

عب ١١: ٨ بالايمان ابراهيم لما دعي اطاع ان يخرج الى المكان الذي كان عتيدا ان يأخذه ميراثا فخرج وهو لا يعلم الى اين يأتي.

عب ١١: ١٧ بالايمان قدم ابراهيم اسحق وهو مجرب.قدم الذي قبل المواعيد وحيده.

يع ٢: ٢١ ألم يتبرر ابراهيم ابونا بالاعمال اذ قدم اسحق ابنه على المذبح.

يع ٢: ٢٣ وتم الكتاب القائل فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا ودعي خليل الله.

١بط ٣: ٦ كما كانت سارة تطيع ابراهيم داعية اياه سيدها.التي صرتنّ اولادها صانعات خيرا وغير خائفات خوفا البتة.

-لإبراهيم

• العهد القديم

تك ١٧: ٩ وقال الله لابراهيم واما انت فتحفظ عهدي.انت ونسلك من بعدك في اجيالهم.

تك ١٧: ١٥ وقال الله لابراهيم ساراي امرأتك لا تدعو اسمها ساراي بل اسمها سارة.

تك ١٨: ١٣ فقال الرب لابراهيم لماذا ضحكت سارة قائلة أفبالحقيقة الد وانا قد شخت.

تك ١٨: ١٩ لاني عرفته لكي يوصي بنيه وبيته من بعده ان يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا لكي ياتي الرب لابراهيم بما تكلم به.

تك ٢٠: ١٠ وقال ابيمالك لابراهيم ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء.

تك ٢٠: ١٤ فاخذ ابيمالك غنما وبقرا وعبيدا واماء واعطاها لابراهيم.ورد اليه سارة امرأته.

تك ٢١: ٢ فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا في شيخوخته.في الوقت الذي تكلم الله عنه.

تك ٢١: ٧ وقالت من قال لابراهيم سارة ترضع بنين.حتى ولدت ابنا في شيخوخته.

تك ٢١: ٩ ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لابراهيم يمزح.

تك ٢١: ١٠ فقالت لابراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. لان ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني اسحق.

تك ٢١: ١٢ فقال الله لابراهيم لا يقبح في عينيك من اجل الغلام ومن اجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لانه باسحق يدعى لك نسل.

تك ٢١: ٢٩ فقال ابيمالك لابراهيم ما هذه السبع النعاج التي اقمتها وحدها.

تك ٢٣: ١٨ لابراهيم ملكا لدى عيون بني حثّ بين جميع الداخلين باب مدينته.

تك ٢٣: ٢٠ فوجب الحقل والمغارة التي فيه لابراهيم ملك قبر من عند بني حثّ.

تك ٢٥: ٦ واما بنو السراري اللواتي كانت لابراهيم فاعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى ارض المشرق وهو بعد حيّ.

تك ٢٥: ١٢ وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذي ولدته هاجر المصرية جارية سارة لابراهيم.

تك ٢٦: ٣ تغرب في هذه الارض. فاكون معك واباركك. لاني لك ولنسلك اعطي جميع هذه البلاد واني بالقسم الذي اقسمت لابراهيم ابيك.

تك ٢٨: ٤ ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك معك. لترث ارض غربتك التي اعطاها الله لابراهيم.

تك ٥٠: ٢٤ وقال يوسف لاخوته انا اموت. ولكن الله سيفتقدكم ويصعدكم من هذه الارض الى الارض التي حلف لابراهيم واسحق ويعقوب.

خر ٦: ٣ وانا ظهرت لابراهيم واسحق ويعقوب باني الاله القادر على كل شيء. واما باسمي يهوه فلم أعرف عندهم.

خر ٦: ٨ وادخلكم الى الارض التي رفعت يدي ان اعطيها لابراهيم واسحق ويعقوب. واعطيكم اياها ميراثا. انا الرب.

خر ٣٣: ١ وقال الرب لموسى اذهب اصعد من هنا انت والشعب الذي اصعدته من ارض مصر الى الارض التي حلفت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك اعطيها.

عد ٣٢: ١١ لن يرى الناس الذين صعدوا من مصر من ابن عشرين سنة فصاعدا الارض التي اقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب لانهم لم يتبعوني تماما.

تث ٣٤: ٤ وقال له الرب هذه هي الارض التي اقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب قائلا لنسلك اعطيها.قد اريتك اياها بعينيك ولكنك الى هناك لا تعبر.

مي ٧: ٢٠ تصنع الامانة ليعقوب والرأفة لابراهيم اللتين حلفت لآبائنا منذ ايام القدم.

• العهد الجديد

مت ٣: ٩ ولا تفتكروا ان تقولوا في انفسكم لنا ابراهيم ابا.لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابراهيم.

لو ١: ٥٥ كما كلم آباءنا.لابراهيم ونسله الى الابد.

لو ١: ٧٣ القسم الذي حلف لابراهيم ابينا.

لو ٣: ٨ فاصنعوا اثمارا تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في انفسكم لنا ابراهيم ابا.لاني اقول لكم ان الله قادر ان يقيم من هذه الحجارة اولادا لابراهيم.

اع ٣: ٢٥ انتم ابناء الانبياء والعهد الذي عاهد به الله آباءنا قائلا لابراهيم وبنسلك تتبارك جميع قبائل الارض.

اع ٧: ١٧ وكما كان يقرب وقت الموعد الذي اقسم الله عليه لابراهيم كان ينمو الشعب ويكثر في مصر.

رو ٤: ٩ أفهذا التطويب هو على الختان فقط ام على الغرلة ايضا.لاننا نقول انه حسب لابراهيم الايمان برا.

رو ٤: ١٣ فانه ليس بالناموس كان الوعد لابراهيم او لنسله ان يكون وارثا للعالم بل ببر الايمان.

غل ٣: ١٨ لانه ان كانت الوراثة من الناموس فلم تكن ايضا من موعد.ولكن الله وهبها لابراهيم بموعد.

غل ٤: ٢٢ فانه مكتوب انه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية والآخر من الحرة.

عب ٧: ٩ حتى اقول كلمة ان لاوي ايضا الآخذ الاعشار قد عشّر بابراهيم.

-إبرام

• العهد القديم

تك ١١: ٢٦ وعاش تارح سبعين سنة وولد ابرام وناحور وهاران.

تك ١١: ٢٧ وهذه مواليد تارح. ولد تارح ابرام وناحور وهاران. وولد هاران لوطا.

تك ١١: ٢٩ واتخذ ابرام وناحور لانفسهما امرأتين. اسم امرأة ابرام ساراي واسم امرأة ناحور ملكة بنت هاران ابي ملكة وابي يسكة.

تك ١١: ٣١ واخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه وساراي كنته امرأة ابرام ابنه. فخرجوا معا من اور الكلدانيين ليذهبوا الى ارض كنعان. فأتوا الى حاران واقاموا هناك.

تك ١٢: ٤ فذهب ابرام كما قال له الرب وذهب معه لوط. وكان ابرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران.

تك ١٢: ٥ فاخذ ابرام ساراي امرأته ولوطا ابن اخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران. وخرجوا ليذهبوا الى ارض كنعان. فأتوا الى ارض كنعان.

تك ١٢: ٦ واجتاز ابرام في الارض الى مكان شكيم الى بلّوطة مورة. وكان الكنعانيون حينئذ في الارض.

تك ١٢: ٩ ثم ارتحل ابرام ارتحالا متواليا نحو الجنوب.

تك ١٢: ١٠ وحدث جوع في الارض. فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك. لان الجوع في الارض كان شديدا.

تك ١٢: ١٤ فحدث لما دخل ابرام الى مصر ان المصريين رأوا المرأة انها حسنة جدا.

تك ١٢: ١٦ فصنع الى ابرام خيرا بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتن وجمال.

تك ١٢: ١٧ فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة ابرام.

تك ١٢: ١٨ فدعا فرعون ابرام وقال ما هذا الذي صنعت بي. لماذا لم تخبرني انها امرأتك.

تك ١٣: ١ فصعد ابرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه الى الجنوب.

تك ١٣: ٢ وكان ابرام غنيا جدا في

المواشي والفضة والذهب.

تك ١٣: ٤ الى مكان المذبح الذي عمله هناك اولا. ودعا هناك ابرام باسم الرب.

تك ١٣: ٥ ولوط السائر مع ابرام كان له ايضا غنم وبقر وخيام.

تك ١٣: ٧ فحدثت مخاصمة بين رعاة مواشي ابرام ورعاة مواشي لوط. وكان الكنعانيون والفرزّيون حينئذ ساكنين في الارض.

تك ١٣: ٨ فقال ابرام للوط لا تكن مخاصمة بيني وبينك وبين رعاتي ورعاتك. لاننا نحن اخوان.

تك ١٣: ١٢ ابرام سكن في ارض كنعان ولوط سكن في مدن الدائرة ونقل خيامه الى سدوم.

تك ١٣: ١٨ فنقل ابرام خيامه واتى واقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون. بنى هناك مذبحا للرب.

تك ١٤: ١٢ وأخذوا لوطا ابن اخي ابرام واملاكه ومضوا. اذ كان ساكنا في سدوم.

تك ١٤: ١٣ فأتى من نجا واخبر ابرام العبراني. وكان ساكنا عند بلوطات ممرا الاموري اخي اشكول واخي عانر. وكانوا اصحاب عهد مع ابرام.

تك ١٤: ١٤ فلما سمع ابرام ان اخاه سبي جرّ غلمانه المتمرّنين ولدان بيته ثلث مئة وثمانية عشر وتبعهم الى دان.

تك ١٤: ١٩ وباركه وقال مبارك ابرام من الله العلي مالك السموات والارض

تك ١٤: ٢٢ فقال ابرام لملك سدوم رفعت يدي الى الرب الاله العلي مالك السماء والارض.

تك ١٤: ٢٣ لا آخذنّ لا خيطا ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك. فلا تقول انا اغنيت ابرام.

تك ١٥: ١ بعد هذه الامور صار كلام الرب الى ابرام في الرؤيا قائلا. لا تخف يا ابرام. انا ترس لك. اجرك كثير جدا.

تك ١٥: ٢ فقال ابرام ايها السيد الرب ماذا تعطيني وانا ماض عقيما ومالك بيتي هو أليعازر الدمشقي.

تك ١٥: ٣ وقال ابرام ايضا انك لم تعطني نسلا وهوذا ابن بيتي وارث لي.

تك ١٥: ١١ فنزلت الجوارح على

الجثث وكان ابرام يزجرها.

تك ١٥: ١٢ ولما صارت الشمس الى المغيب وقع على ابرام سبات.واذا رعبة مظلمة عظيمة واقعة عليه.

تك ١٥: ١٨ في ذلك اليوم قطع الرب مع ابرام ميثاقا قائلا.لنسلك اعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات.

تك ١٦: ١ واما ساراي امرأة ابرام فلم تلد له.وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر.

تك ١٦: ٢ فقالت ساراي لابرام هوذا الرب قد امسكني عن الولادة.ادخل على جاريتي.لعلي أرزق منها بنين.فسمع ابرام لقول ساراي.

تك ١٦: ٣ فاخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في ارض كنعان واعطتها لابرام رجلها زوجة له.

تك ١٦: ٦ فقال ابرام لساراي هوذا جاريتك في يدك.افعلي بها ما يحسن في عينيك.فاذلّتها ساراي.فهربت من وجهها

تك ١٦: ١٥ فولدت هاجر لابرام ابنا.ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل.

تك ١٦: ١٦ وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام.

تك ١٧: ١ ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له انا الله القدير.سر امامي وكن كاملا.

تك ١٧: ٣ فسقط ابرام على وجهه. وتكلم الله معه قائلا.

تك ١٧: ٥ فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم.لاني اجعلك ابا لجمهور من الامم.

١اخ ١: ٢٧ ابرام وهو ابراهيم.

نح ٩: ٧ انت هو الرب الاله الذي اخترت ابرام واخرجته من اور الكلدانيين وجعلت اسمه ابراهيم.

-لإبرام

• العهد القديم

تك ١٢: ١ وقال الرب لابرام اذهب من ارضك ومن عشيرتك ومن بيت ابيك الى الارض التي اريك.

تك ١٢: ٧ وظهر الرب لابرام وقال

لنسلك اعطي هذه الارض.فبنى هناك مذبحا للرب الذي ظهر له.

تك ١٣: ١٤ وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه.ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي انت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا.

تك ١٤: ٢١ وقال ملك سدوم لابرام اعطني النفوس واما الاملاك فخذها لنفسك.

تك ١٥: ١٣ فقال لابرام اعلم يقينا ان نسلك سيكون غريبا في ارض ليست لهم ويستعبدون لهم.فيذلونهم اربع مئة سنة.

تك ١٦: ٢ فقالت ساراي لابرام هوذا الرب قد امسكني عن الولادة.ادخل على جاريتي.لعلي أرزق منها بنين.فسمع ابرام لقول ساراي.

تك ١٦: ٣ فاخذت ساراي امرأة ابرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام في ارض كنعان واعطتها لابرام رجلها زوجة له.

تك ١٦: ٥ فقالت ساراي لابرام ظلمي عليك.انا دفعت جاريتي الى حضنك.فلما رأت انها حبلت صغرت في عينيها.يقضي الرب بيني وبينك.

تك ١٦: ١٥ فولدت هاجر لابرام ابنا.ودعا ابرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل.

تك ١٦: ١٦ وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام.

تك ١٧: ١ ولما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لابرام وقال له انا الله القدير.سر امامي وكن كاملا.

-إبراهيم

• القرآن الكريم

[سورة البقرة: ١٢٤] ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

[سورة البقرة: ١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

[سورة البقرة: ١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ

الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾.

[سورة البقرة: ١٢٧] ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

[سورة البقرة: ١٣٠] ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴾.

[سورة البقرة: ١٣٢] ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

[سورة البقرة: ١٣٣] ﴿ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

[سورة البقرة: ١٣٥] ﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة البقرة: ١٣٦] ﴿ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

[سورة البقرة: ١٤٠] ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

[سورة البقرة: ٢٥٨] ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾.

[سورة البقرة: ٢٦٠] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

[سورة آل عمران: ٣٣] ﴿ إِنَّ اللَّهَ

اصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة آل عمران: ٦٥] ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾.

[سورة آل عمران: ٦٧] ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة آل عمران: ٦٨] ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

[سورة آل عمران: ٨٤] ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾.

[سورة آل عمران: ٩٥] ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة آل عمران: ٩٧] ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

[سورة النساء: ٥٤] ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾.

[سورة النساء: ١٢٥] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾.

[سورة النساء: ١٦٣] ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾.

[سورة الأنعام: ٧٤] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

[سورة الأنعام: ٧٥] ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾.

[سورة الأنعام: ٨٣] ﴿ وَتِلْكَ

حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾.

[سورة الأنعام: ١٦١] ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة التوبة: ٧٠] ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾.

[سورة التوبة: ١١٤] ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾.

[سورة هود: ٦٩] ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾.

[سورة هود: ٧٤] ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴾.

[سورة هود: ٧٥] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾.

[سورة هود: ٧٦] ﴿ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴾.

[سورة يوسف: ٦] ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾.

[سورة يوسف: ٣٨] ﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾.

[سورة إبراهيم: ٣٥] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾.

[سورة الحجر: ٥١] ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

[سورة النحل: ١٢٠] ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة النحل: ١٢٣] ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾.

[سورة مريم: ٤١] ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾.

[سورة مريم: ٤٦] ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾.

[سورة مريم: ٥٨] ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾.

[سورة الأنبياء: ٥١] ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴾.

[سورة الأنبياء: ٦٠] ﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾.

[سورة الأنبياء: ٦٢] ﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾.

[سورة الأنبياء: ٦٩] ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

[سورة الحج: ٢٦] ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾.

[سورة الحج: ٤٣] ﴿ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴾.

[سورة الحج: ٧٨] ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾.

[سورة الشعراء: ٦٩] ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

[سورة العنكبوت: ١٦] ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾.

[سورة العنكبوت: ٣١] ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴾.

[سورة الأحزاب: ٧] ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾.

[سورة الصافات: ٨٣] ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾.

[سورة الصافات: ١٠٤] ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾.

[سورة الصافات: ١٠٩] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾.

[سورة صّ: ٤٥] ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴾.

[سورة الشورى: ١٣] ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾.

[سورة الزخرف: ٢٦] ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾.

[سورة الذريات: ٢٤] ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾.

[سورة النجم: ٣٧] ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾.

[سورة الحديد: ٢٦] ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾.

[سورة الممتحنة: ٤] ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

[سورة الأعلى: ١٩] ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس (العهدين القديم والجديد).
- الأحمد، د. سامي سعيد. المدخل الى تاريخ اللغات الجزرية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، مطبعة الحكم المحلي، بغداد ١٩٨١.
- بدر، محمد. الكنز في قواعد اللغة العبرية، المطبعة التجارية الكبرى، مصر (د.ت).

الأندلسي، أبو حيان. البحر المحيط، ج١.

- الجنابي، د. احمد نصيف. تأصيل عروبة ابراهيم، مجلة الضاد، ج ٢، سنة ١٩٨٩.
- حداد، بنيامين. روض الكلم، معجم عربي –سرياني، منشورات مركز جبرائيل دنبو الثقافي، بغداد ٢٠٠٥.
- الزجاج، ابو اسحاق ابراهيم بن السري (ت ٣١١هـ). ما ينصرف وما لا ينصرف، تحقيق: هدى محمود قراعة، مطابع الاهرام التجارية، القاهرة ١٩٧١.
- سوسة، احمد. العرب واليهود في التاريخ، ط ٢، دار الاعتدال، دمشق (د.ت).
- علي، د. خالد اسماعيل. القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم، مكتب سناريا، بغداد ٢٠٠٤.
- قسم القرآن بمجمع البحوث الاسلامية. المعجم في فقه لغة القرآن وسر بلاغته، ط ١، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، مشهد ١٤١٩ هـ.
- الكرملي، الاب انستاس ماري. المساعد، تحقيق: كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٢.
- النجفي، حسن. معجم المصطلحات والأعلام في العراق القديم، ط ١، دار

آفاق عربية، بغداد ١٩٨٣.
- نخبة من الاساتذة ذوي الاختصاص ومن اللاهوتيين. قاموس الكتاب المقدس، مجمع الكنائس في الشرق الادنى، ط٢، بيروت ١٩٧١.
- אבן-שושן،אברהם.הקונקורדנציה החדשה לתורה נביאים וכתובים، מהדורה השלישית، הוצאת קרית -ספר בע»م ירושלים 1982، כרך ראשון א -ח.
- אבן -שושן، אברהם. המלון החדש، הוצאת קרית -ספר בע»م ירושלים 1974، כרך ראשון א -ד.
- תורה נביאים וכתובים.
- Brown، F. Driver، S. Briggs، A. A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament، Oxford 1974.




وفوق کل ذی علم علیم
صدق الله العلی العظیم

النبيُّ إبراهيمُ (عليه السلام) في الكُتُبِ السَّماويةِ

-دراسَةٌ تحليليةٌ-

د. أنمار عبد الجبار جاسم
كلية الآداب – جامعة القادسية

ملخص البحث

يتضمن البحث دراسة ابي الانبياء (ابراهيم)عليه السلام الذي ورد ذكره في الكتب الثلاث (التوارة -الانجيل-القرآن المجيد) حيث ذكرتْ نسبه، وملخص سيرة حياته ومسيرته، ومعنى اسمه لغةً، وعدد اولاده، مع شواهد على ذلك. كل ذلك مسوق بعرض تفصيلي عن الكتب السماوية الثلاث باصحاحاتها و الآيات القرآنية الكريمة، وبنمط العرض والتحليل، وردّ المعاني الى أصولها اللغوية، والتعريف باسماء المدن و الاعلام استناداً الى المصادر الموثقة. وفي ذيل البحث مسرد بالمصادر والمراجع المعتمدة في انشائه.

مقدمة

قد لايعرف التاريخ البشري شخصيات كثيرة اختلف حولها الكتّاب والشعراء ورجال الدين والعلم والأدب والفلسفة والاجتماع والفن، وكثيرة هي الشخصيات التي استعصت على الفكر البشري، واختلفوا في الحكم عليها. وتنوعت وتباينت نظرياتهم ومذاهبهم وآراؤهم حول ذلك، فمنهم من رفعهم إلى قمة المجد، ومنهم من هوى بهم إلى أسفل الدرك.

وتعد الدراسات التحليلية للشخصيات وخاصة سيرة احد الانبياء من الدراسات المهمة في حضارات الشعوب والأمة وعن طريقها يمكن التوصل إلى عراقتها و أصالتها لاسيما سيرة ابي الأنبياء إبراهيم عليه السلام المدروس في بحثنا هذا، ولعل صورة العالم القديم المعروفة لدينا تمكننا من أن نرسم مخططاً يوضح ظهوره وارتباطه بالرقعة الجغرافية، حيث شكلت أرض الرافدين ومصر رأسَيْ المثلث الروحي للانطلاق نحو النقاط الأخرى للتفاعل بين مهد الجنس البشري وأشهر رحلاته وبيان الارتباط الوثيق والعلاقة الروحية القائمة بين مدن الشرق الأدنى.

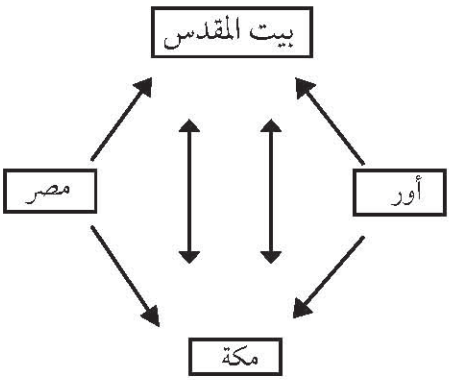

لقد ذُكرت بابل ومصر في الكتب المقدسة مما يدل على أنهما كانتا مركزاً للقوة والسلطة قبل الميلاد، والحال نفسه مع بناء مكة على يد أبينا إبراهيم عليه السلام، وبناء بيت المقدس على يد سليمان عليه السلام، ولا ادري ان كان البحث هذا، يستوعب كل ما نريد أن نقول، فنحن نجد في الكتب المقدسة أنه أشبه بالبستان الواسع الرحب الذي نجد فيه الصنوف المتعددة المختلفة من الأزهار والأشجار والثمار، وهو الساحة الكبرى التي نتجول فيها ونحن نعرض سيرة الأنبياء الأوائل.

التوراة:

لابد في البدء من تعريف التوراة وأجزائها الثلاثة، وأسفارها وما تضمنته من عدد إصحاحات وآيات وكلمات، ومن المعروف ان العهد القديم يسمى في اللغة العبرية (סֵפֶר תּוֹרָה נְבִיאִים וּכְתוּבִים/ سِفِر تورا نِفيئيم اوكتوفيم): كتاب التوراة والانبياء والكتب، دلالة على اقسامها الثلاثة، وقد صاغ اليهود من الحروف الاولى لهذه الاقسام الثلاثة لفظاً واحداً وهو (תנ"ך/ تناخ) لينوب في الاستعمال عن اسماء الأجزاء الثلاثة الكبيرة التي يتكون منها العهد القديم وذلك بقصد الاختصار.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس ان الكتاب المقدس (القديم والجديد) هو مجموع الكتب الموحاة من الله والمتعلقة بخلق العالم وفدائه وتقديسه وتاريخ معاملة الله لشعبه، ومجموع النبوات عما سيكون حتى المنتهى، والنصائح الدينية والادبية، ويدعى ايضاً (الكتب) و (كلمة الله)[1]. وقد قسم اليهود الكتب السماوية على ثلاثة اقسام كبرى وهي: (الشريعة، الانبياء والكتب أو الصحف).

كما جاء في الانجيل: « قال لهم: عندما كنت بعدُ معكم قلت لكم: لابد ان يتم لي كل ما جاء عني في شريعة موسى وكتب الانبياء والمزامير» (انجيل لوقا ٢٤ اية ٤٤).

تتألف التوراة من خمسة أسفار وهي: التكوين، الخروج، اللاويون (الاحبار)، العدد، التثنية (الاشتراع)، ولم تعرف الاسفار باسمائها هذه منذ القدم، فقد اطلق عليها اليهود العبرانيون هذه الاسماء وهي لا تشير غالبا الى محتوياتها، بل هي عبارة عن الفاظ الاولى التي يبدأ بها كل سفر في الاصل العبري[2].

فالسفر الاول يبدأ بلفظة (بريشيت = في البداء)، والثاني (واله شموت وهذه اسماء)، والثالث (ويقراء = ودعا)، والرابع (بمدبار = في الصحراء) والخامس (اله هدباريم = هذا هو الكلام)[3].

(١) قاموس الكتاب المقدس. ص ٧٦٢.

(٢) حداد، عزرا، فصول من الكتاب المقدس (باسلوب قصصي)، ط١، مطبعة الاعتماد، بغداد ١٩٤٧، ص٢٣١.

(٣) كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، دمشق ١٩٥٨، ص٤٣٤.

اما الترجمة السبعينية للتوراة فقد اطلقت عليها اسماء تشير الى مضامينها، ومنها انتقلت الى اللاتينية والى اللغات الاخرى، فالسفر الاول يسمى (Genesisتكوين) لانه يبحث تاريخ الانسان الاول وقصص الاباء الاولين، والثاني (Exodus = خروج) لانه يهتم بخروج موسى عليه السلام مع بني اسرائيل من مصر، والثالث (Leviticus= الطقوس الكهنوتية) لانه يُعنى بالعقيدة والطقوس والاحبار، والرابع (Numbers= تعداد) لان فيه تعداد شعب بني إسرائيل، والخامس (Deuteronomy = تثنية الاشتراع) لانه يعرض شريعة موسى عليه السلام ثانية[٤].

ويسمي اليهود كل كتاب من هذه الكتب (סֵפֶר/ سِفر) والجمع (סְפָרִים/ سِفاريم)، ويبلغ مجموع اسفار العهد القديم (٣٩) سفراً، موزعة على اقسامه الثلاث، وهي[٥]:

١.(תּוֹרָה/ توراه): التوراة، وتضم اسفار موسى الخمسة، وهي:

كتب موسى الخمسة، ويسمي اليهود هذه الكتب ايضا باسم (توراة إلوهيم)، (توراة يهوده)، (اسفار موسى) و(الناموس)[٦].

والربانيون يدعونها المقر أي النص المقروء، و(خمسة اخماس الشريعة)، بينما اطلق ارباب الترجمة السبعينية على توراة موسى لفظة البانتاتوكسن أي الملفات الخمسة باليونانية[٧].

اسم السفر في العربية	اسم السفر في العبرية	اسم السفر في اليونانية	عدد اصحاحاته	عدد آياته	عدد كلماته
التكوين	בְּרֵאשִׁית/ براشيت	Genesis	٥٠	١٥٤٢	٢٠٩٦٧

(٤) سوسة، احمد، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط٥، دار الحرية، بغداد ١٩٨١، ص٣٣١.

(٥) قاموس الكتاب المقدس. ص ٧٦٥ –٧٦٧؛ ספר תורה נביאים וכתובים. על ידי נורמן הנרי، לונדון 1958.

(٦) شلبي، احمد، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦، ص٢٣٠.

(٧) ظاظا، حسن، الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١، ص٧٣.

الخروج	וְאֵלֶּה שְׁמוֹת/ فِإِلّه شِموت	Exodus	٤٠	١٢٢٤	١٦٧٧٣
اللاويين	וַיִּקְרָא/ فَيقرا	Leviticus	٢٧	٨٥٩	١٢٠٠٧
العدد	בַּמִּדְבָּר/ بَمِدبار	Numeri	٣٦	١٣٨٨	١٦٨٥٢
تثنية الإشتراع	אֵלֶּה הַדְּבָרִים/ إِيلّه هَدّفاريم	Deteronominm	٣٤	٩٦٤	١٤٨٧٤

٢. (נְבִיאִים/ نِفيئيم) ويُقسم الى قسمين:

الأول: (נְבִיאִים רִאשׁוֹנִים/ نِفيئيم ريشونيم): الانبياء الاوّلون، ويضم ستة أسفار وهي:

اسم السفر في العربية	اسم السفر في العبرية	اسم السفر في اليونانية	عدد إصحاحاته	عدد آياته	عدد كلماته
يشوع	יְהוֹשֻׁעַ/ يِهوشوّع	Jehosuah	٢٤	٩٧٧	١٠٣٨٥
القضاة	שׁוֹפְטִים/ شوفطيم	Jedicum	٢١	٦٨١	١٠٢٨١
صموئيل الأول	שְׁמוּאֵל א/ شِموئيل ١	1. Samuelis	٣١	٨٠٦	١٣٩٨٠
صموئيل الثاني	שְׁמוּאֵל ב/ شِموئيل ٢	2. Samuelis	٢٤	٦٩٧	١١٤٦٠
الملوك الأول	מְלָכִים א/ ملاخيم ١	1. Regum	٢٢	٨١٦	١٣٥٤٨

الملوك الثاني	מְלָכִים ב/ مِلاخيم ٢	2. Regum	٢٥	٧٢٠	١٢٨٧٣

الثاني: (נְבִיאִים אַחֲרוֹנִים/ نِفيئيم اَحرونيم): الانبياء الآخرون، ويضم خمسة عشر سفراً، وهي:

اسم السفر في العربية	اسم السفر في العبرية	اسم السفر في اليونانية	عدد إصحاحاته	عدد آياته	عدد كلماته
اشعيا	יְשַׁעְיָה/ يِشعيا	Jesaia	٦٦	١١٩٠	١٨٥٧٣
ارميا	יִרְמְיָה/ يرميا	Jeremia	٥٢	١٣٦٤	٢٢٨١٢
حزقيال	יְחֶזְקֵאל/ يَحزِقيّال	Ezechiel	٤٨	١٢٥٣	٢٠٠٥١
هوشع	הוֹשֵׁעַ/ هوشَع	Hosea	١٤	١٩٧	٢٥٩٨
يوئيل	יוֹאֵל/ يوئيل	Joel	٣	٧٣	١٠٣٣
عاموس	עָמוֹס/ عاموس	Amos	٩	١٤٦	٢٢٣١
عوبديا	עוֹבַדְיָה/ عوبِديا	Obadia	١	٢١	٣١٨
يونان	יוֹנָה/ يونا	Jona	٤	٤٨	٧٤١
ميخا	מִיכָה/ مِيخا	Micha	٧	١٠٥	١٥٧٢
ناحوم	נָחוּם/ ناحوم	Nahum	٣	٤٧	٦٢٤
حبقوق	חֲבַקּוּק/ حَبقوق	Habakkuk	٣	٥٦	٧٤٣

صفنيا	צְפַנְיָה/ صِفنيا	Zephania	٣	٥٣	٨١٤
حجي	חַגַּי/ حَجّي	Haggai	٢	٣٨	٦٣٣
زكريا	זַכַרְיָה/ زَكَريّا	Zacharia	١٤	٢١١	٣٣٢٧
ملاخي	מַלְאָכִי/ مَلاخي	Malachi	٤	٥٥	٩٠٨

٣.(כְּתוּבִים/ كِتوفيم): الكتب، وتضم ثلاثة عشر سفراً، وهي:

اسم السفر في العربية	اسم السفر في العبرية	اسم السفر في اليونانية	عدد إصحاحاته	عدد آياته	عدد كلماته
مزامير	תְּהִלִּים/ تِهَلّيم	Psalmi	١٥٠	٢٤٣٩	٢١٩٠٢
امثال	מְשָׁלִי/ مِشالي	Proverbia	٣١	٩١٧	٧٧٩٧
ايوب	אִיּוֹב/ اَيوب	Job	٤٢	١٠٩٩	٩٣٧٥
نشيد الأناشيد	שִׁיר הַשִּׁירִים/ شير هَشّيريم	Cant.Cantic	٨	١١٧	١٣٥٤
راعوت	רוּת/ روت	Ruth	٤	٨٥	١٣٦٤
ايخا	אֵיכָה/ ايخا	Threni	٥	١٥٤	١٣٩٠
الجامعة	קֹהֶלֶת/ قَهلت	Ecclesiastes	١٢	٢٢٢	٣٢٣٣
استر	אֶסְתֵּר/ إستير	Esther	١٠	١٥٧	١٤٧٦
دانيال	דָּנִיֵּאל/ دانيئل	Daniel	١٢	٣٥٨	٦١٩١
عزرا	עֶזְרָא/ عِزرا	Ezra	١٠	٢٨٠	٤١١٧
نحميا	נְחֶמְיָה/ نِحيميا	Nehemia	١٣	٤١٦	٥٦٣٢
اخبار الأيام الأول	דִּבְרֵי הַיָּמִים א/ دِبري هَيّاميم ١	1. Chronicorum	٢٩	٩٤٢	١١٠٨٣
اخبار الأيام الثاني	דִּבְרֵי הַיָּמִים ב/ دِبري هَيّاميم ٢	2. Chronicorum	٣٦	٨٢٢	١٤٥٤٢

אַבְרָם إِبْرَاهِيمْ (أَبْرَامْ) في التوراة:

وهو ابن تارح من نسل سام بن نوح وقد عاش الجزء الأول من حياته مع أبيه وأخوته في أور[٨] الكلدانية وتزوج من ساري، أما تنقلاته ما بين كنعان[٩] ومصر[١٠]، فقد أقام أولاً في شكيم[١١]، ثم ذهب إلى بيت أيل[١٢]، ومنها إلى أرض الجنوب

(٨) اسم عبري معناه نور أو لهب، وهي مسقط رأس إبراهيم ومكانها اليوم منتصف المسافة بين بغداد والخليج العربي، وعلى مسافة عشرة أميال شرقي مجرى نهر الفرات، لقد احتل المدينة السومريون والعيلاميون والبابليون والكلدانيون على التوالي، وقد أثبتت الكشوف الحديثة أنها محصورة قبل ألف عام من عصر إبراهيم وكانت مركزاً لمدينة راقية. أنظر: سوسة، د. أحمد، العرب واليهود في التاريخ، دار الاعتدال، دمشق، ١٩٧٣، ص٤٥٤. ينظر: موسوعة الكتاب المقدس، نخبة من ذوي الاختصاص، دار منهل الحياة، لبنان، ١٩٩٣، ص١.

(٩) هي الأرض التي سكنتها ذرية كنعان والتي استولى عليها العبرانيون فيما بعد، حدودها الأصلية مدخل حماه إلى الشمال وبادية سوريا والعرب إلى الشرق، وبادية العرب إلى الجنوب وساحل البحر المتوسط إلى الغرب، بعد أن افتتحها العبرانيون أطلق عليها اسم أرض إسرائيل، الأرض المقدسة، أرض الموعد، أرض العبرانيين، نسبة إلى عابر أحد أجداد إبراهيم. أنظر: حتي، د. فيليب تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، بيروت، ١٩٥٨، ص٨٥.

(١٠) اسمها في اللغات الأجنبية مشتق على الأرجح من اسم منفيس في اللغة المصرية القديمة، وهو (حي -كو -بتاح) ومعناها (بيت روح بتح) فصار هذا الاسم في اليونانية ايجيبتس (Aigyptos) أما المصريين القدماء فقد أطلقوا عدة تسميات منها (كيمي) معناها الأرض السوداء و(الأرضين) معناها مصر العليا والسفلى، أما اسمها في اللغة العربية فهو قريب من اسمها في اللغة العبرية (مصرايم) وتشير صيغة المثنى هذه على الأرجح إلى مصر العليا والسفلى، وهي تشبه مستطيلاً في الشمال الشرقي من قارة آسيا، حيث يحدها من الجنوب السودان ومن الشرق البحر الأحمر وفلسطين ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط ومن الغرب ليبيا. أنظر: باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦، ٤٩٣.

(١١) بلدة قديمة، وهو اسم عبري معناه (كتف) خيم بالقرب منها إبراهيم وكان الكنعانيون يسكنون فيها، وفيها اشترى يعقوب قطعة حقل ونصب فيها خيمته، وفيها دفن جسد يوسف، وبقربها رعى أخوة يوسف أغنامهم، اسمها الحالي (نابلس) وتبعد (٣١,٥) ميلاً شمال اورشليم و(٥,٥) ميلاً جنوب شرق السامرة. أنظر: هـ. رولي، أطلس الكتاب المقدس، دار النشر المعمدانية، بيروت، ١٩٨٣، ص١٨.

(١٢) اسم عبري معناه بيت الله قربها نصب

حيث حدث جوع في الأرض فاتجه من هناك إلى مصر، فسكن أرض كنعان[١٣]، وتزوج إبراهيم هاجر جاريته المصرية، فولدت له إسماعيل وكان عمره تسعاً وتسعين سنة فظهر له الرب وغيَّر اسمه من أبرام إلى إبراهيم ووضع له الختان علامةً للعهد وغيَّر اسم ساراي إلى ساره، ثم أنجبت سارة ابناً في شيخوخة إبراهيم، وبلغ عمره مائة سنة وأسمياه إسحاق، بعدها رجع إلى حبرون[١٤]، وهناك ماتت سارة، بعد أن بلغت من العمر مائة وسبعة وعشرين سنة ودفنها في قبر في مغارة المكفيلة[١٥] التي اشتراها من بني حث[١٦]،

إبراهيم خيمته وسافر يعقوب إلى ما بين النهرين هارباً من أخيه عيسو ورأى هنالك رؤياه العظيمة، فدعي اسم المدينة حينئذ (بيت أيل) لأن الله ظهر له فيها، وموقعها شرقي خط يمتد من اورشليم إلى نابلس، وكانت قديمة محل إقامة ملوك الكنعانيين. أنظر: قاموس الكتاب المقدس، ص٢٠٠.

(١٣) الخليلي، جعفر، قسم القدس، موسوعة العتبات المقدسة، دار التعارف، بغداد، ١٩٧١، ص٣٥؛ ودروزه، عمر عزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩، ص٢٦.

(١٤) اسم عبري معناه عصبة، اتحاد، وهي مدينة في أرض يهوذا الجبلية بنيت قبل صوعن بسبع سنين في مصر وهي موجودة في وقت مبكر في أيام إبراهيم، وهي الآن مدينة الخليل وهي من أقدم المدن في العالم التي لا تزال آهلة بالسكان وتعلو ٣٠٤٠ قدماً فوق مستوى البحر وهي على بعد (١٧) ميلاً جنوب غربي أورشليم وثلاثة عشر ونصف ميلاً جنوب غربي بيت لحم. أنظر: العرب واليهود في التاريخ، ص٤٨٨.

(١٥) اسمٌ سامي معناه (مزدوجة) وهو حقل في حبرون كانت فيه المغارة التي اشتراها إبراهيم من عفرون الحثي لتكون مقبرة لأسرته، ودفن فيها إبراهيم وسارة وإسحاق ورفقة وليئة ويعقوب، وهي الآن ضمن الحرم الإبراهيمي في الخليل وطولها (١٩٤) قدماً وعرضها (١٠٩) أقدام وعلوها (٥٨) قدماً ويشبه بناؤها الحرم الشريف في القدس. أنظر: التفسير التطبيقي، نخبة من ذوي الاختصاص، بيروت، ١٩٩٣، ص٦٠.

(١٦) امبراطورية ثالثة توازي عظمتها عظمة الأمبراطورية الفرعونية والأكدية ازدهرت في آسيا الصغرى بين ١٩٠٠ -١٢٠٠ ق.م تقريباً ولا يعرف على وجه التحديد العنصر الذي تنتمي إليه، فهنالك جنس منهم يشاهد في آثار مصر له أنفٌ كبير ويظهر أن الأرمن اليوم هم من سلالة هذه الأمة، ولكن ليسوا ساميي الأصل. أنظر: بوتيرو، جان، بلاد الرافدين، ترجمة: الأب البير أبونا، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠، ص٨٧.

بعد موت سارة تزوج إبراهيم من قطورة وتوفي عندما بلغ مئة وخمساً وسبعين سنة ودفن في مغارة المكفيلة.

تمتع إبراهيم بقوة الإيمان حيث كان آباؤه يعبدون آلهة غير الرب في أور الكلدانية آلهةٌ كثيرة (نانار) إله القمر وزوجته (ننجال)، أما إبراهيم فقد آمن بالإله الواحد مالك السماء والأرض، وهو الإله العلي المرتفع سرمدي الأبد، لذلك نال إبراهيم لقب (خليل الله)[١٧].

وإبراهيم أسمٌ مذكر عبري الأصل مركب من كلمتين (אַב + רָהָם/ أب+ راهام)[١٨]، المقطع الأول بمعنى أب، أما المقطع الثاني فهو بمعنى ملأ، كثرة، والمعنى العام للاسم أبو الملأ، وله صيغة ثانية يأتي بها (אברם/ ابرام) بمعنى رفيع.

ورد في التوراة (١٧٥) مرة[١٩] بصيغة إبراهيم، و(٦١) مرة بصيغة أبرام.

الشاهد التوراتي: (נשים שם אשת אַבְרָם שָׂרַי). ترجمته: ((اسم زوجة أبرام ساراي)) (التكوين ١١: ٢٨)

الإنجيل:

العهد معناه (أكون لهم إلهاً وهم يكونوا لي شعبا) وهو الميثاق بين شخصين، والعهد الجديد هو تحرير الإنسان من سيطرة الخطيئة وإعطاؤه الحرية لاطاعة الله.

ورد اسم إبراهيمﷺ (٧٤) مرة وبصيغة واحدة، بصيغة أبراهم، ويتكون العهد الجديد من ثلاثة أقسام:

القسم الأول يتضمن تاريخ البشارة وأعمال الرسل وهي:

١. متى (مت) ٢٨ فصلاً.
٢. مرقس (مر) ١٦ فصلاً.
٣. لوقا (لو) ٢٤ فصلاً.
٤. يوحنا (يو) ٢١ فصلاً.
٥. أعمال الرسل (اع) ٢٨ فصلاً.

القسم الثاني ويتضمن الرسائل وهي:

١. رومه (رو) ١٦ فصلاً.
٢. كورنثوس الأولى (١ كور) ١٦ فصلاً.
٣. كورنثوس الثانية (٢كور) ١٣ فصلاً.
٤. غلاطية (غل) ٦ فصول.
٥. افسس (اف) ٦ فصول.

(١٧) مقار، القس الياس، رجال الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٧٥، ج١، ص٧٤.
(١٨) قوجمن، ص٣٣.
(١٩) האנציקלופדיה העברית، שם، כ " א، עמ " ١٩ - ٢٠.

٦. فيلبي (في) ٤ فصول.
٧. كولوسي (كو) ٤ فصول.
٨. تسالونيكي الأولى (١ اتس) ٥ فصول.
٩. تسالونيكي الثانية (٢ اتس) ٣ فصول.
١٠. تيموثاوس الأولى (١ تم) ٦ فصول.
١١. تيموثاوي الثانية (٢ تم) ٤ فصول.
١٢. تيطس (تي) ٣ فصول.
١٣. فيلمون (فل) فصل واحد.
١٤. عبرانين (عب) ١٣ فصلاً.
١٥. يعقوب (يع) ٥ فصول.
١٦. بطرس الأول (١ بط) ٥ فصول.
١٧. بطرس الثاني (٢ بط) ٣ فصول.
١٨. يوحنا الأولى (١ يو) ٥ فصول.
١٩. يوحنا الثاني (٢ يو) فصل واحد.
٢٠. يوحنا الثالثة (٣ يو) فصل واحد.
٢١. يهوذا (يهو) فصل واحد.

القسم الثالث ويتضمن رؤيا يوحنا (رؤ) ٢٢ فصل وعدد أسفارها (٢٧).

إبراهيم في الإنجيل:

لايختلف العهد الجديد في كلامه عن إبراهيم عن العهد القديم، حيث يصف علاقة الله مع إبراهيم ودوره كأب للشعب المنتخب المؤمن، فيمتاز الأكثر ذكراً من بين الآباء في العهد الجديد، والتقليد الرسولي حيث يذكره الإنجيليون وسفر أعمال الرسل وماربولس وماريعثوب في رسائلهما ويتكلم العهد الجديد عن إيمانه وطاعته وعلاقته بالله ودوره كأب للشعب المنتخب، ونلاحظ أن يسوع هو ابن داود الذي هو من سلالة إبراهيم.

لقد اتفق المسيحيون مع اليهود والكنيسة بتسمية (الأب إبراهيم) وذلك لأن الخلاص واحد وشعب الله واحد، وهو الذي يدعو إبراهيم أباه.

ويؤخذ إبراهيم في العهد الجديد كمثال يقتدى به وهذا نلاحظه في دوره في تاريخ الوعد والنعمة، لذا علينا أن نقتدي بإبراهيم الذي جميع أعماله إيمانية الحي ولم يصبح باراً بها إلا بطاعته لأوامر الرب، حيث ترك بلده وذهب إلى بلد غريب وسكن مع أبنائه وأهله أرض الميعاد، فأصبح مثالاً صالحاً مؤيداً بالأعمال فنلاحظ في رسالة بولص إلى العبرانيين صبره ورجاءه وتكريسه لله عاملاً بمشيئته.

لقد عاش لتحقيق وعود الله معه بتواضع عميق، لذا يجب أن نقتدي به

وبصفاته وفضائله وهي الطاعة والثقة والرجاء و الإيمان حينها نصبح من نسل إبراهيم ومن عائلته[٢٠].

القرآن الكريم:

تسمية القرآن الكريم توقيفية من عند الله سبحانه وتعالى كما سمى كتبه السماوية الأخرى بأسمائها (توراة، إنجيل) فقد سماه الله باسمه هذا في آيات آتية:

- ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ﴾ [سورة الإسراء: ١٠٦].
- ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [سورة ص: ١].
- ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الواقعة: ٧٧].
- ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ [سورة ق ١].

إن لفظة القرآن مأخوذة من القرء بفتح القاف أو ضمها ومعناها التلاوة والجمع، وقد زيدت الألف والنون في لفظ قرآن للإشعار بكماله في كلا المعنيين.

إن سور القرآن الكريم هي: ١١٤ سورة، وأجزاءه: ٣٠ جزءاً، وأحزاب القرآن الكريم: ٦٠ حزباً، وعدد أرباعه: ٢٤٠ ربعاً، وآيات القرآن الكريم: ٦٢٣٦ آية، وكلماته: ٧٧٨٤٥ كلمة، وحروفه: ٣٣٠٧٣٣ حرفاً، وعدد السور المكية: ٨٥ سورة، وعدد السور المدنية: ٢٩ سورة، وعدد السجدات: ١٥ سجدة[٢١].

و من أسماء القرآن الكريم: الفرقان– التنزيل –الذكر –الكتاب –الوحي– أحسن الحديث –الصراط المستقيم – الروح –العروة الوثقى...وغيرها[٢٢].

والأطول في القرآن: هي أطول سورة: البقرة وعدد آياتها ٢٨٦آية، وأطول آية: آية الدَّين، آية ٢٨٢من سورة البقرة، أطول كلمة: (فأسقيناكموه) وعدد حروفها ١١ حرفاً.

والأقصر في القرآن: هي أقصر سورة: الكوثر، ثلاث أيات وأقصر آية: (مدهامتان) في سورة الرحمن.

والسور التي سميت بأسماء الأنبياء: هي يونس –هود –يوسف –إبراهيم محمد.

وأكثر نبي ذكر في القرآن: موسى عليه السلام وقد ذكر ١٣٦ مرة.

والمدة التي نزل فيها القرآن: ٢٣ سنة.

(٢٠) عفاص، الأب بيوس، قراءة في العهد القديم، ج١، قبل الجلاء، مركز الدراسات الكتابية، الموصل، ٢٠٠٣، ص٦١.

(٢١) الطائي، ص١٤، وينظر: ٩.

(٢٢) المصدر نفسه، ص١٨.

توزيع عدد حروف القران الكريم الـ ٣٣٠٧٣٣ على حروف الهجاء

١٥٦٢ = ء	١٤١٤ = ث	٢٠٧١ = ص	٢٦٧٤٧ = م
١١٧١ = ئ	٣٣١٦ = ج	١٦٨٦ = ض	٢٧٢٦٥ = ن
٧١٣ = ؤ	٤١٤١ = ح	١٢٧٣ = ط	١٤٨٥٠ = هـ
٢٥٩٤ = ى	٢٤٩٧ = خ	٨٥٣ = ظ	٢٤٧٩٦ = و
٤٣٥٥١ = ا	٥٩٩١ = د	٩٤٠٥ = ع	٢١٩٩٩ = ي
٩١٥٠ = أ	٤٩٣٢ = ذ	١٢٢١ = غ	٢٣٩٣ = ة
٥٠٦٨ = إ	١٢٤٠٣ = ر	٨٧٤٧ = ف	
١٥٠٦ = آ	١٥٩٩ = ز	٧٠٣٤ = ق	
١١٤٩١ = ب	٦٠١٣ = س	١٠٤٩٧ = ك	
١٠٤٧١ = ت	٢١٢٤ = ش	٣٨١٨٩ = ل	

توزيع عدد ايات القران الكريم الـ٦٢٣٦ على سور القران الكريم

السورة	رقمها	نوعها	عدد آياتها		السورة	رقمها	نوعها	عدد آياتها
الفاتحة	١	مكية	٧		الصف	٦١	مدنية	١٤
البقرة	٢	مدنية	٢٨٦		الجمعة	٦٢	مدنية	١١
آل عمران	٣	مدنية	٢٠٠		المنافقون	٦٣	مدنية	١١
النسآء	٤	مدنية	١٧٦		التغابن	٦٤	مدنية	١٨
المائدة	٥	مدنية	١٢٠		الطلاق	٦٥	مدنية	١٢
الأنعام	٦	مكية	١٦٥		التحريم	٦٦	مدنية	١٢
الأعراف	٧	مكية	٢٠٦		الملك	٦٧	مكية	٣٠

الأنفال	٨	مدنية	٧٥		القلم	٦٨	مكية	٥٢
التوبة	٩	مدنية	١٢٩		الحآقة	٦٩	مكية	٥٢
يونس	١٠	مكية	١٠٩		المعارج	٧٠	مكية	٤٤
هود	١١	مكية	١٢٣		نوح	٧١	مكية	٢٨
يوسف	١٢	مكية	١١١		الجن	٧٢	مكية	٢٨
الرعد	١٣	مدنية	٤٣		المزمل	٧٣	مكية	٢٠
إبراهيم	١٤	مكية	٥٢		المدثر	٧٤	مكية	٥٦
الحجر	١٥	مكية	٩٩		القيامة	٧٥	مكية	٤٠
النحل	١٦	مكية	١٢٨		الإنسان	٧٦	مدنية	٣١
الإسراء	١٧	مكية	١١١		المرسلات	٧٧	مكية	٥٠
الكهف	١٨	مكية	١١٠		النبأ	٧٨	مكية	٤٠
مريم	١٩	مكية	٩٨		النازعات	٧٩	مكية	٤٦
طـه	٢٠	مكية	١٣٥		عبس	٨٠	مكية	٤٢
الأنبياء	٢١	مكية	١١٢		التكوير	٨١	مكية	٢٩
الحج	٢٢	مدنية	٧٨		الإنفطار	٨٢	مكية	١٩
المؤمنون	٢٣	مكية	١١٨		المطففين	٨٣	مكية	٣٦
النور	٢٤	مدنية	٦٤		الإنشقاق	٨٤	مكية	٢٥
الفرقان	٢٥	مكية	٧٧		البروج	٨٥	مكية	٢٢
الشعراء	٢٦	مكية	٢٢٧		الطارق	٨٦	مكية	١٧
النمل	٢٧	مكية	٩٣		الأعلى	٨٧	مكية	١٩

القصص	٢٨	مكية	٨٨		الغاشية	٨٨	مكية	٢٦
العنكبوت	٢٩	مكية	٦٩		الفجر	٨٩	مكية	٣٠
الروم	٣٠	مكية	٦٠		البلد	٩٠	مكية	٢٠
لقمان	٣١	مكية	٣٤		الشمس	٩١	مكية	١٥
السجدة	٣٢	مكية	٣٠		الليل	٩٢	مكية	٢١
الأحزاب	٣٣	مدنية	٧٣		الضحى	٩٣	مكية	١١
سبأ	٣٤	مكية	٥٤		الشرح	٩٤	مكية	٨
فاطر	٣٥	مكية	٤٥		التين	٩٥	مكية	٨
يس	٣٦	مكية	٨٣		العلق	٩٦	مكية	١٩
الصافات	٣٧	مكية	١٨٢		القدر	٩٧	مكية	٥
ص	٣٨	مكية	٨٨		البينة	٩٨	مدنية	٨
الزمر	٣٩	مكية	٧٥		الزلزلة	٩٩	مدنية	٨
غافر	٤٠	مكية	٨٥		العاديات	١٠٠	مكية	١١
فصلت	٤١	مكية	٥٤		القارعة	١٠١	مكية	١١
الشورى	٤٢	مكية	٥٣		التكاثر	١٠٢	مكية	٨
الزخرف	٤٣	مكية	٨٩		العصر	١٠٣	مكية	٣
الدخان	٤٤	مكية	٥٩		الهمزة	١٠٤	مكية	٩
الجاثية	٤٥	مكية	٣٧		الفيل	١٠٥	مكية	٥
الأحقاف	٤٦	مكية	٣٥		قريش	١٠٦	مكية	٤
محمد	٤٧	مدنية	٣٨		الماعون	١٠٧	مكية	٧

الفتح	٤٨	مدنية	٢٩		الكوثر	١٠٨	مكية	٣
الحجرات	٤٩	مدنية	١٨		الكافرون	١٠٩	مكية	٦
ق	٥٠	مكية	٤٥		النصر	١١٠	مدنية	٣
الذاريات	٥١	مكية	٦٠		المسد	١١١	مكية	٥
الطور	٥٢	مكية	٤٩		الإخلاص	١١٢	مكية	٤
النجم	٥٣	مكية	٦٢		الفلق	١١٣	مكية	٥
القمر	٥٤	مكية	٥٥		الناس	١١٤	مكية	٦
الرحمن	٥٥	مدنية	٧٨					
الواقعة	٥٦	مكية	٩٦					
الحديد	٥٧	مدنية	٢٩					
المجادلة	٥٨	مدنية	٢٢					
الحشر	٥٩	مدنية	٢٤					
الممتحنة	٦٠	مدنية	١٣					

إبراهيم في القرآن:

ورد اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن (٦٩) مرة وفي (٢٥) سورة منه وبصيغة واحدة، وهي إبراهيم[٢٣]:

ت	السورة	العدد	ت	السورة	العدد	ت	السورة	العدد
١	البقرة	١٥	١٠	النحل	٢	١٨	ص	١
٢	آل عمران	٧	١١	مريم	٣	١٩	الشورى	١

(٢٣) عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، منشورات ذوي القربى، قم المقدسة، ١٩٩٧، ص٢.

٣	النساء	٤	١٢	الأنبياء	٤	٢٠	الزخرف	١
٤	الأنعام	٤	١٣	الحج	٣	٢١	الذاريات	١
٥	التوبة	٣	١٤	الشعراء	١	٢٢	النجم	١
٦	هود	٤	١٥	العنكبوت	٢	٢٣	الحديد	١
٧	يوسف	٢	١٦	الأحزاب	١	٢٤	الممتحنة	٢
٨	إبراهيم	١	١٧	الصافات	٣	٢٥	الأعلى	١
٩	الحجر	١						

تميز القرآن الكريم بإفراد سورة باسم إبراهيم ع وتسلسلها فيه (١٤)، وهي مكية إلا آيتين (٢٨و ٢٩) مدنية، وتبلغ عدد آياتها (٥٢) آية وعدد كلماتها (٨٣١)، وعدد حروفها (٣٤٣٤)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥].

لقد سمي إبراهيم أبا الأنبياء لأن له ولدين من الأنبياء هما إسماعيل وإسحاق، وكان من ذرية إسماعيل، محمد ﷺ، وكان من ذرية إسحاق جميع أنبياء بني إسرائيل[٢٤].

لم يتحدث القرآن الكريم عن ولادة إبراهيم عليه السلام، ولكننا نجد حواراً بينه وبين أبيه يخبره بأنه قد أوحي إليه، وأنه اختير نبياً، محذراً إياه من عبادة الأصنام كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الأنعام: ٧٤].

نلاحظ أن اسم ابي إبراهيم هو آزر وأن ابن كثير ذكر أن أهل النسب ومنهم ابن عباس يقول أن اسمه تارح، وأهل الكتاب يقولون تارخ، ويقولون أنه لقب لُقب به صنم كان يعبده اسمه آزر[٢٥]، ولعل له اسمين لقب وعَلَم بحسب رأي ابن جرير.

ويقول العقاد: ((إذا كان نسب إبراهيم

(٢٤) النجار، د. محمد الطيب، تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٧٩، ص٩٥.

(٢٥) ابن كثير، قصص الأنبياء، ص١٣٣.

إلى آشور فمن الجائز جداً أن يكون تارح وآزر لفظين مختلفين لاسم واحد، سواءً كان هذا الاسم علماً على رجل أم على الجد القديم الذي تنتسب إليه أمة آشور وكثير ما انتسب القوم إلى اسم الجد الكبير، كما يقال في التسمية إلى عدنان وقحطان.

ولو نظرنا إلى كتابة اسم آشور ونطقها في العراق وسوريا قرب منا هذا الاحتمال الذي يبدو بعيداً لأول وهلة، فقد كتبت: (آشور، وآزور، وآثور، وآسور) لأسماه في اللغات السامية لم تكن تكتب لها حروف علة إلى زمن قريب، وإن الأغريق الذين اطلقوا اسم اسوريه على وطن إبراهيم من نهر الفرات إلى فلسطين ينطقون الياء الأغريقية بين الواو والياء، ولهذا تنطق سيريه بالياء في اللغات الأوربية، وتنطق سورية في اللغات الشرقية، ولايخفى كذلك أن كلمة تارح تنطلق تيرح على لسان الكثيرين من الناطقين باللغات السامية، وتنطق (تيرا وتيره) عند اللذين لا يتسطيعون النطق بالحاء، لذلك فاقرب من تحويل آثور وأتير وتيرح إلى آزر هي النطق الصحيح.



المصادر والمراجع

١- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، قصص الأنبياء.

٢- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦.

٣- بوتيرو، جان، بلاد الرافدين، ترجمة: الأب البير أبونا، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٩٠.

٤- التفسير التطبيقي، نخبة من ذوي الاختصاص، بيروت، ١٩٩٣.

٥- حتي، د. فيليب تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، بيروت، ١٩٥٨.

٦- حداد، عزرا، فصول من الكتاب المقدس (باسلوب قصصي)، ط١، مطبعة الاعتماد، بغداد ١٩٤٧

٧- الخليلي، جعفر، قسم القدس، موسوعة العتبات المقدسة، دار التعارف، بغداد، ١٩٧١.

٨- دروزه، عمر عزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٩.

٩- سوسة، احمد، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ط٥، دار الحرية، بغداد ١٩٨١.

١٠- سوسة، د. أحمد، العرب واليهود في التاريخ، دار الاعتدال، دمشق، ١٩٧٣، ص٤٥٤

١١- موسوعة الكتاب المقدس، نخبة من ذوي الاختصاص، دار منهل الحياة، لبنان، ١٩٩٣.

١٢- شلبي، احمد، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦.

١٣- الطائي، فوزي وعدنان الدليمي سور القرآن الكريم أسباب التسمية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٥.

١٤- ظاظا، حسن، الفكر الديني الاسرائيلي اطواره ومذهبه، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧١.

١٥- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، منشورات ذوي القربى، قم المقدسة، ١٩٩٧.

١٦- عفاص، الأب بيوس، قراءة في العهد القديم، ج١، قبل الجلاء، مركز الدراسات الكتابية، الموصل، ٢٠٠٣.

١٧- العقاب، عباس محمود، إبراهيم أبو الأنبياء، دار أخبار اليوم، مصر، ١٩٥٣.

١٨- قوجمن، قاموس عبري -عربي، القدس، ١٩٧٣.

١٩- كمال، ربحي، دروس اللغة العبرية، دمشق ١٩٥٨.

٢٠- مقار، القس الياس، رجال الكتاب المقدس، بيروت، ١٩٧٥، ج١.

٢١- النجار، د. محمد الطيب، تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٧٩.

٢٢- هـ. رولي، أطلس الكتاب المقدس، دار النشر المعمدانية، بيروت، ١٩٨٣.



تَنوُّعُ الأحْداثِ
وَحَرَكيَّتُها في قِصَّةِ يُوسُفَ (عليه السلام)

د. جنان محمد مهدي
كلية التربية للبنات- بغداد

ملخص البحث

تقوم فكرة البحث على رصد حركة الحدث وتنوعه، وتجليات ذلك في سورة مشحونة بالأحداث والانفعالات النفسية الخفية المتلونة في تركيب شخصياتها، وهي سورة يوسف.

وقد ضم البحث ثلاثة مباحث، تحدث الأول منها عن ثنائيات الحدث وتوازيها. اما المبحث الثاني فاته بسط (فعل المراودة) وصيغته الدلالية. والمبحث الثالث طرح مسألة (الرمز) و دلالاته في السورة المباركة.

وأهم ما استنتجته السيدة الباحثة: أن السرد القصصي في القرآن الكريم استطاع أن يمزج الأحداث وأن ينتقل عبر ازمان مختلفة لينقل لنا الحدث مجسماً ومصوراً باسلوب بليغ غاية في الإعجاز وأن يصوّر حالات النفس الانسانية كالإسقاط والتبرير والكذب وغيرها.

المقدمة

تعد الحركة في القصص القرآني محورًا محركًا للأحداث فيها، فالمتأمل في الحركة في السياق القرآني يجدها فنًا خاصًا به تتلون دلالاتها ووظائفها و سياق الآيات الكريمات لتخرج النص من شرنقة السكون إلى فضاء الحركة القادر على شحذ فكر المتلقي ومخيلته دافعة به إلى استخراج الدلالات الكامنة وراء أستار النص، فالفلك الدائر حركة، وعسعسة الليل حركة، وتنفس الصبح حركة، وجريان الأنهار حركة، وسقوط الشهب حركة واهتزاز الأرض وإنباتها حركة، والكون كله في أصله حركة دائرية مستمرة.

والحركة تشير إلى عدم عبثية الأحداث للإنسان بل إلى دقة متناهية ترسم أبعاد حياة النفس البشرية، فتغدو متمثلة بصور متحركة ماثلة أمام الأعين كمشاهد محسوسةٍ شاخصةٍ في إشارة إلى حركة تشخيصية تجسد الأحداث عبر شخوص تتحرك في أفضية الحياة.

لذا قامت فكرة البحث على رصد تلك الحركة المستمرة متمثلة بحركية الحدث وتنوعه وتجليات ذلك في سورة مشحونة بالأحداث والانفعالات النفسية الخفية المتلونة في تركيب شخصياتها ألا وهي سورة يوسف عليه السلام.

وتبعًا لذلك اشتمل البحث على ثلاثة مباحث كان الأول منها وهو بعنوان: {ثنائيات الحدث وتوازيها في سورة يوسف عليه السلام} مسرحًا لمشاهد الأحداث التي توزعت حول موضوعات رئيسة هي: الحسد والحقد، الغيرة والكيد.

أما المبحث الثاني فكان بعنوان: {فعل المراودة وصيغه الدلالية} وفيه بيان لأثر دلالة صيغ الأفعال المزيدة في تصوير الحركة المتخيلة من الأحداث ونوعها سواء أكانت حركة سريعة أم بطيئة خفية أم ظاهرة.

في حين كان المبحث الثالث وهو بعنوان: {الرمز ودلالاته في السورة} لتتبع دلالات الرموز من خلال تراكيب لغوية تثير مخيلة المتلقي وتدفع به إلى التقاط حركة الحدث من خلال الرمز.

التمهيد:

عُرّفت القصة بأنها: ((مجموعة من الأحداث المترابطة يقوم بها مجموعة من الأشخاص في حركة حيَّة دائبة، ويتخلل كل ذلك عنصر التشويق الذي يحكمه الخيال حتى نصل إلى الذروة أو العقدة التي يعقبها الحل أو لحظة التنوير))[1].

وعُرف عن القصة القرآنية أنها بناء متفرد في تشكيله وهندسته؛ ذلك لأنها تسرد أحداثاً ووقائع واقعية بعيدة عن الاصطناع البشري بأسلوب تصويري وتشخيصي يصور أحداثاً تمتلئ حيوية وحركية، وقد امتاز أسلوب القصص القرآني بالتصوير والتجسيم والإيحاء للموقف والحركة والدوافع والانفعالات النفسية.

وتفرد السرد القصصي القرآني بخاصية مزج الأحداث والوقائع وتهيئة الأسباب النفسية والأجواء الفكرية والأسس العقلية ليتفاعل معها المتلقي، فاستطاعت القصة القرآنية أن تعرض أبعاد النفس البشرية المتنوعة بتحليلها تحليلاً عميقاً ودقيقاً للمشاعر والأحاسيس مما لا تدركه الحواس أحيانا؛ لكونه كامناً في دواخل النفس الإنسانية.

فالقصة القرآنية تمتلك جاذبية تحمل المتلقي بأسلوب فائق التشويق لتلمس الحدث وتقلباته المتحركة والمتنوعة في الزمان والمكان ليعيش مع شخصياتها وأجواء أبطالها النفسية والفكرية والاجتماعية فيرحل معها عبر أغوار الزمان والمكان لتنقله إلى عوالم لم يكن حاضراً فيها بشخصه ويسترشد بعبر ومواعظ جسدتها تلك الشخصيات بحركيتها وهي خاصية اعجازية لأسلوب القصص القرآني ونظمه المعجز.

ولعل قصة يوسف عليه السلام واحدة من تلك القصص شديدة الجاذبية التي تميزت بتنوع الأحداث وكثرتها وقدرتها الإعجازية في تصوير الطباع البشرية مثل لمسات الحقد والمكر والخديعة والنوازع الشيطانية من الشهوة والغواية، فضلا عن ذلك فإن جملها جاءت ((مترابطة برباط معنوي واحد تشترك فيه، يتمثل في وحدة

(١) الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف عليه السلام/ د. عمر محمد عمر باحاذق ٩.

الموضوع الذي تدور حوله)) [٢].

إن توالي الأحداث وتغايرها في القصة كشف لنا عن تقنيات فنية راقية تمثلت بـ ((راوٍ معجز، وبداية، وشخوص، وحوار، وزمان، ومكان، وحبك، وأحداث، ونهاية)) [٣]. ويشكل الحدث في بناء القصة القرآنية عنصراً مهماً؛ إذ تكون القصة بدونه حياةً لا نبض فيها، فبالعودة إلى بناء الحدث في قصة يوسف عليه السلام نجد أن الحدث يسير بتنامٍ هندسي فني ينبئ عن إعجاز لغوي وبلاغي وأسلوبي تنعكس خيوطه المحكمة في تدفق الأحداث وتسلسلها الدقيق المتنوع، وتصطف المشاهد في القصة وفق ترتيب محكم يتخذ مساراً دائرياً يبدأ بالرؤيا وينتهي بتأويلها.

اتسمت بداية قصة يوسف عليه السلام ببداية مثيرة هادئة فكانت البداية أشبه باللغز الذي اتخذ شكل رمز خفي انتظم في رؤيا يوسف عليه السلام التي كان لها بُعدها الجوهري في القصة وأحداثها، ثم تسلسلت الأحداث ((وفق معمارية بالغة الجمال من تداخل الأحداث وصلة بعضها بالآخر، ثم نمّوها عبر خطوط تتوازى وتفترق حتى تُصبّ في نهر واحدٍ واحد في نهاية المطاف.)) [٤].

وتضافر كل من عنصري الزمان والمكان بتشكيل الحدث في القصة وتآزرا معا لِحبْكِ خيوطها، فعنصر الزمان سار باتجاه الأمام في سرد القصة فكانت الرؤى ذات زمن مستقبلي فهي متقدمة من داخل الحركة الزمنية الأمامية [٥]، أما عنصر المكان فقد أخذ بعداً خاصاً فلكل مكان وظيفته وسماته الجغرافية المجتمعية التي طبعت أحداث القصة وكان لها أكبر الأثر في إظهار شخوص وأبطال القصة ودلالة أفعالهم، وكان لظلال المكان (الجب، بيت العزيز، السجن) انعكاسات عن ملامح حياة يوسف عليه السلام والأحداث التي دارت فيها.

(٢) الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني (سورة يوسف انموذجا)/ آمنة عشاب (رسالة ماجستير)/ المقدمة ب.

(٣) تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف/ دراسة تحليلية في التركيب والدلالة/ د.حسن عبد الهادي الدجيلي ١٢.

(٤) قصص القرآن الكريم: دلالياً وجمالياً/ د. محمود البستاني ١/ ٢٧٦.

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٢٩.

المبحث الأول
(ثنائيات الحدث وتوازيها في السورة)

قامت القصة على ثنائيات أساسية في تشكل الأحداث فكانت تلك الثنائيات الخيوط الخفية الرابطة للأحداث التي أدت بالنتيجة إلى تناميها وسيرورتها، وقد تنازعت في القصة ثنائية الخير والشر التي تمثلت بالحب والكره والشهوة والعفة واليأس والفرح بلغة حية تعدّت التعبير المجرد إلى تصوير المشاعر والانفعالات، فأضفت على جو القصة وأحداثها شحنات شعورية كانت النواة المركزية التي تنطلق منها الأحداث فضلا عن الثراء اللغوي والعمق الدلالي.

إن تتابع الأحداث في القصة يسير وفق نظام دقيق كانت فيه الأحداث متتالية متعاقبة تمهد كل منها للأخرى والأحداث فيها تتوالى وفق حبكة فنية فريدة، فكل حدث يكون سببًا للآخر أو نتيجة له[٦]، والزمن يعانق الحدث، على الرغم من تنوع الشخصيات الإنسانية وتقلب نفسياتها وتنوع رؤاها، وقد امتازت القصة بابتدائها بالتشويق وإثارة الذهن من خلال وصفها بأنها «أحسن القصص» ثم تلا ذلك الحديث عن رؤيا يوسف عليه السلام التي حرّكت الأحداث وحملت في طياتها بعدًا مركبًا اختزل الأحداث من بدايتها إلى منتهاها، والحدث فيها له بداية ووسط ونهاية، فكان هذا الاستهلال كفيلا بشد المتلقي وتشويقه إلى استكناه أحداث القصة ومعرفة تنوع أساليبها الخطابية والحوارية. ((وهي كذلك طريفة في المضمون والأحداث، من الرؤى إلى الإلقاء في البئر إلى البيع في مصر إلى المراودة إلى السجن ثم الملك وغيرها من الأحداث))[٧]، لذا طبعت القصة بطابع خاص حيث أنها تجعل قارئها متجدد المشاعر بتعدد قراءتها لما حفلت به من عواطف ومشاعر متنوعة ومختلفة تتنازع داخل النفس البشرية، فكانت حياة نابضة بنوازع الخير والشر بين الرغبة والامتناع والطاعة والمروق إلى المعصية بأسلوب سلسلِ اللفظِ رقيقِهِ،

(٦) ينظر: البعد التصويري في القرآن الكريم/ مريم سعود (رسالة ماجستير) كلية الآداب واللغات –جامعة الجزائر ٧٧ –٧٨.

(٧) سورة يوسف دراسة تحليلية/ احمد نوفل ١٠.

حتى قيل عن السورة أنه لا يقرؤها محزون إلا استراح إليها.

باستنطاق حركية الحدث في القصص القرآني نجد روعة الأداء الحواري القرآني في التعبير عن ذلك، تمثل ذلك بموضوعات رئيسة كان أولها موضوع « الحسد والحقد » الذي كان الباعث والمحرك الأول بل المحور الأساس لأحداث القصة، إذ كان له بُعدُه الجوهري في تسلسل الأحداث كلها وتشكلها الهندسي المنظم، كونه نقطة الانطلاق للجريمة الكبرى بحق يوسف عليه السلام.

لقد تملّك الحسد أخوة يوسف وقد كشفت الآيات الكريمة عن أن ((نفوس إخوة يوسف انطوت على حسد كبير لأخيهم، وبيّنت أن مبعث حسدهم أنانيتهم وطمعهم وحب الاستحواذ والتملك المسيطر عليهم))[٨]، فالحسد من وجهة نظر علماء النفس يعد نمطًا من أنماط السلوك الاجتماعي المرَضيّ غير المقبول لما له من أضرار على الفرد وعلاقته بالآخرين وفيه دليل على عدم ثقة الحاسد بنفسه وعدائيته ورغبات الحقد المكبوتة في نفسه، كما أنه يكون سببًا للوقوع في القبائح والجرائم والرذائل، فالحسد من صفات المنافق الذي يظهر خلاف ما يبطن لكونه مما يضمر في دواخل النفس.

وقد كان ذلك الفعل المَرَضيّ بذرة لنواة أسوأ منه وهو الحقد، تأملوا قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[سورة يوسف: ٧ -٨]، فكانت هذه المقولة ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا﴾ بداية بذور الحقد الكامن داخل نفوسهم الذي ترجموه بقولهم ونقطة بدء لحدث آخر هو الغيرة والكيد.

أما الغيرة ففعل مذموم له آثاره السلبية وهو شعور مؤلم إذا تعدى حدوده يحوّل سلوك الفرد إلى سلوك عدواني يتجاوز به على من يظنه أفضل منه مكانةً وحظوة أو من يعده غريمًا له، وهو فعل منبعه وسوسة الشيطان، ومن نتائجه فرقة الأحبة لسيطرته على تفكير وسلوك

(٨) الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف/ عبد الحميد محمود طهماز ٢٥

الشخص، فهي ((انفعال مركب، أي أنها بهذا المعنى مزيج غريب من انفعالات مختلفة))[9].

وهذا هو حال أخوة يوسف عليه السلام حين رأوا محبة النبي يعقوب عليه السلام ليوسف وأخيه، فكان من فرط غيرتهم أن كادوا له وأجمعوا على المكيدة والأذى[10] وهـــذه حال النفس البشرية التي تمتلئ غيضًا وغضبًا فتفقد زمام أمرها وصفاء سريرتها وتلتزم خواطر الشيطان ليسوّل لها ارتكاب جريمة القتل، ((فمشاعر الغيرة تثير الغيظ والحنق، وتدفع لأعمال كثيرة، فإن غضب إخوة يوسف، الناشئ عن غيرتهم، دفعهم لأن يقوموا بمهمة إلقاه في البئر، ثم بيعه كالرقيق، ليتخلصوا من تواجده أمام أعينهم)) [11] حيث صورت الآيات الكريمات فظاعة تلك المكيدة بقوله عز وجل: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ [سورة يوسف: ٩ -١٠]، ونلاحظ هنا التدفق السريع الحركة للأحداث المتوالية وحركة المكيدة حين قال عز من قال: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾[سورة يوسف: ١١ -١٣] فتوالي الجمل الفعلية الدالة على الحدوث ناسب وصوّر خير تصوير حركة الأحداث وفعل الكيد.

وكان كيد الإخوة سببًا لكيد آخر ولولبًا لحدث ومكيدة أخرى ومقدمة لها وهو كيد وفتنة امرأة العزيز، ويجمع بين الكيدين صفة تبدو في أصل ظاهرها خفية إلا أن المتأمل فيها يجدها جلية واضحة هي أن أصل الكيد هو الشر المتضمن التدبير الخفي غير الظاهر وفق ترتيب وتدبير لأحداث يشوبها النقص كونها تدبيرَ بشرٍ قاصر يضمر بها سوءًا يفضح خبايا الشر في

(٩) الأسس النفسية للنمو من الطفولة الى الشيخوخة/ د. فؤاد البهي السيد ٢١٤.
(١٠) المصدر نفسه ٢١٥.
(١١) الغضب (العاطفة التي أسئ فهمها)/ د. صموئيل حبيب ٢٦.

نفسه الذي يؤدي به إلى ارتكاب الكبائر.

لقد كان للدوافع النفسية التي حملتها شخصيات القصة من حسد وحقد وغيرة أثره في حركة أحداث القصة ومجرياتها، كما أنها أظهرت الأمراض النفسية التي تنتاب الإنسان في حالة النوازع الشيطانية ومدى قسوتها التي تؤول إليها في لحظات ضعفها.

المبحث الثاني
(فعل المراودة وصيغه الدلالية)

انماز أسلوب القصص القرآني بدقته في اختيار الألفاظ ذات الدلالات العميقة التي تعبر عن أحداث كثيرة بقليل عدد من ألفاظه، ومن تلك الأحداث التي وردت في قصة يوسف عليه السلام حدثٌ كان لولبَ القصة وأحداثها المترابطة، ذلك هو حدث فعل المراودة الذي برزت في حبكته ونسيجه الأفعال المزيدة التي كانت لها دلالاتها لزيادة مبانيها.

لقد كان للفعل المزيد تميزاً كبيراً في حدث المراودة، والمراودة هي الترفق والتأني في الطلب[12]، والحركة والتردد على الشيء[13] وتختصر كلمة (وراودته) الحدث كله ذلك لأنها تصوِّر لنا أولا لحظة الإعجاب الشديد من لدن امرأة العزيز، وطلبها فعل المنكر ثانيًا[14]، ونلحظ هنا التكثيف في تبيان الإغراء الصوتي والإغراء الحركي الذي بدر منها[15] ونلحظ أثر صيغ الأفعال المزيدة في تصوير الحركة في فعل المراودة الواقعة من امرأة العزيز، فصيغة الفعل المزيد (فاعَلَ) و (فعَّل) كان لها أكبر الأثر في تصوير الحركة في تلك اللحظة تأملوا قوله عز من قال: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[سورة يوسف: ٢٣] ويدل الفعل المزيد (غلّق) على التكثير والمبالغة التي بدرت من امرأة العزيز والتشديد في تغليق الأبواب.

ثم تبع ذلك حركة سريعة أخرى في قوله عز وجل: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ

(١٢) ينظر: الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة في قصة يوسف/ ٧٦.

(١٣) ينظر: جماليات النظم القرآني في قصة المراودة في سورة يوسف/ د.عويض حمود العطوي ٢٢.

(١٤) ينظر: المصدر نفسه ٢١ -٢٢.

(١٥) ينظر: تقنيات المنهج الاسلوبي في سورة يوسف/ ١٣٨.

﴿قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [سورة يوسف: ٢٥] والحركة هنا مزدوجة وسريعة تمثلت بالاستباق وهو فعل الاثنين والقدّ وهو فعل الواحد إلا أنه فعل يستوجب الشدة والقوة والسرعة، كما أن له دلالة إيحائية وحسية على نهم وشراسة امرأة العزيز، وكان للفعل المزيد أثره الدلالي في تصوير الحدث تمثل بالفعل المزيد (استبق) بصيغة (افتعل) الدال على المشاركة[١٦].

حركة أخرى أنبأت عن شغف آخر تجاه يوسف كان من النسوة المنبهرات بجماله وحسنه جَسَّدتها صيغة الفعل المزيد (أفْعَلَ) انسجمت مع الفعل المزيد (فعّل) حين ذكرها عز وجل بقوله: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٣١] والإكبار حالة نفسية تظهر الانبهار بحركة الجسد وتنبُّهِه الكامل بالجوارح والأعضاء رافق ذلك حركة أخرى هي تقطيع الأيدي، وقد صوّر لنا السياق القرآني الحركة التصويرية الأخاذة التي تشي بها تلك الصورة والذهول الذي انتاب النسوة من جمال يوسف عليه السلام، وعبّر عن ذلك بصيغة من صيغ الأفعال المزيدة عبر دلالة التضعيف في الفعل المزيد (قطّعن) الدال على المبالغة في الفعل.

من كل ما تقدم يمكن القول بأن الأفعال المزيدة التي وردت في حدث المراودة صوّرت بمبانيها المزيدة ذاتِ العمق الدلالي، الأحداثَ أفضل تصوير ودلت على أن الأفعال بما تمتلكه من حدث استطاعت أن تبث الحركة بتراكيبها الفعلية الدالة على التجدد والحدوث فضلا عن زيادة المباني التي تفضي إلى زيادة المعاني.

المبحث الثالث
(الرمز ودلالاته في السورة)

تنوعت الرموز والوحدات السيميائية التي حركت الأحداث في السورة كما تنوعت دلالتها وأهميتها فالرؤى والقميص والذئب والدم. . رموز هامة في أحداث القصة المتنامية إلا أن رمزي الرؤى

(١٦) يعد الاشتراك واحداً من معاني الفعل المزيد (افتعل)، ينظر: التطبيق الصرفي/ د. عبده الراجحي ٣٨.

والقميص كانا من أبرز تلك الرموز تعبيراً عن حركية الحدث في القصة.

تتشكل الرؤى من ((عملية داخلية مركبة تعتمد الخيال والإحساس، هذه الصور المرئية طليقة في عناصر تشكيلها وفي حركتها، غير مقيدة بواقع أو بمنطق أو ما شابه، بل إنها تقوم على أشكال وهيئات وشخوص وغيرها، مؤدية وظيفة الرموز، وهذه الرموز لها دلالات))[١٧].

بدأت القصة بالرؤيا التي كانت المحور الأساس في حركة الأحداث، إذ كان تركيب الرؤيا ودلالته باعثاً على طبيعة تأويلية تحرك الأحداث وتكشف عنها، فالرؤيا صور مرئية مشتملة على دوالّ رمزية يتم فك رموزها وتفسيرها من خلال منظومة لغوية تركيبية تحمل مستويين من الدلالة هما ظاهر نصي وباطن تأويلي، والمتأمل لقوله عز وجل في رؤيا يوسف عليه السلام حين قال: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [سورة يوسف: ٤] يستشعر حركة السجود من لدن الكواكب في الظاهر وحركة سجود الإكبار من ذويه في الباطن وفق تأويل رموز الرؤيا، التي تفك شفرتها في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾[سورة يوسف: ١٠٠] ونلاحظ هنا الحركة جلية يجسدها لنا توالي فعلين هما (الرفع والخرور) إذ صوّرا شكل حركة الحدوث بعد أن كانت رمزًا صورياً.

ويوضح المخطط الآتي تركيب الرؤيا:

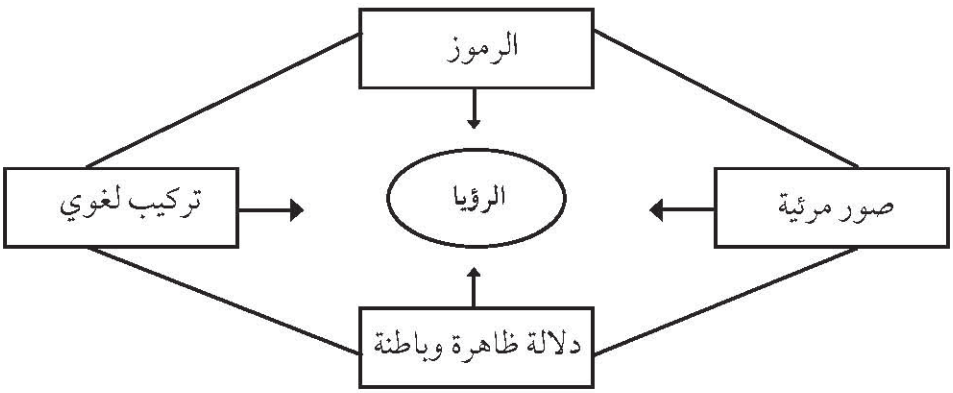

(١٧) البعد التصويري في القرآن الكريم سورة يوسف انموذجا/ ١٤٤.

من الرموز الأخرى التي كان لها دلالتها الحركية المحورية في أحداث القصة فضلا عن دلالتها الرمزية هو قميص يوسف عليه السلام الذي يكون تارة دليل اتهام وأخرى دليل براءة وثالثة دليل بشارة للشفاء، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ [سورة يوسف: ٢٥] و ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [سورة يوسف: ٢٨]، ثم قوله عز وجل: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [سورة يوسف: ٩٣].

من كل ما تقدم يمكن القول: إن دلالة الفعل على التجدد والحدوث بانت ملامحها جلية في جريان وتصوير حركية الحدث في القصة التي ترافقت مع دلالة الجملة الفعلية على التغيير المستمر في تنامي الأحداث وتسلسلها وكأننا نكاد نستشعر الحركة ومشاهدها المتحركة كصور لها أبعادها المجسمة في أذهاننا.

الخاتمة

اختتم البحث بجملة نتائج توصل إليها التجوال في رحاب قصة يوسف عليه السلام أجملها في الآتي:

١. لقد بدا جليا أن السياق القرآني عنى بمشكلات النفس البشرية ونوازعها وانفعالاتها غير الارادية وبينت أحداث القصة الجانب النفسي لشخصياتها عبر تلمس الشحنات الشعورية لتلك الشخصيات التي ترجمتها أفعالهم الدالة على معانٍ مختلفة ومتنوعة تدل على أمراض نفسية نابعة من قلة الإيمان وضعف العقيدة.

٢. إن مراعاة السياق القرآني للمتلقي وإثارة انفعاله عبر عنصر التشويق الذي أثاره استهلال القصة بالرؤيا الرمزية يشير إلى سبق النص القرآني للمناهج النقدية الحديثة التي أشارت إلى ذلك وعنيت به في العصر الحاضر.

٣. كان لعنصر المكان أثر كبير ومهم في تشكيل الأحداث، إذ عكسا ملامح شخصيات القصة وطريقة تفكير كل منهم وفق طبقته الاجتماعية وبيئته التي عاش فيها وبان تأثيرها في دلالة أفعالها.

٤. استطاع السرد القصصي أن يمزج

الأحداث وينتقل عبر أزمان مختلفة لينقل لنا الحدث مجسماً ويصوّره بأسلوب بليغ غاية في الإعجاز والبلاغة عبر تكثيف إيجازي معجز يتعدى إيجاز وتكثيف الرواية في عصرنا الحاضر؛ لكون السرد فيه سرداً صادراً من راوٍ معجز في بلاغته وإيجازه.

٥. شكل توالي الأفعال في السرد القصصي لقصة يوسف عليه السلام وتدفق التركيب الفعلي فيه متوالية هندسية رتبت الأحداث وحركيتها بما اشتمل عليه الفعل من حدث وزمن، وعلى وجه الخصوص الفعل المزيد الذي كانت له دلالته المهمة في أحداث القصة وعمارتها اللغوية.

٦. صوّر القصص القرآني حالات النفس الإنسانية التي عني بها علم النفس المعاصر من مسائل الحيل اللاشعورية كالإسقاط والتبرير والكذب وغيرها من دواخل النفس الإنسانية بلغة إيحائية فنية بليغة الأسلوب والتعبير.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأسس النفسية للنمو من الطفولة إلى الشيخوخة/ د. فؤاد البهي السيد، دار الفكر العربي/ مصر، د. ت.
- التطبيق الصرفي/ د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية/ بيروت، ط١/ ١٤٢٦هـ-٢٠٠٤ م.
- تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف (دراسة تحليلية في التركيب والدلالة)/ د. حسن عبد الهادي الدجيلي، دار الشؤون الثقافية/ بغداد، ط ١/ ٢٠٠٥.
- جماليات النظم في قصة المراودة في قصة يوسف/ د. عويض بن حمود العطوي، المملكلة العربية السعودية، ١٤٣١هـ.
- الدلالة الإعجازية في رحاب سورة يوسف/ د. عمر محمد عمر باحاذق، دار المأمون للتراث/ بيروت، ط ١/ ١٤١٧ هـ-١٩٩٧ م.
- سورة يوسف دراسة تحليلية/ د. أحمد نوفل، دار الفرقان/ عمان، ط١/ ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩م.

- الغضب (العاطفة التي أسيء فهمها)/ د. صموئيل حبيب، دار الثقافة/ القاهرة، ط٢/ د.ت.
- الفروقات بين القرآن والتوراة المفتراة (قصة يوسف)/ الشيخ خليل سليمان، المكتب الإسلامي/ بيروت، ط ١/ ١٤٢٠ هـ-١٩٩٩م.
- قصص القرآن الكريم (دلالياً وجمالياً)/ د. محمود البستاني، مؤسسة السبطين عليهما السلام العالمية/ إيران، ط ٢/ ١٤٢٨ هـ.
- الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف/ عبد الحميد محمود طهماز، دار القلم/ دمشق، ط ١/ ١٤١٠ هـ-١٩٩٠م.

الرسائل الجامعية:

- البعد التصويري في القرآن الكريم (سورة يوسف انموذجاً)/ مريم سعود (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات -جامعة الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م.
- الحبك المكاني في السياق القصصي القرآني (سورة يوسف انموذجاً)/ آمنة عشاب (رسالة ماجستير)، كلية الآداب واللغات -جامعة حسيبة بن بو علي بالشلف، ٢٠٠٦-٢٠٠٧ م.

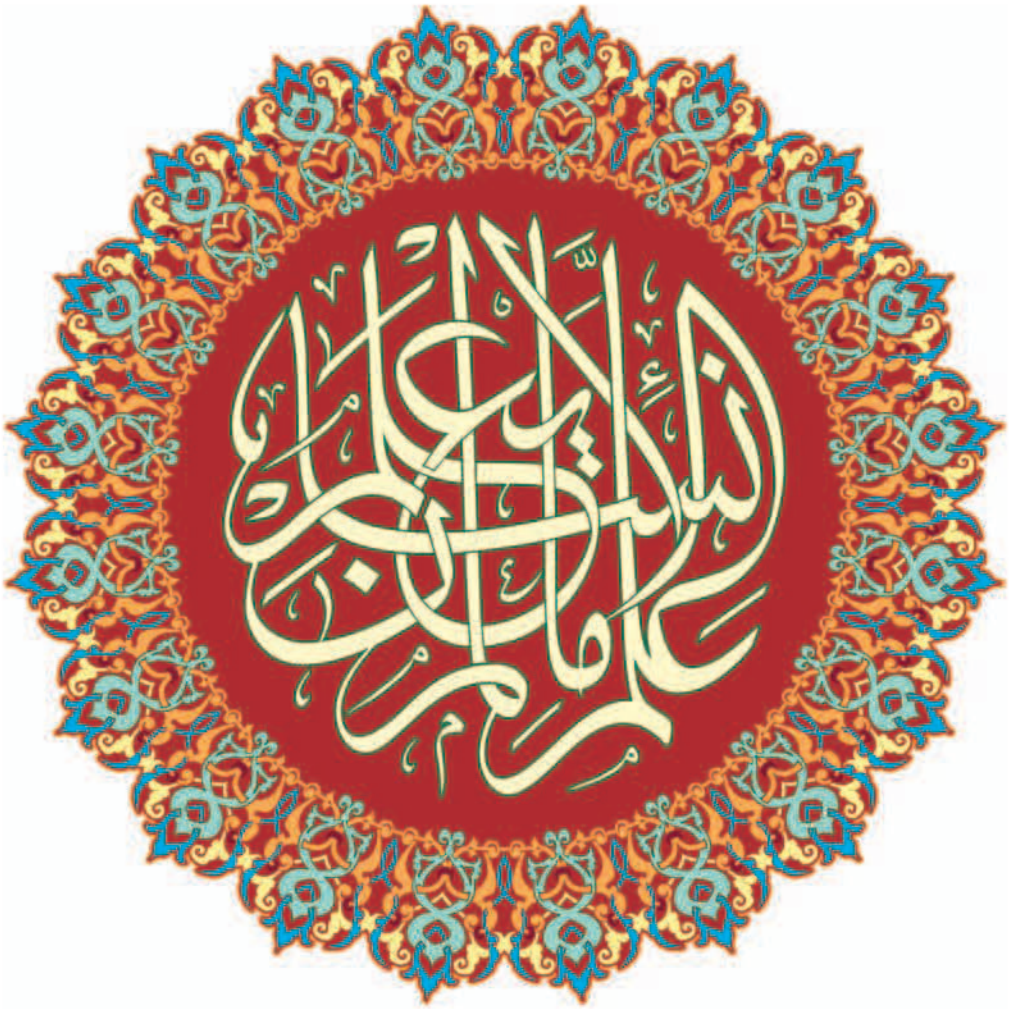
إنما يخشى الله من عباده العلماء

زمنُ (الاسترجاع السَّيَري) تطبيقاتٌ نَقْديةٌ في عَرْضِ القرآنِ الكريمِ سِيرةَ (مُوسى) و(إبراهيمَ) عليهما السلام وَقَوْمِهما

د. وداد مكاوي حمود – اطياف جواد
كلية التربية – جامعة بابل

ملخص البحث

بحث نقدي يطبق قاعدة (الاسترجاع السّيَريّ) على بعض آيات سورتي (البقرة) و (آل عمران) الكريمتين التي تعرضت لشؤون نبيين كريمين من انبياء اولي العزم وهما- النبي موسى والنبي ابراهيم عليهما السلام وأقوامهما، كمظهر من مظاهر الأعجاز البياني الذي اختص به كتاب الله العزيز.

يتحدث البحث أولاً عن (الزمن) في جميع العلوم وانه متعدد المجالات، وانه يعطي كل مجال دلالته الخاصة، استناداً الى آراء كبار علماء النقد الادبي وبلاغة الاسلوب.

ويجري البحث ضمن اربعة مباحث يتحدث الاول عن (زمن الاسترجاع السيري) والثاني: زمن الاستشراف السّيري. والثالث عن: الزمن النفسي السّيري والرابع: الزمن التتابعي السّيري. ولم يخرج البحث في أمثلته عن آيات القرآن الكريم من سورتي (البقرة وآل عمران).

مدخل

اهتمت الدراسات بالزمن في جميع العلوم، على الرغم من اختلاف مناهجها وموضوعاتها وأولته العناية البالغة، لأنه يشكل إطار كل حياة، وحيز كل فعل، وكل حركة، بل يعد الإطار الحافظ لكل الموجودات وحركتها، وسيرها ونشاطها، ودق مفهوم الزمن في كل الفلسفات تقريباً في كل مناحي الحياة وقطاعاتها[1].

ويرى أحد الباحثين أن الزمن متعدد المجالات، فهو يعطي كل مجال دلالة خاصة، ويتناوله بأدواته التي يصوغها في حقله الفكري والمعرفي[2]. لذا فالزمن يعد إشكالية جوهرية في النص السردي، لأنه باستطاعتنا عند سرد سيرة أو قصة معينة من دون تعيين المكان الذي دارت فيه أحداثها، ولكن لا يمكن أن تكون بلا زمن بالقياس إلى الفعل السردي، أي لابد من حكايتها في زمن الحاضر، أوالماضي أوالمستقبل[3]. ولم أجد في القواميس تعريفاً ذا قيمة يفيدنا في دراستنا*.

أما في الاصطلاح: فان الزمن يكتسب معاني مختلفة، ولو أراد الدارس أن يقف على الزمن بمعانيه المتباينة، لصعب الأمر عليه.

فالزمن «يأخذ أبعاداً شتى في الفلسفات المختلفة، وله أيضا معانٍ اجتماعية نفسية»[4].

(١) ينظر: البنية الزمنية في رواية بوح الرجل القادم من الظلام للاستاذ إبراهيم سعدي، عبد القادر بلغربي، رسالة الماجستير كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠٠٥-٢٠٠٦: ٨.

(٢) ينظر: تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، ط٤، ٢٠٠٥، المركز الثقافي العربي: ٦١.

(٣) ينظر: خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرارد جنيت، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧: ٢٣٠.

* الزمن اصلٌ واحدٌ على وقتٍ من الأوقات. من ذلك الزمان، وهو الحين، قليلهُ وكثيرهُ. يقال زمانٌ وزمن، والجمع أزمان وأزمنة. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩، مادة زمن. والزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم الزمن والزمان العصر والجمع أزمن وأزمان وأزمنة. لسان العرب، مادة زمن

(٤) جماليات البناء الزماني والفضائي في رواية حارسة الضلال لواسيني الأعرج، منصور عمايرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر ٢٠٠٦ -٢٠٠٧، ٨.

ويرى (أ. أ. مندولا) أن أكثر من مفكر وناقد ورجل دين قد تباروا في وصف صعوبة القبض على معنى محدد للزمن[٥].

والزمن في الاصطلاح السردي: «مجموعة العلاقات الزمنية (السرعة والتتابع والبعد)، بين المواقف والمواقع المحكية وعملية الحكي الخاصة بهما، وبين الزمان، والخطاب المسرود والعملية المسرودة»[٦]، ويعد الزمن بكل ما ينطوي عليه من إشكالات وتداخلات، أحد الركائز الأساسية في خلق النص (السَّير غَيْرِيّ) فـ«الماضي بوصفه البنية الزمانية الأساس في السيرة، تقدم الحوادث المطلوب استقدامها مجردة، وتقوم فعاليات الذاكرة. بتسلم هذه الحوادث على شكل مادة أولية لا يصح نقلها كما هي في كيان فعل أدبي خلاق»[٧].

وان الزمن هو تلك المادة المعنوية المجردة التي يتشكل منها إطار كل حياة، وحيز كل فعل وكل حركة، بل إنها بعضٌ لا يتجزأ من كل الموجودات، وكل وجوه حركتها ومظاهرها وسلوكها[٨].

إذ إن «الترابط بين الأحداث ضمن الذاكرة، لا تشكل ترتيباً موضوعياً مطّرداً ومتتالياً بمعنى السابق واللاحق، كما هو لدى الأحداث في الطبيعة، بل هي تعكس كما قال برجسون: حالة من التداخل الدينامي، وهي الحالة التي تكتسب مغزى خاصاً بما يتعلق بالصلة بين الزمن والذات»[٩].

وهذا الكلام يدحض الرأي القائل بضرورة الترتيب الكرونولوجي التصاعدي في ترتيب الأحداث في النص السِّيَرْ غَيْرِي[١٠] (على حد التعبير النقدي). لأنه كأي نص سردي آخر محكوم

(٥) ينظر: الرواية والزمن أ. أ مندولا، ت: ربكر عباس، بيروت دار صادر، ١٩٩٧، ١٨٢-١٨٣.

(٦) المصطلح السردي، جيرالد برنس، تر عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط١، ٢٠٠٣، ٢٢٩.

(٧) السيرة الشعرية: ١٥، نقلًا: عن القصيدة السير ذاتية، ٣٥٠.

(٨) ينظر: بنية الخطاب الروائي، ٣٩.

(٩) بناء الزمن في الرواية المعاصرة رواية تيار الوعي انموذجا (١٩٦٧ -١٩٩٤)، د. مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ٧-٨.

(١٠) ينظر: القصيدة السير ذاتية: ٣٥١.

بمبدأ الانتقالية النابعة من زاوية نظر المبدع ورؤيته للحياة التي مضت، ولم يعد بإمكانه مهما فعل من أن يعيدها كما جرت أحداثها من دون نسيان بعض تفصيلاتها، كما انه شاء أن يباعد بين الحوادث والأفكار، ويبعثرها بين السنين. فيفقد النص حيوية الإنسانية الكاشفة عن الذات المسرودة في النص[١١]. كما إنه يفترض أن تسير أحداث النص الإبداعي من البداية إلى النهاية، أي تسير ضمن تشكل زمني تصاعدي، واستجابة السير الغيرية لهذا التتابع والتسلسل في الرواية، يتخلخل فيعود مرة للوراء لاستذكار واسترجاع أحداث ماضية، أو يقفز للامام يستشرف النص أحداثاً مستقبلية، وهذه المفارقة الزمنية، توقف تسلسل الأحداث تبعا للحركة الاسترجاعية أو الاستشرافية، لتكون الاسترجاعات أحياناً خارج النص، لترتبط بمدة ماضية، سابقة للسرد، أو استشرافية تكون سابقة لأوانها[١٢].

وتشير أيضاً إلى أن وتيرة السرد تتفاوت من حيث السرعة والإبطاء، ويمثل السرد أحياناً لاختزال القصة بالسرد التلخيصي، بحيث يميل لتسريع السرد وكذلك استعمال صيغة الحذف.

والزمن في سورتي البقرة وآل عمران يتخذ المسار الآتي من خلال السير الغيرية الواردة فيه من حيث الترتيب فهو يتخذ مسارا واحدا لجميع هذه السير وبينتها بالشكل الآتي:

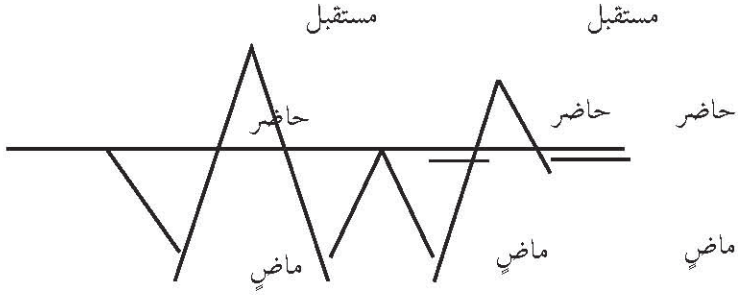

(١١) ينظر: م. ن: ٣٥١.

(١٢) بنية النص السردي، ٧٣.

«إن استحالة التوازي بين زمن الخطاب أحادي البعد، وزمن التخييل المتعدد الأبعاد، أدى إلى خلط زمني يحدث مفارقات زمنية على خط السرد تتمثل في الاسترجاع، والاستباق»[١٣].

المبحث الأول
زمن الاسترجاع السيري

الاسترجاع هو «مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة لِلَّحظةِ الراهنة، واستعادة الواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة، أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث يدع النطاق لعملية الاسترجاع. والاسترجاع له فسحة معينه وكذلك بعد معين وإكمال الاسترجاع أو العودة يملأ الثغرات السابقة التي نتجت من الحذف أو الإغفال في السرد، والاسترجاعات المتكررة والعودة تعيد تكرار ذكر وقائع ماضية»[١٤].

و يكشف عن جوانب مهمة فيه، يسهم في إضاءة النص ومن بين الأجناس الأدبية المختلفة تعد السير الذاتية والغيرية أكثر من غيرها احتفاءً بهذه التقانة، لان السرد فيها استرجاعي بالأساس، وكل الأحداث المسرودة بالقياس إلى زمنها المقامي هي أحداث استرجاعية[١٥]. يمثل الاسترجاع تقنية زمنية يستطيع السارد من خلالها العودة إلى زمن سابق، مرت به ذاكرته، وهو «مخالفة لسير السرد تقوم على عودة السارد إلى حدث سابق، وهو عكس الاستباق»[١٦].

ومن ثم يشكل كل استرجاع بالقياس للحكاية التي ينتمي إليها حكاية ثانية زمنيا، تابعة للأولى[١٧].

وان الاسترجاع «يؤلف نوعا من الذاكرة القصصية التي تربط الحاضر

(١٣) الزمن في الرواية العربية، مها القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤. : ٥١.

(١٤) المصطلح السردي: ٢٥.

(١٥) القصيدة السير ذاتية: ٣٥٧.

(١٦) البنية السردية في الرواية دراسة فيثلاثية خيري شبلي (الامالي لأبي حسن: ولد خالي)، عبد المنعم زكريا القاضي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٩: ١١٠.

(١٧)ينظر: خطاب الحكاية: ٦٠.

بالماضي وتفسره وتعلله، وتضيء جوانب مظلمة من أحداثه، ومسارات هذه الأحداث وامتداداتها أو انكساراتها. واسترجاعا لماضي إيقاف للسرد المتنامي، للعودة إلى الوراء إلى حدث سابق على النقطة الزمنية التي بلغها السرد»[١٨].

وتعتمد السير الذاتية، أو الغيرية على مفهوم الاستذكار، أو الاسترجاع، الذي يمثل تقنية أساسية، لكي تروى القصة، فتكون قد تمت في زمن ما غير الزمن الحاضر، لأنه يتعذر حكاية قصة أحداث لم تكتمل بعد. والاستذكارات أكثر توتراً في السرد.

وان الاسترجاع* عملية سردية تتمثل بعكس الزمن، في إيراد حدث سابق للنقطة الزمنية التي بلغها السرد، وللاسترجاع وظائف هي:

١. إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية (شخصية، إطار، عقدة).

٢. سد ثغرة حصلت في القصص واستدركت مؤخراً[١٩].

ويعد الاسترجاع "من أكثر التقنيات السردية حضوراً وتجلياً في النص الروائي، فهو ذاكرة النص، ومن خلاله يتحايل الراوي على تسلسل الزمن السردي، إذ ينقطع زمن السرد الحاضر، ويستدعي الماضي بجميع مراحله ويوظفه في الحاضر السردي، فيصبح جزءاً لا يتجزأ من نسيجه"[٢٠]. و «إن كل عودة للماضي، تشكل بالنسبة للسرد، استذكارا يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة»[٢١].

إذ إن أهميته تنبثق من كونها تقنية تتمحور حول التجربة الذاتية، وهي تعادل وفقاً للمصطلح النفسي ما يسمى

(١٨) الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا إبراهيم الجنداري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠١: ١٠٦.

* أطلق سمير المرزوقي وجميل شاكر على الاسترجاع باللواحق. مدخل إلى نظرية القصة، تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٨٦.

(١٩) م. ن: ٧٨-.

(٢٠) الزمن في الرواية العربية: ١٩١.

(٢١) بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ١٩٩٣، ١٢١.

بـ(الاستبطان)، أو التأمل الباطني، ويعرف بأنه معاينة المرء لعملياته العقلية، أو المعاينة الذاتية المنتظمة، إذ يقوم الإنسان بفحص أفكاره، ودوافعه ومشاعره والتأمل فيها، وهو أشبه ما يكون بتحليل الذات والتأمل في الخبرات الماضية يوازي تذكر الماضي، والأحداث الماضية بطريقة غير مباشرة، لان عملية الاستبطان تتم في أعقاب الخبرة والمعايشة، وبعد استقرار عناصرها في الذاكرة[٢٢].

أنواع الاسترجاع:

ينقسم الاسترجاع تبعاً لدرجة ماضوية الحدث الحكائي(المحكي الثاني)، ونوعية العلاقة التي تربطه بالحدث السردي الحاضر (المحكي الأول)، فعلى ضوء الحدث السردي يتحدد كل تحريف زمني[٢٣].

(٢٢) ينظر: الزمن في الرواية العربية: ١٩٢، ١٩٣.

(٢٣) ينظر: الزمن في الرواية العربية: ١٩٤.

ومن ثمَّ ينقسم الاسترجاع على النحو الآتي:

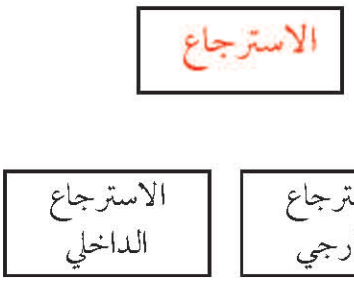

وقد قسم جينيت الاسترجاع على استرجاع خارجي، واسترجاع داخلي[٢٤]. إذأنه أطلق مفهوم الاسترجاع الخارجي في تحليله لحكاية جرح عوّليس عندما تناولت حادثة اسبق زمنياً وهي ملحمة الأوديسة، وبهذا تكون انتقالة الزمن خارج نطاق الحكاية الأولى (جرح عوّليس). أما الاسترجاع الداخلي فقد أطلقه على الفصل السادس من رواية مدام بوفاري لما تحدث فلوبيير في هذا الفصل عن سنوات ترهب إيماّ، وهي بداية الرواية[٢٥].

(٢٤) ينظر: خطاب الحكاية: ٦٠ وما بعدها. وينظر: بناء الرواية: ٣٩ وما بعدها. وجمالية العلامة الروائية، الرواية العربية انموذجاً، اطروحة دكتوراه تقدم بها جاسم حميد جودة ٢٠٠٢: ٤٧ وما بعدها.

(٢٥) م. ن: ٦٠.

وبهذا يعد تقسيم الاسترجاع على سيري خارجي وسيري داخلي، مرتبطاً بحركة الزمن داخل السيرة إما أن يكون سابقاً لبداية السيرة، أو لاحقاً لها. وهذا ما وجدناه في السير المذكورة في القرآن الكريم على وجه العموم، وفي السورتين على وجه الخصوص لأنهما موضوع دراستنا.

أولاً:
الاسترجاع السيري الخارجي:

يمثل الاسترجاع السيري الخارجي استعادة الحوادث التي «تعود إلى ما قبل الحكي»[٢٦]، و «يلجأ اليه الكاتب لملء فراغات زمنية تساعد على فهم مسار الأحداث، أي سد ثغرة حصلت في النص القصصي، أي استدراك متأخر لإسقاط سابق مؤقت[٢٧]».

أما هذه الاسترجاعات فهي لا تتداخل مع الحكاية الأولى لان وظيفتها الوحيدة إكمال الحكاية الأولى عن طريق تنبيه القارئ بخصوص الحكاية السابقة[٢٨].

ومما ورد من هذه الاسترجاعات الخارجية في سورتي البقرة وال عمران ربط أحداث القصص في السورتين وتوضيحها، ومن الأمثلة التي ورد فيها الاسترجاع الخارجي في السورتين قوله تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٥٩ -٦٠]. نجدفي هذا النص استرجاعاً لقضية خلق آدمعليه السلام عندما خاطب الله عز وجل الملائكة بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٣٠]. وإننا نجد إنَّ الله عز وجل في سورة آل عمران قد أعطى نوعاً من التوضيح لقضية خلق ادمعليه السلام العجيبة وهو خلقه بلا أب، وأم فشبه بها خلق عيسىعليه السلام من دون أب، إذأنه شبه الغريب بالأغرب، ليكون اقطع للخصم.

(٢٦) الوجيز: ١/ ٢٤١.

(٢٧) الفضاء الروائي عند جبر ابراهيم جبرا: ١٠٦.

(٢٨) ينظر: خطاب الحكاية: ٦١.

فهو بذكر خلق عيسى عليه السلام بأنه أشبه بخلق ادم قد أجاب عن أسئلة سيرية لم تتوضح في بدء الحديث عن خبر ادم عليه السلام، وكيفية خلقه. فقد أوضح الله عز وجل في الآية (٥٩) من سورة آل عمران ما أوجزه في الآية (٣٠) من سورة البقرة. وبهذا تصبح قضية أو قصة آدم وعيسى عليهما السلام مكتملة سيرياً. وذلك لأن الاسترجاع هنا يستعمل لربط حادثة بسلسلة حوادث مسبقة مماثلة لم تذكر في النص الآية الأولى إيجازاً[٢٩] فهنا ربط سيرة النبي عيسى عليه السلام بسيرة النبي آدم عليه السلام التي لم يفصلها في بدء الحديث عن خلق آدم عليه السلام، فجاءت سيرة خلق عيسى عليه السلام مفصلةً ثم أشارت إلى أنها كانت شبيه لسيرة خلق آدم عليه السلام.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[سورة آل عمران: ٩٦]. جاءت هذه الآية لتذكرهم بان هذا البيت هو أول بيت وضع للناس لعبادة الله. وليكون مصدر بركة وهدى للعالمين مما أوحى بأنه محل عنايه ورعايته، واهتمامه. وهذه الآية ردا على ما حاول أن يثيره اليهود على الإسلام، والمسلمين من شبهات في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، لان بيت المقدس هو الذي أُمر الناس بالتوجه اليه أولاً لقدمه، وعبادة الأنبياء فيه[٣٠]. وفي هذا الاسترجاع تحديد سيري، مهم وهو الجانب العبادي، أو الديني في قصة حياة البشر أجمع. إذ تصبح الكعبة المكان الأول للعبادة، هي أول بيت لله عز وجلوضع للعبادة أي لعبادة الإنسان على الأرض. إذ إن الرواية السيرية لكي تكشف كل جوانب الشخصيات لابد أن تتطرق لعبادتهم..

وفي هذه الآية استرجاع لقضية بناء البيت الواردة في سورة البقرة. ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[سورة البقرة: ١٢٧].

وهي كما تقدم سلفاً لتذكر الناس، أن الكعبة هي أول بيت وضع للعبادة. إذ إن

(٢٩) ينظر/ بناء الرواية: ٤٢.

(٣٠) ينظر/ من وحي القران، ج٦، ١٠٢.

الآية تبين أن بيت الله (الكعبة) كان موجودا قبل إبراهيم، وكان قائما منذ زمن ادم. إذ تتحدث (الآية ٣٧ من سورة إبراهيم) على لسان إبراهيم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ﴾[سورة ابراهيم: ٣٧].

وهذه الآية تدل على ان الكعبة كان لها نوع من الوجود حين جاء إبراهيم مع زوجه، وابنه الرضيع إلى مكة. وهذا ما تؤكده الآية (٩٦) من سورة آل عمران من أن عبادة الله وإقامة أماكن العبادة لم تبدأ في زمن إبراهيم، بل كانت منذ أن خلق الإنسان على ظهر هذه الأرض[٣١].

ثانيا:
الاسترجاع الداخلي

على عكس الاسترجاع الخارجي، فان الاسترجاع الداخلي «يستعيد أحداثا وقعت من ضمن زمن الحكاية، أي بعد بدايتها «إذ يعود المؤلف إلى الأحداث والوقائع، إما لسد ثغرات سردية فيها، أو لتسليط ضوء على شخصية من الشخصيات أو للتذكير بحدث من الأحداث، وقد يتضمن الاسترجاع الداخلي، ما ليس له صلة وثيقة بأحداث الحكاية، أي غير المنتمي إليها وما له صله وثيقة بها، أي المنتمي إليها، سعيا منه في الحالين لتحقيق غاية فنية في بنية الحكاية»[٣٢]

والجزء الداخلي من الاسترجاعات الداخلية في يخضع للتحليل السردي بكيفية مختلفة[٣٣].

ومما ورد من استرجاعات داخلية سورة البقرة هو من ضمن مسار القصة الواحدة..

جاء ذلك في قوله تعالى ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ﴾[سورة البقرة: ٨٤].

المقصود بهذه الآية هو الميثاق جاء نفسه في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[سورة البقرة: ٤٠].

(٣١) ينظر: الأمثل: ج١ -٣٣٣.

(٣٢) البنية الزمنية في الرواية: ١١٢.

(٣٣) ينظر: خطاب الحكاية: ٦١.

وفي ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٦٣].

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

وعلى هذا يتضح بهذا الاسترجاع سيرة بني إسرائيل الغائبة عنا فإن الله عز وجل أخبرنا بها وهذا الالتزام الحياتي يكشف عن حياتهم الدينية، والاجتماعية، ولهذا تقدم ذكر بني إسرائيل، وتلك الآيات السابقة لم تتعرض إلى تفاصيل هذا الميثاق على النحو المذكور كما فصلته الآيتان ٨٣، ٨٤. جاءت هذه الآية تذكرهم وقت أخذ العهد منهم والميثاق.

وهو عهدهم المؤكد (لاَ تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) إخبار بمعنى النهي، وهو ابلغ من التصريح لما فيه من إيهام المنهي سارع إلى الانتهاء فهو يخبر عنه[٣٤].

(٣٤) كنز الدقائق: ج٢، ٦٤.

فجاءت هذه الآية استذكارا لهم على عهدهم وموافقتهم للميثاق الذي أخذوه على أنفسهم.

وهنا توضيح لجانب آخر من جوانب سيرة بني إسرائيل، وإن تكرار ذكر الميثاق الذي أخذه بنو إسرائيل على أنفسهم ما هو إلا ليذكرهم بعبادة الواحد الأحد وكيف أنهم عاهدوا الله عز وجل على الإيفاء بهذه العهود والمواثيق، ثم أنهم خالفوا الله عز وجل في ما أخذوه على أنفسهم وهذا نابع من أنهم معتادون على مخالفة حدود الله وأوامره. وهذه هي سيرة بني إسرائيل التي تكرر مع ذكرهم، ذكر العهود والمواثيق ليخبرنا الله عز وجل بأعمالهم وفعالهم.

المبحث الثاني:
زمن الاستشراف السِّيريّ

إذا كانت مهمة الاسترجاع تكمن في تزويد القارئ بمعلومات ماضية حول الشخصية أو الحدث، فان الاستباق يظل اقل ترددا من الاسترجاع[٣٥].

(٣٥) ينظر: إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة: احمد حمد النعيمي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ٢٠٠٤، ٣٦.

و» هذا النوع من أنماط السرد يلجا اليه السارد في محاولة لكسر الترتيب الخطي للزمن: فيقدم وقائع على أخرى، أو يشير إلى حدوثها سلفا»[٣٦].

و «يتميز الاستشراف عن الاسترجاع بكونه يستشرف الزمن، ويتطلع لما هو آت»[٣٧].

وهوتقنية زمنية. أما الإسترجاع السيري فيعني الإشارة إلى حوادث ستقع في مستقبل السرد، أو الزمن اللاحق للسرد[٣٨].

يرى (جنيت) أن الحكاية تلجأ إلى الاسترجاع أكثر من لجوئها إلى الاستشراف[٣٩]. لان كاتب الحكاية يصعب عليه توضيح أحداث لم تحدث بعد ذلك أن الشخصية تتحكم بسير الأحداث فيصعب حينئذٍ الاستشراف فيها، لذلك نجده يلجأ إلى الاسترجاع. أن ما يميز الإبداع الروائي هو «مقدرة الروائي على تفكيك السائد، وإعادة تشكيله على وفق رؤىً متقدمة، وحيل فنية سلسة، وليس العبث بالزمن وتكسير تراتيبه سوى حيلة من أهم الحيل الفنية في الرواية»[٤٠].

فيعرض كومضةِ تنبؤ، أو استشراف في سياق الأحداث، ليعود بعدها الكاتب إلى زمنه بحاضرهِ، وماضيهِ، فهو «قفز على فترة ما من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصل اليها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث، والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية»[٤١].

إذا «يتجلى هذا المفهوم في عرض بعض الأحداث قبل زمنها الحقيقي من زمن الحكاية، وفي هذا الإسلوب يتابع السارد تسلسل الأحداث، ثم يتوقف ليقدم نظرةً مستقبليةً ترد فيها أحداث لم يبلغها السرد بعد»[٤٢]. أي النظر إلى المستقبل رؤية الهدف، أو ملامحه قبل الوصول اليه، أو الإشارة إلى الغاية قبل

(٣٦) البنية السردية في الرواية، ١١٦.
(٣٧) بنيه الخطاب الروائي، ١٤٣.
(٣٨) العصفورية قراءه في الزمن الروائي، د. سمير الفيصل، جريدة الأسبوع الأدبي، ع ٧٤١، ١-٦-٢٠٠١.
(٣٩) خطاب الحكاية، ٤٥ وما بعدها.
(٤٠) إيقاع الزمن في الرواية: ٣٦.
(٤١) بنية الشكل الروائي: ١٣٢.
(٤٢) البنية السردية في الرواية: ١٣٤.

وضع اليد عليها[٤٣].

والاستشراف في سورتي البقرة، وآل عمران يتخذ طريقين يشتغل من خلالهما السرد الاستشرافي:

أ. الاستشراف السيري التمهيدي.

ب. الاستشراف السيري الإعلاني.

أ. الاستشراف السيري التمهيدي.

في بداية السيرة قبل أن تبدأ القصة يتحدث فيها -سبحانه وتعالى -عن النبي موسى عليه السلام وبني إسرائيل، نلمح الاستشراف التمهيدي، والاستشراف هنا من اجل التمهيد إلى للأحداث التي ستأتي لاحقا، واهم ما يميزه هو انه يضع القارئ في حيرةإن كان سيكمل الحدث الأولي، أم هو مجرد إشارة لم تكتمل زمنيا في النص[٤٤].

ففي قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾ [سورة البقرة: ٤٠]. نجد أنّ الله عز وجل قد استخدم (ضمير المتكلم) في (نعمتي، عهدي، إياي)، وهي تدل على صيغة الحاضر، والحكاية بضمير المتكلم أحسن ملاءمة للاستشراف من أية حكاية أخرى، يسمح للسارد فيها بالتلميح الى المستقبل[٤٥].

أي إنّ الاستشراف هنا تمهيدي لأن الله عز وجل اراد أن يعلمنا أن هناك سيرة ستقص، ويطلب إلينا الإصغاء، مع أن هذا الاستشراف جاء مؤكداً لما يستتبع كلامه وهو يستشرف السيرة. بوصف الراوي جزءاً من الشخصيات الروائية، فهو محمل بصور ذهنية عن السيرة التي ستدور. من هنا نقول إن الاستشرافات الزمنية تشكل ملمحاً بارزاً في السورتين.

إذ أن قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ ﴾ جاء تمهيدا لنقض العهد من قبل قوم موسى إذ إننا نجده يكرر ذلك في قوله ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٧].

(٤٣) ينظر/ إيقاع الزمن في الرواية: ٣٨.

(٤٤) ينظر/ حداثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، آمال سعودي، جامعة بوضياف -مسيلة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ١١١.

(٤٥) ينظر/ خطاب الحكاية: ٧٩.

ويتكرر نص الآية في الآيتين (٤٧ و١٢٢) من دون أن يوجد أي تغيير في سياق الآية. وهذا يدل على خطورة الأمر، ولنسَمِّيهِ (خيانة العهد)، وما للعهود والمواثيق من أهمية في حياتنا. وان عدم الإيفاء بها يحدث من عدم التوازن في الحياة، والاضطراب لانعدام الصدق في التعامل مع الآخرين، وهذا ما أراده الله عز وجل من إيصاله إلينا من خلال ذكره لقضية العهد في بدء سرده لسيرة قوم موسى، وما كانت لهذه اللفظة (العهد) من أهمية في اعتمادها أحداث السيرة. إذ نلاحظ أن السرد هنا قد» حقق غايته في التمهيد لكشف المخبوء واستطلاع الآتي»[٤٦].

وهذا النوع من التشويق، أو التحفيز سببه عدم وفائهم بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم. ويترتب على الاستشراف الممهد للسيرة التي ستبدأ كاستشراف زمني للأحداث إذ يبين السبب من ذكر الوفاء بالعهد أول السيرة بقوله ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ﴾[سورة البقرة: ٦٤]. وان أحداث السيرة تبدأ من خلال هذا السياق.

وهناك مثال آخر نسوقه للتأكيد على الاستشراف، يظهر فيه استباق زمني للحدث، قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[سورة آل عمران: ٣٣].

نجد هنا استشرافاً تمهيدياً، وذلك بجعل مريم عليها السلام من الذين اصطفاهم ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٤٢]. ودليل ذلك ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران: ٣٤].

وللاصطفاء هنا معانٍ عدة.

أولا: اصطفاها من ذرية الأنبياء وطهرها من السفاح.

والثاني: اصطفاها لولادة عيسى عليه السلام من غير فحل.

وفي ظهور الملائكة لمريم قولان:

احدهما: إن ذلك معجزةً للنبي صلى الله عليه وآله، لان مريم لم تكن نبيةً، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ

(٤٦) بنية الشكل الروائي: ١٣٤.

﴿أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سور النحل: ٤٣].

والثاني: أن يكون ذلك برهاناً لنبوة عيسى(عليه السلام)»(٤٧).

حيث أن السرد هنااستعمل الاستشراف ممهداً للقارئ أن (مريم) من بين الذين اصطفاهم الله اليه وطهرهم، ورفعهم على العالمين، وذلك نجده واضحا عند ذكره كلمة (آل) عندما ذكر الأنبياء(عليهم السلام)، وبعدها قال ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، هو ممهد لجعل مريم(عليها السلام) من بين الذين اصطفاهم الله عز وجل اليه مع علمنا بأنه لا توجد نبيةٌ. ولولا هذا الاستشراف لما عرفنا صلتها بالأنبياء. إن هذا يؤسس للبناء المتكامل لسيرة مريم(عليها السلام) نسبها وعائلتها إذ إنّ سرد سيرة شخص يقتضي أن تكون متكاملة ومن ذلك ذكر نسبها كونها من الذين طهرهم الله، ورفعهم. وإنما قد يُعدُّ ذلك تكليفا لها كونها والدة عيسى(عليه السلام) الذي جاء مصدقا لما في التوراة، وليسير بقومه على سنن الله عز وجل.

ب. الاستشراف السيري الإعلاني.

«ينبهنا (جيرار جنيت) إلى عدم الخلط بين الاستشراف كتمهيد للحدث، والاستشراف كإعلان عن الحدث، فالأول يعلن صراحة عما سيأتي، بينما الثاني يعطي تصورا غير دالٍ ويصبح ذا معنى في وقت لاحق»(٤٨).

ومن جهة أخرى إن دور الإعلان خلق حالة انتظار في ذهن القارئ، الذي قد يحسم بسرعة حالة الإعلانات ذات المدى القصير(٤٩).

ويمثل الاستشراف إعلاناً في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

جاء هذا الاستشراف كإعلان مسبق

(٤٧)التبيان: ج٢ -٤٥٦.

(٤٨)بنية الشكل الروائي ١٣٦ . وينظر: خطاب الحكاية ٨٠ -٨٣.

(٤٩)ينظر: م. ن: ١٣٦.

عن حادثة لم تحدث بعد، وهي أن العداوة والبغضاء بين البشر تؤدي حتماً إلى إراقة الدماء، بينهم يدفعها العداوة بقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[سورة البقرة: ٣٦].

وهذا استشراف من الملائكة في قوله: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ مبنيا على حدث سابق عندما سكن الأرض بنو الجان قبل الإنسان فأفسدوها بتحاسدهم، وتباغضهم وأدى ذلك إلى سفك الدماء.

وهنا قد أعلن مسبقا عن نتيجة العداوة، والبغضاء، وهي الإفساد، وسفك الدماء. وكان هذا استشرافاً إعلانياً قصير المدى إذ لم يتجاوز ستة آيات في السورة.

الاستشراف الثاني ظهر بإمتدادات بعيدة، بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠].

إذ أن الله عز وجل قد نبه على أن من يرغب عن ملة إبراهيم ودينه إلاَّ مَنْ سفه نفسه وأذلها واستخف بها. وهو إنكار، واستبعاد. أي لا يرغب عن دينه وملته، ونراه قد دخل في محاججة مع إبراهيم عليه السلام وذلك في الآية (٢٥٨) من سورة البقرة، بقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[سورة البقرة: ٢٥٨].

فجاء هذا الاستباق غير متوقع في ذهن القارئ إذ أن الله عز وجل جاء بإشارات توحي بماهية عدم الرغبة في دين إبراهيم، وكيف أنه قد دخل في مجادلة ومحاججة مع من لا يريد الخضوع لربوبية الله عز وجل، وهذا ديدن الذين كفروا في معارضتهم الحق وهذا نابع من أنفسهم المريضة الممتلئة بالشرك لذا نجدهم يتمادون في طغيانهم، وكبرهم عند سماعهم القول الحق، وهذه هي سيرتهم، وأفعالهم التي اعتادوا عليها، وهم يحاولون أن يضللوا الحق بكفرهم وطغيانهم وهذا بعيدٌ عنهم لأنهم لا يستطيعون أن يطفؤا نور الله عز وجل

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[سورة التوبة: ٣١].

والغاية من هذا الاستشراف هو البقاء على اتصال بأحداث السيرة التي يسردها البارئ عز وجل، ولاسيما أنّه بات بعيدا عن الاستشراف الأول، وهذا يمثل تشويقا وتحفيزا للقارئ لمتابعة، ومعرفة الأحداث. وكان هذا استشرافا إعلانيا بعيد المدى إذ إنه امتد إلى ما يقارب (١٢٨) آية.

المبحث الثالث:
الزمن النفسي السيري

يعيش الإنسان زمنه الاجتماعي متواصلا بالآخرين، وينصهر معهم في الحياة بما لديه من تصورات ومفاهيم للأفعال أو السلوكيات، ويتواصل مع الآخر ويشاركه بما يملكه من خبرات، ومعارف مسبقة تملي عليه في كثير من الأحيان أنماطاً شبه جاهزة للفعل، واللغة، وعلى هذا الأساس نود الإشارة إلى الزمن الذاتي الذي يلعب دورا في عملية الفهم والوعي والإدراك الخاصة بفن الكتابة من دون التطرق إلى الجانب العلمي لفهم السلوك، وعمليات الجهاز العصبي، والدوافع العضوية وما لها من الأثر على الذات والنفس[٥٠].

إذ يرتبط إدراكنا بالزمن بعوامل عدة تكون هذه العوامل عادة غير مرتبطة بالفكرة المجردة للزمن نفسه، وان إحساسنا بالزمن مصدره منبه في الجهاز العصبي يترك وراءه نشاطا كامنا يضمحل تدريجيا، حينها نشعر في كل لحظة أن عمليات الدماغ تتداخل فيما بينها، وكمية التداخل هذه تكون بالتالي إحساسا بالمدة الزمنية[٥١].

ويعني ذلك المدى الزمني المترسب في الذات، والذي يتلخص في جانب الوعي وجانب اللاوعي، وهذه الدوافع تتحكم بزمن الفهم حيث تملي عليه قراءات مقصودة في ذاتها تارة، وغير مقصودة في ذاتها تارة أخرى، وقد تمثل إحدى بؤر الزمن المتجسدة في الذاكرة، أو في الخيال، أو في مواطن النفس المتعددة. وإن الزمن

(٥٠) ينظر: البنية الزمنية في الرواية: ٢٤ -٢٥.
(٥١) ينظر: الزمان وابعاده: ٣٢ -٣٣.

النفسي يقدر فيه الزمن بالقيم الفردية الخاصة من دون الموازين الموضوعية[٥٢]. فالوقت النفسي يتغير كثيراً بتغير الظروف. ويسير بخطى مختلفة تبعاً لاختلاف الأشخاص، وفي مناسبات مختلفة لدى الشخص الواحد لان الفرد يحمل المكان والزمان معه كطرق إدراكه الحسي[٥٣].

«يجسد زمن الخطاب بمستوياته، وتجلياته التشكيل الزمني للنص، ويكشف عن الرؤيا، فتبرز الكيفية التي بنى السارد زمن النص من خلال زمن الراوي، وتتجلى الرؤية. والدلالة من خلال الزمن النفسي للشخصية»[٥٤].

والزمن النفسي هو الإحساس الذاتي. والشعور بمرور الزمن من عدمه، وهو متعلق بالإنسان نفسه من داخل الشخصية على لسانها، أو من خارج الشخصيات على لسان السارد (الخطاب) وظهر واضحا في اسلوبين:

١. على لسان شخصيات القصة فيتحدثون عن زمنهم النفسي الذي لاشك في انه ينفصل عن الزمن الواقعي الخارجي.

٢. الخطاب السردي هو المتحدث عن زمن الشخوص النفسي لان المتحدث هو الله عز وجل الذي يعلم السر وما يخفى فيعلم زمن الأشخاص النفسي وتقلبهم فيه.

١. الزمن السيري النفسي على لسان شخصيات.

وهو زمن "لا تحكمه معايير محدده سوى تحرك الشخصية عبر أبعاد زمنها الخاص، باستعمال تقنيات تيار الوعي، والمنولوج، والتداعي النفسي"[٥٥] ونستطيع أن نبين الزمن النفسي في السيرة من خلال إحساس الشخصيات. وذلك في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [سورة البقرة: ٨٠].

القصد هنا إن نار الآخرة لن تمسهم إلا (اياماً) معدودة قليلة محصورة في سبعة أيام فإنهم كانوا يعتقدون أن أيام الدنيا سبعة

(٥٢) ينظر: الزمن في الرواية: ١٣٧.
(٥٣) ينظر: الزمن والرواية: ١٣٨.
(٥٤) ينظر: الزمن في الرواية العربية: ٥٨ -٥٩..
(٥٥) الزمن في الرواية العربية: ٥٩.

آلاف سنة فيعذبون مكان كل ألف سنة، يوماً، أو يراد من أيام معدودة: أربعون يوماً، مقدار عبادة آبائهم العجل[٥٦].

فالزمن النفسي هنا هو تقصير مدة العذاب إلى أيام معدودة، وذلك من نسج خيالهم لتستقر نفوسهم ويعم الهدوء حول معاصيهم، وعذابهم في الآخرة. وان ذكرهم لاياماً معدودة. هو لإيهام أنفسهم أنهم أمام مدة قصيرة من العذاب إنما يقضونها وينتقلون إلى جنة الخلد. وان هذا التحول ما بين النار، والجنة هو الذي جعل اليهود يقللون المدة التي يقضونها في النار، وذلك نابع من إحساسهم القوي بالألم والسرور معاً؛ حدَّ من الألم لكونهم في العذاب، والسرور لأنهم سينتقلون بعدها إلى نعيم دائم لاانقطاع له.

وكذلك في قولة تعالى ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

لكن (اليوم) هنا قد اخذ منحاً آخر على الرغم من انه مدة قصيرة مقارنة بالأشهر والسنين، ويعود السبب في ذلك الى ما شاهدوه منهم من الكثرة والقوة وكانوا مائة ألف مقاتل شاكي السلاح[٥٧].

فأصبح (اليوم) هنا طويلاً وثقيلاً عليهم لقلة عددهم في مواجهة جنود جالوت العمالقة لكثرتهم وقوتهم ولاسيما وهم ثلة خرجوا من اختبار صعب جداً وهم منهكوا القوى لأنه باختصار الساعات لا تحدد لنا أوقات يومنا من دون أن يُحَسَّ بالزمن فالإحساس بالزمن هو الذي ينبع من اليوم الذي نعيشه، طويلاً أم قصيراً[٥٨]. مثال على سير الزمن النفسي على لسان الشخصيات قوله تعالى ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٩].

فلم تكن إجابة النبي عزير عليه السلام كاذبة لأنه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غياب الشمس فقال قبل النظر إلى الشمس: لبثت يوماً، ثم التفت فرأى بقية

(٥٦) مقتنيات الدرر: ج١، ٢١٢.

(٥٧) ينظر: تفسير الطبري: ج٤ -٤٩٠ -٤٩١.
وينظر: مقتنيات الدرر: ج٢ -٩٩.

(٥٨) ينظر: الزمن والرواية: ١٤١.

الشمس فقال أو بعض يوم[٥٩].

ومن هذا المنطلق تأخذ سيرة النبي عزيرعليه السلام شكلاً من أشكال حضوره العجائبي للزمن. إذ إن الزمن (السَّير غَيْري) هنا يدخل حيز العجائبية في تكسيره ترتيب الزمن الاعتيادي، ويتنازع هنا نوعان من الزمن؛ زمن الواقع السير غيري العجائبي، والزمن النفسي السير غيري للشخصية.

الزمن الأول الفيزيائي: وهو زمن واقعي بحسب النظام التكويني الأرضي ويُحدد هذا الزمن بوصفه مستمراً، وخطياً، وقابلاً للتقسيم، والتقطيع، وان هذا الزمن للإنسان هو المدة المتغيرة التي يقيسها كل فرد بحسب أحاسيسه، وانفعالاته، وإيقاع حياته الداخلية[٦٠] ليار.

أما الزمن الثاني: فهو زمن أخروي لا يعلم نظامه إلا الله عز وجل، وبحسب معطيات الآية لا يوجد سوى زمنٍ واحدٍ (الفيزيائي)، ولكن لم يتغير الطعام ولم يتغير المكان. وعندما نظر إلى طعامه رآه كما هو لم تغيره السنون أما حماره فقد أصبح عظاما نخره وبدأ يتساءل كيف مرت السنون. مرت وكأنها يومٌ أو بعضُ يوم وهذا تبعاً لحالته النفسية التي كانت مستعدة كامل الاستعداد لهذا الاختبار الصعب.

إذ إن الإنسان عندما تكون حالته النفسية مستقرة لا يحس بالوقت عندما يمر فتزيل الساعات حضوره، ويكون للدقائق إجازة وللثواني حاجز صمت فيمر الوقت كسهم يسابق الريح. هكذا أحس النبي عزيرعليه السلام إذ إن المائة سنة مرت وكانها بعض دقائق أو ساعات قليلة. إذ يستغرق وقتاً للرجوع في الزمن ليمتلئ ذهنه بذكرياته. وكأنها تمدد الزمن الذي قضاه عندما اماته الله.

فهو يذكر الكثير مما أثار اهتمامه لأن هناك الكثير مما يهمه ليذكره. وهذا هو مقياس نجاح الشخصية لتأدية الدور الالهي الذي فرض عليها ان هناك جانباً من المسؤولية لتحقيق غرضه بمراوحة

(٥٩) ينظر: تفسير الطبري: ج٤ -٥٩٦. وينظر: جوامع الجامع: ج١ -١٤.

(٦٠) ينظر/ قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧.

سرعة الحركة، فيبقى القارئ في حالة ترقب متوتر[٦١].

«فالزمن النفسي يكشف دلالته، وتجلياته من خلال الرؤى المختلفة للشخصيات تجاه الزمن»[٦٢].

وهكذا يكون الزمن السيري النفسي عن طريق الخطاب السردي، هو المتحدث عن زمن الشخوص النفسي لان المتحدث هو الله عز وجل الذي يعلم السر وما يخفى.

إن هذا النوع من الزمن النفسي «يرتبط بالنظرية النسبية إذإنه بحسب النظرية النسبية، فان الزمن يكتسب معانى مختلفة في النظم المختلفة، ويختلف بقدر ما هناك من نفوس تدرك الأشياء في الزمن»[٦٣]. وانه يشعرنا بمدى قوة الأثر النفسي الذي تركه مرور الوقت في الشخوص الذين وصفهم الراوي[٦٤].

(٦١) ينظر: الزمن والرواية: ١٤٢.
(٦٢) الزمن في الرواية العربية: ٦٠.
(٦٣) الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، تر اسعد رزوق، القاهرة مؤسسة سجل العرب، ١٩٧٢، ١٦، نقلا عن إيقاع الزمن في الرواية العربية، ٢٦.
(٦٤) ينظر: بنية النص الروائي: ٩٩.

ونستطيع أن نبين ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٥١].

في هذه الآية الكريمة استكمال لشكل من أشكال سيرة بني إسرائيل في الكفر إذ يظهر الزمن بوضوح حائلاً أمام التزامهم بوعودهم فإن الله عز وجل يقص علينا سيرتهم بكل أشكالها، أو جوانبها الظاهرية، والنفسية لأنه الراوي العليم المطلع كلياً على كل شيء. «إذ واعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة، وضربنا له ميقاتنا ذا القعدة وعشر ذي الحجة، وقيل أربعين ليلة لان الشهور عددها بالليالي. ومن قرأ واعدنا فلان الله تعالى وعده الوحي ووعده هو المجيء إلى الميقات إلى الطور ثم اتخذتم العجل من بعده، أي من بعد مضيه إلى الطور، وانتم ظالمون باتخاذكم العجل إلها»[٦٥].

إذ إن المدة التي ترك فيها موسى قومه هي أربعون ليلة أثرت في نفوسهم

(٦٥) ينظر: تفسير الطبري: ج١ -٦٦٣، وينظر: جوامع الجامع: ج١ -٤٥.

من بالشك حيث إنهم لم يكونوا موقنين، ومؤمنين، بل كانوا على شك مما يقوله موسى عليه السلام. ولو لم تكن حالتهم النفسية غير مطمئنة لم يتركوا عبادة الله عز وجل وآثروا عليها عبادة العجل إذإنهم وجدوا فيه ما يرضي رغباتهم النفسية غير المستقرة.

فاحتال عليهم السامري، وزين لهم عبادة العجل، لأنه كان من قوم يعبدون البقر فأجابوه إلى ذلك فطلب منهم حليا ذهبا ليسبكه، ويعمله لهم إلهاً، وكان السامري صائغا فجمعوا له ذلك من الغنيمة التي اغتنموها من عسكر فرعون وأصحابه، لما أهلكهم الله في البحر، واحتال بإدخال الريح، فسُمِع له خوار، كصوت البقر.

وقيل أن السامري أخذ من تراب حافر فرس جبرائيل عليه السلام، يوم عبر موسى عليه السلام ببني إسرائيل. فألقى ذلك التراب في فم العجل المصوغ، فحيي، وكان السامري قد سمع من موسى عليه السلام أن جبرائيل إذا وطئ فرسه موضعاً من الأرض اخضر في الحال[٦٦].

فلو لم يكن لقوم موسى استعداد نفسي للتصديق بأي قول لما أثر فيهم السامري، وأقنعهم بأن المدة التي غاب فيها موسى عليه السلام هي طويلة وانه لن يأتي بالتوراة أبداً ثم إن إلهه لا يرى، وإلهي يرى، ويُسمع له صوت. لذا فقد باتت لهم المدة (الأربعون ليلة) طويلة جداً.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٨].

لقد بين الله عز وجل لنا في حديثه عن بني إسرائيل ما يحيط بالبشر يوم القيامة وانتقاءه لفظة(اتقاء)ما يكون فيه من الشدائد والأهوال، وإلا فاليوم نفسه لا يتقى. كيف ولابد أن يَرِدَهُ أهل الجنة والنار جميعاً[٦٧].

فاللهُ عز وجل يهيؤنا نفسياً لهذا اليوم الطويل الذي وصفه عز وجل، في سورة المعارج بقوله: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ [سورة المعارج: ٤].

(٦٦) ينظر: الطبري: ١ -٦٦٩، ونهج البيان: ج١ -١٣٩.

(٦٧) ينظر: م. ن: ج١ -٦٣٧، و نهج البيان: ج١-١٣٤.

وموضوع الآية هنا هو يوم الحساب، فطول هذا اليوم مقارناً بالزمن الأرضي هو خمسون ألف سنة، فالمدة التي يقضيها المؤمن والكافر في هذا اليوم العصيب هي المدة نفسها، ولكن الإحساس بها مختلف، من حيث تقدير طولها، وقصرها إذ يختلف ذلك إختلافاً شديداً. فالمؤمن يراه قصيراً، أما الكافر فيكون عليه شديداً ثقيلاً فهو يستطيل ذلك اليوم لشدته وهوله.

لذا قال لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ أي إن كل منا ماله سوى نفسه وكيف تتخلص من هول هذا اليوم ليكون من المؤمنين. وإمعاناً في الدلالة على هذا اليوم على الكافر في هذا التعبير على شدته استعمل القران الكريم لفظ (الثقل) مع أنّه من الطبيعي أن يقال زمن طويل أو قصير لا ثقيل أو خفيف. وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[سورة الإنسان: ٢٧].

والسبب في نزول هذه الآية أن اليهود زعموا أنّ لآبائهم شفاعة فيهم يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[سورة الأنبياء: ٢٨]. ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾[سورة الأنبياء: ٤٧]. وقدتكرر قوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[سورة البقرة: ١٢٣].

وان التكرير هنا تأكيدٌ للتذكير، ومبالغة في النصح، وإقامة الحجة «وقيل في سبب تكريرها ثلاثة أقوال:

الأول: إنها نعم الله سبحانه لما كانت أصول كل نعمة، كرر التذكير بها، مبالغة في استدعائهم إلى ما لزمهم من شكرها، ليقبلوا على طاعة ربهم الظاهر عليهم.

الثاني: إن الأبعاد بين الكلامين، حسن التنبيه، والتذكير، إبلاغاً في الحجة، وتأكيده لتذكره.

الثالث: «انه لما ذكر التوراة، وفيها الدلالة على شان عيسى عليه السلام، ومحمد ﷺ في النبوة، والبشارة بهما ذَكّرَهُم بنعمته عليهم بذلك وما فضلهم به»[٦٨].

(٦٨) كنز الدقائق: ٢ -١٢٣.

وهناك مثال آخر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ مقصد الآية هنا هو إن الله عز وجل عندما بشر زكريا بيحيى استنكر زكريا أن يكون له ولد بقوله ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[سورة آل عمران: ٤٠].

أجاب الله عز وجل طلب زكريا عليه السلام، وعين له علامة، وهي أنّ لسانه كف عن الكلام مدة ثلاثة أيام، بغير أي نقص طبيعي، فلم يكن قادرا على المحادثة الاعتيادية.

في حين كان لسانه ينطلق إذا ما شرع يسبح لله ويذكره. وهذه الحالة العجيبة كانت علامة على قدرة الله عز وجل على كل شيء. فالله عز وجل القادر على فك لجام اللسان عند المباشرة بذكره، قادر على أن يفك عقم رحم امرأة فيخرج منه ولداً مؤمناً. وهكذا تتضح العلاقة بين العلامة وما كان يريده زكريا عليه السلام"[٦٩].

فهاجس زكريا النفسي هو الذي جعله يطلب من الله العلامة، وكيف لا وهو قد بلغ به الكبر، وامرأته عاقر، وأنى يكون للعاقر ولد. فعلى الرغم من كبر زوجها فهي لا تمتلك القدرة على الإنجاب أبداً الا بمعجزة، وها هي المعجزة تتحقق. فبعد مضي العمر وهو آيس من أن يكون له ولد لم يتحمل زكريا عليه السلام إلى حين ظهور الحمل على زوجته وأراد من الله عز وجل علامة على ذلك. فكانت العلامة أن لا يكلم الناس ثلاثةَ أيامٍ متتالية. لكنها كانت طويلة بالمقارنة بالعددٍ ثلاثة في مقابل عمره الذي ظل ينتظر فيه الولد. وكان علاج هاجس زكريا النفسي حتى تنقضي الأيام الثلاثة هو ذكر الله عز وجل، والتضرع اليه. وكان عرض الحالة النفسية مهماً لتكتمل سيرة النبي زكرياً وكيفية، ولادة النبي يحيى، وكيفية علاج القران الكريم لأدق القضايا السيرية وحتى النفسية منها.

المبحث الرابع:
الزمن التتابعي السيري

يقصد بالتتابع هو «تراتب المواقف والوقائع وفقاً لحدوثها»[٧٠]. والزمن

(٦٩) الأمثل: ج٢ - ٣٦٠.

(٧٠) المصطلح السردي: ٤٤.

التتابعي معناه تتالي الأحداث التاريخية في الزمن وإنّ المفارقة الزمنية ليست ابتكاراً حديثاً لأنها على العكس من ذلك، احد الموارد التقليدية للسرد الأدبي. إذ إن الدراسات أثبتت أنّ شكل الزمن التتابعي في النص قادر على تجسيد رؤية الكاتب ومنظوره الفكري تجاه العصر الذي يعيش فيه مهما كانت حداثة العصر[٧١].

و»تعد افتتاحية البناء التتابعي في النص الروائي التقليدي أكثر السمات بروزاً، حيث يقوم المؤلف بتشكيل الإطار الزماني، والمكاني للشخصية الروائية لتمهيد سيلان الوقائع في الزمن، إذ يخضع بناء الحدث الروائي لمنطلق السببية، فالسابق يكون سبباً في اللاحق»[٧٢].

إذ «إنّ الأصل في بناء أي زمن سردي ينهض امتداده على الطولية المألوفة إذ ينطلق من الماضي إلى الحاضر ثم من الحاضر إلى المستقبل»[٧٣].

وان الذات هي صورة الزمن بمعنى من المعاني وبما أَنّ الزمن لا يجري داخل الذات وحدها الا انه في الأحوال كلها لا يتركها و شانها، وإنما يفعل فيها ما يتعين فعله وما لا يتعين. بقدر ما يفرضه الزمن التتابعي بدقته، وصرامة نفسه على الذات، نفسها تعيد تشكيل هذا على شكل زمن نفسي لتستعيده بحرية، وفردية[٧٤].

وهذا الزمن بعيد عن زمن القص ولكنه زمن تمر فيه أحداث القصة بتتابع منطقي تقليدي من دون تخلخل من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل. وقد وجد له قدم في السرد القرآني ليخدم السيرة الغيرية بسلاسة في انسيابية متتابعة. ونلاحظ ذلك في قصة النبي موسى عليه السلام والنبي إبراهيم عليه السلام.

ويظهر هذا جلياً من خلال تتبع السيرتين في السورتين من دون أن يكون فيها خلل من حيث تسلسل الزمن.

مع علمنا أن القران قد جاء بسرد قصص أخرى وسير أنبياء وعباد صالحين غير هاتين السيرتين، لكننا وجدنا إنّ التتابع السيري للأحداث في هاتين القصتين قد شكل معلماً بارزاً في سورتي

(٧١) الزمن في الرواية العربية: ٦٦.
(٧٢) م. ن: ٦٥.
(٧٣) في نظرية الرواية: ١٩٠..
(٧٤) ينظر/ إيقاع الزمن في الرواية العربية: ٩٣.

البقرة وال عمران إذإنه في كل مرة يذكر فيها سيرة نبي الله موسى عليه السلام تكون تابعة ومتسلسلة عن المرة السابقة لذكرها.

«وإن ما يبرز بناء الزمن بشكل تتابعي. تسلسل الأحداث، وتتابعها في النص شكلت نسقاً زمنياً صاعداً باتجاه خطي إلى النهاية»(٧٥).

ففي قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [سورة البقرة: ٤٠]. تبدأ سيرة بني إسرائيل. وقد افتتح الحديث عنهم بالوفاء بالعهد، وعدم إنكارهم للعهود التي أخذوها على أنفسهم، والإيمان بالله عز وجل. ثم يوصيهم بالإيمان بالكتب السماوية، والتصديق بها وينهاهم عن الكفر بما أنزل على أنبيائه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾ [سورة البقرة: ٤١].

وبعد ذلك يأمرهم بعدم الخلط بين الحق، والباطل وأن لا يكتموا الحق، ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٢].

ويوصيهم بالصبر، والصلاة ثم يذكرهم بنعمة الله عز وجل عليهم مرة أخرى، ويوصيهم باتقاء يوم القيامة، وعذابه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٧ -٤٨].

وبعد ذلك ينتقل مباشرة ليذكرهم بحياتهم الأولى أي قبل مجيء النبي موسى عليه السلام، ومعاملة آل فرعون لهم وكيف أنهم كانوا يعيشون في عذاب دائم فأنقذهم الله عز وجل برحمته، ونجاهم من قوم فرعون.

﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٤٩ -٥٠].

(٧٥) الزمن في الرواية العربية: ٦٦.

هنا نجد تتابعاً في أحداث السيرة، وكيف إن قوم موسى كانوا يعانون من العذاب فأنزل الله عز وجل عليهم السكينة، والرحمة بمجيء النبي موسى عليه السلام. وبعد ذلك يخبرنا الله عز وجل كيف أنهم قد عصوه ولم يذكروا نعمته. فبمجرد غياب موسى عنهم وذهابه إلى جبل الطور لإحضار التوراة كما أمره الله عز وجل، انصرفوا إلى عبادة العجل.

ويظهر ذلك جلياً في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة البقرة: ٥٠ -٥٤].

وبعدها يذكر عناد بني إسرائيل بعدما زين لهم الشيطان العجل الذي اتخذوه إلهاً طلبوا من موسى عليه السلام رؤية الله عز وجل، وقالوا إنهم لا يرجعون إلى طريق الرشاد إلاّ برؤيته وجعلوا ذلك شرطاً لعودتهم إلى الايمان.

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٥٥].

«فانزل الله عليهم صاعقة على الجبل وصحبها برق شديد ورعد مهيب وزلزال مروع، فتركهم على الأرض صرعى من شدة الخوف»(٧٦). ثم بعثكم الله مرة أخرى و «البعث إثارة الشيء من محله فيقال بعث فلان عبده لهذا العمل بمعنى إثارة عما كان عليه من حالة الهدف لم يكن منبعثاً من قبل هذا البعث وبعثه الله من مرقده أثاره من موضع رقوده نوماً كان أو موتاً والآية تصرح بأن الله أماتهم بالصاعقة التي أخذتهم ثم بعثهم أحياء من بعد إماتتهم بعثاً في هذه الحالة لعلهم يشكرون الله بالعمل الصالح فيما تبقى لهم من عمر يعيشونه»(٧٧).

(٧٦) الأمثل: ج١ -٢٠٠.
(٧٧) المنير: ج١ -٧٩.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[سورة البقرة: ٥٦].

فضلا عن نعمة البعث من بعد موتهم فقد انعم الله عز وجل عليهم بنعمٍ أخرى وهي كما ذكرتها الآيات الكريمات:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٥٧ - ٦١].

إذ نجد هنا أنّ الله عز وجل يذكرهم بهذه النعم وكيف انه ظللهم بالغمام، وأنزل المن والسلوى... الى آخر من النعم التي ذكرتها الآيات السابقة. إذ نجد إن سيرة بني إسرائيل قد اكتملت من جميع جوانبها الزمنية من خلال التتابع في ذكر أخبارهم وأحوالهم الحياتية وكيف أنعم الله عليهم بهذه النعم التي وجب عليهم أن يشكروه ويحمدوه عليها.

ونلاحظ أنّ الانتقال بين الأحداث ذو تسلسل، وتتابع واحد من دون إنقطاع في ترتيب الأحداث بل هناك استمرار في سردها.

ومثال آخر نسوقه على هذا التتابع الزمني في سرد الأحداث السيرية الآ وهو: سيرة إبراهيم عليه السلام.

يبدأ الله عز وجل في ذكر سيرة

إبراهيم عليه السلام بتكليف، وامتحان من الله عز وجل، لإبراهيم عليه السلام وبعد نجاح إبراهيم عليه السلام بهذا الامتحان جاءت المكافأة وهي (جَعلُهُ للناس إماما) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

ثم ينتقل إلى امتحان آخر، وهو إعادة بناء البيت الحرام بعد الطوفان الذي حدث في عهد نوح عليه السلام:

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة البقرة: ١٢٥].

وبعد ذلك تتم بقية السيرة، وكيف رفع إبراهيم قواعد البيت. من دون انقطاع في ترتيب الأحداث إبتداءاً من وقت التكليف بإعادة بناء البيت الحرام. ثم بدأ بمناقشة الصعوبات التي تعرض لها إبراهيم عليه السلام كما تعرض لها بقية الأنبياءمن خلال معارضة الكافرين له. ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة البقرة ١٢٤ -١٢٧].

ففي هذه الآيات الكريمات عَرْضٌ لتفاصيل حياة النبي إبراهيم عليه السلام بعد أن بدأ ببناء البيت الحرام، ورفع قواعده مع ولده إسماعيل عليه السلام، إذ كانا يبنيان البيت، ولسانهما يلهج بذكر الله عز وجل، والتضرع اليه لقبول عملهما كما نجدهما يدعوان الله عز وجل لهداية أهل مكة، وتطهيرها من الكفر، والضلال، وأن يبعث اليهم رسولاً منهم، ويعلمهم الكتاب، والحكمة. هنا نجد أن سيرة النبي

إبراهيم وولده قد اكتملت زمنياً. إذ نجده عندما جاء بولده إلى أهل مكة كان رضيعاً، وبعد أن كبر إسماعيل عليه السلام جاء أمر الله عز وجل أن يطهرا البيت، ويرفعان قواعدهُ التي اندثرت في وقت الطوفان، أيام النبي نوح عليه السلام فمن خلال هذا التتابع الزمني فهمنا سيرة إبراهيم الغيرية مع، ولده عليهما السلام إذ إن بناء البيت مرتبط بسيرة هذين النبيين عليهما السلام.

ومن ثم ينتقل الحديث عن النبي إبراهيم عليه السلام من سورة البقرة إلى سورة آل عمران في قوله تعالى ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٩٥]. وان هذا التتابع السردي هوما يميز السيرة الغيرية في هاتين السورتين وفي باقي سور القران الكريم. حيث حرية التنقل بين السورتين في سرد الأحداث السيرية بتتابعٍ متكاملٍ زمنياً. إذإن وجود هذا التتابع الزمني لم يقلل من أهمية أقسام الزمن الأخرى كالاسترجاع السيري، والإستشراف السيري، والزمن النفسي السيري. وإن تدخل أبعاد الزمن الأخرى لم يقلل من أهمية التتابع في الزمن، إذ لم يعد الزمن قائماً على التتابع، والتسلسل المنطقي، والتعاقب للزمن وإنما تداخلت أبعاد الزمن فيما بينها فشكلت لوحة فسيفسائية متجانسة متوافقة في إيراد الأحداث كما أَن النص لم يركز على الشخوص والأحداث بقدر تركيزه على المتغيرات النفسية التي تحدث داخل الإنسان نتيجة إحساسه القلق بإيقاع الزمن[٧٨].

المصادر

القرآن الكريم

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، بيروت، ط١، د. ت.

٢. إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة: احمد حمد النعيمي، المؤسسة العربية للنشر، بيروت ٢٠٠٤.

٣. بناء الزمن في الرواية المعاصرة رواية تيار الوعي انموذجا (١٩٦٧-١٩٩٤)، د. مراد عبد الرحمن مبروك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

(٧٨) ينظر: نقد الرواية، نبيلة إبراهيم، دار الغريب للطباعة والنشر ٣١: ١٩٩٢.

٤. بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٤.

٥. بنية الخطاب الروائي، دراسة في روايات نجيب الكيلاني، الشريف حبيلة، عالم الكتب الحديث، أربد- الأردن، ط١، ١٩٩٥.

٦. البنية الزمنية في رواية بوح الرجل القادم من الظلام للاستاذ إبراهيم سعدي، عبد القادر بلغربي، رسالة الماجستير كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠٠٥ -٢٠٠٦.

٧. البنيةالسردية في الرواية دراسة في ثلاثية خيري شبلي (الامالي لأبي حسن: ولد خالي)، عبد المنعم زكريا القاضي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ٢٠٠٩.

٨. بنية الشكل الروائي حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت الدار البيضاء، ١٩٩٣.

٩. بنية النص الروائي، إبراهيم خليل، الدارالعربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، المغرب، ط١، ٢٠١٠.

١٠. تفسير الطبري، لابي جعفر محمد بن جرير الطبري، تح د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للطباعة والنشر، ط١، د. ت.

١١. تحليل الخطاب الروائي، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط٤، ٢٠٠٥.

١٢. جمالية العلامة الروائية، الرواية العربية انموذجاً، اطروحة دكتوراه تقدم بها جاسم حميد جودة ٢٠٠٢.

١٣. جماليات البناء الزماني والفضائي في رواية حارسة الضلال لواسيني الأعرج، منصور عمايرة، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، الجزائر ٢٠٠٦ -٢٠٠٧.

١٤. جوامع الجامع، أمين الدين أبوعلي بن الفضل بن الحسن الطبرسي، (م٥٤٩) مؤسسة النشر والطبع طهران، ط٣، ١٤١٢.

١٥. حداثة السرد والبناء في رواية ذاكرة الماء لواسيني الأعرج، آمال سعودي،

جامعة بوضياف -مسيلة، ٢٠٠٧-٢٠٠٨

١٦. خطاب الحكاية بحث في المنهج، جيرارد جنيت، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط٢، ١٩٩٧.

١٧. الرواية والزمن أ. أمندولا، ت: ربكر عباس، بيروت دار صادر، ١٩٩٧.

١٨. الزمن في الأدب، هانز ميرهوف، تر اسعد رزوق، القاهرة مؤسس مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر، سيد علي الحائري الطهراني، طهران، دار الكتب الإسلامية، ١٣٢٧. ة سجل العرب، ١٩٧٢.

١٩. الزمن في الرواية العربية، مها القصراوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤.

٢٠. العصفورية قراءه في الزمن الروائي، د. سمير الفيصل، جريدة الأسبوع الأدبي، ع ٧٤١، ١-٦-٢٠٠١.

٢١. الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا إبراهيم الجنداري، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠١: ١٠٦

٢٢. قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧

٢٣. القصيدة السير ذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب، خليل شكري هياس، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠.

٢٤. كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط١ د. ت.

٢٥. لسان العرب، إبن منظور، دار المعارف، بيروت، ط١، د. ت.

٢٦. مدخل إلى نظرية القصة، تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية بغداد، ١٩٨٦.

٢٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٩.

٢٨. المصطلح السردي، جيرالد برنس، تر عابد خزندار، المجلس الأعلى

للثقافة، ط١، ٢٠٠٣.

٢٩. من وحي القران، محمد حسين فضل الله، بيروت، دار الزهراء للطباعة والنشر، ط ٣، د. ت.

٣٠. الوجيز في تفسير القرآن العزيز، علي بن الحسين بن أبي جامع العاملي، (م١١٣٥) دار القرآن الكريم، قم، ط١، ١٤١٣.

٣١. نقد الرواية، نبيلة إبراهيم، دار الغريب للطباعة والنشر: ١٩٩٢.

٣٢. نهج البيان في كشف معاني القرآن، محمد بن الحسن الشيباني، مؤسسة دائرة المعارف الإسلامية، طهران، ط١، ١٤١٣.



أنبياءٌ احْتَضَنَتْهُمْ أَرْضُ بابِلِ إبراهيمُ خَليلُ الرَّحْمنِ

د. ثامر كاظم الخفاجي
الكلية المفتوحة- بابل

ملخص البحث

في البحث، يثبت السيد الباحث ولادة نبي الله ابراهيم عليه السلام في ارض بابل من خلال الروايات والنصوص التاريخية يوم كان أهل هذا الصقع يعبدون الكواكب والأصنام ويؤلهون ملكهم (النمرود بن كنعان). وقد تناول البحث محاور هي:-

١- الموارد التي ذكر القرآن الكريم فيها ابراهيم عليه السلام.

٢- ما جاء ذكره عن اللغويين والمفسرين.

٣- أخباره عليه السلام وذكر الروايات والنصوص التاريخية حول ولادته وهجرته وأولاده ووفاته.

وذيّل البحث بخاتمة لخص الباحث فيها ميادين البحث. و قد اعتمد مجموعة من المصادر والمراجع من كتب لغة وتاريخ وتفسير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله ربِّ العالمين وصَلّى اللهُ على سيّدنا مُحمَّد وآل بيته الطيبّين الطاهرّين وأصحابه الغرّ الميامين.

تُعد الرموز العربية والإسلامية من التراث الإنساني الذي ما يزال موجودا حتى العصر الحاضر، هذا التراث الضخم الذي آل إلينا من أسلافنا روّاد الثقافة العربية والإسلامية، وتراث كلّ أمّة هو رصيدها الباقي وذخيرتها المعبرة عَمَّا كانت عليه من تقدّم في مجالات الحضارة والثقافة كافّة، وما من تقدّم للأمّة إلاّ بإحياء تراثها وبعثه فإنّه هو الأصل الذي يُرجَع إليه في بناء الحاضر والمستقبل مع إضافات العصر، وتزداد أهمية التراث العربي، لأنّنا نعيش في عصر تتصارع فيه الآراء والأفكار وتقف الأمّة العربية وسط هذا الصراع في حيرة من أمرها ولذلك لم نكن في يوم من الأيام أحوج منّا إلى دراسة تراثنا والتفتيش فيه كحاجتنا إليه اليوم، فإذا كان التراث ماضياً نعتز به ونفخر فهو الآن ضرورة وجود وحياة، واليوم وأنا ابحث عن هذه الرموز التي كانت يوماً ما أن صنعت حضارة العالم العربي والإسلامي.

امتازت مناقب الأنبّياءﷺ -وبالأخص مناقب الأنبياء أولي العزمﷺ-عن سواها بأنها شكلت مادة ثريّة انبرى لها الإعلام واحتشدوا من أجل تدوينها في كتب ضخمة تستوقف المتتبع وغيره، فقد يترصّد لمناقبهم المتتبع ويتلّقفها من صدر الرواة أو يتصيّدها من بطون الكتب من هنا وهناك، وكان هذا الكم الهائل بنفسه الذي تشهد له مجلدات الكتب المخطوطة والمطبوعة، بحيث أصبح بديهياً لا ينكره إلاّ مكابر، وما تحدّث به القران الكريم والرسول الكريمﷺ وأهل بيته الكرامﷺ أو كبير من أكابر الصحابة أو عظيم من عظماء التاريخ أو ما شاكل بحيث تكون المنقبة أو الشهادة متكثرة بتكثّر المفردات ومتعددة بتعدد الوقائع والمواقف.

موارد ابراهيمﷺ في القرآن الكريم:

استعمل اسم إِبْرَاهِيم في تسعة وستين مورداً في القرآن الكريم، وهو أكبر مورد بعد ذكر موسىﷺ الذي ذكره القرآن

العظيم ١٣٦ مرّة، وهذا يدلّ على اهتمام القرآن الكريم بشأنه، لانّ حياته كانت حافلة بالأحداث ومسيرته وقْف لهداية العباد، فيليق بالوحي الإلهي والقرآن الكريم أن يحدّث بها ويهتّم بشأنها، فقد جاء ذكره في ٢٥ سورة هي: [سورة البقرة -سورة آل عمران -سورة النساء -سورة الانعام -سورة التوبة -سورة هود -سورة يوسف -سورة ابراهيم -سورة الحجر -سورة النحل -سورة مريم -سورة الانبياء -سورة الحج -سورة الشعراء -سورة العنكبوت -سورة الصافات -سورة الحديد -سورة ص -سورة الشورى -سورة الزخرف -سورة الذاريات -سورة الممتحنة -سورة النجم -سورة الاعلى]، وعرضت وقائع حياته في ٢٠٠ آية تقريباً مكّيّة ومدنيّة، وقد عرض القرآن الكريم مقتطفات من حياة إبْرَاهِيمعليه السلام في التوحيد واعتزال قومه وصفاته واهتمامه بوالديه واهتمامه بذرّيته وكذلك اهتمامه بضيوفه من الملائكة وذكر بعض ادعيتهعليه السلام وما في دينه من أحكام وسيرته الروحية وتاريخ حياته وغيرها.

إبْرَاهِيمُعليه السلام في اللّغة:

إبراهيم: بلغة توافق السريانية[١].

وقيل: تصغير إبْرَاهِيم: أُبَيْرِه، وذلك لانَّ الألف من الأصل، وانَّ بعدها أربعة أحرف أُصول، والهمزة لا تلحق بنات الأربعة زائدة في أوّلها، وذلك يوجب حذف آخره كما يحذف من سفرجل، فيقال: سُفَيْرج، وكذلك القول في إسماعيل وإسرافيل، وإبْرَاهِيم: أسم أعجمي وفيه لغات: إبراهام، و إبْرَاهِيم وإبراهم، بحذف الياء[٢].

إبْرَاهِيمُ وإسْمَاعِيل وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب وهمز وفيروز وقارون وفرعون، وأشباه هذه الأسماء: فإنّها لم تقع في كلامهم إلا معرفة، ولم تكن من أسمائهم العربية فاستنكروها ولم يجعلوها بمنزلة العربية، كنهشل وشعثم[٣].

قال الجوهري: البرهمة: إدامة النظر، وسكون الطرف، وقال: إبْرَاهِيم، اسم أعجمي، وفيه لغات: إبراهام، وإبراهَم،

(١) ابن عباس: اللغات في القرآن ص١٨.
(٢) الجوهري: اللغة ٥/ ١٨٧١.
(٣) سيبويه: الكتاب ٣/ ٢٣٥.

وإبراهِم، بحذف الياء[٤].

قال الشيخ الصدوق: سمي إبراهيم لأنه هم فبّر، وقد قيل: انه هَمَّ بالآخرة وبرى من الدنيا)[٥].

قال الشيخ الطوسي: في إبْرَاهِيم خمس لغات: إبْرَاهِيم، وإبراهام، وإبراهُم، وإبراهَم، وإبراهِم، بإسقاط الياء وتعاقب الحركات الثلاث عليه[٦].

قال أبو العلاء المعري: إبراهيم: اسم قديم ليس بعربي[٧].

وقال رشيد رضا: كان اسم إبْرَاهِيم (أبرام) بفتح الهمزة، وقالوا: أن معناه أبو العلاء، فهو مركّب من كلمة أب العربية السامية مضافة إلى ما بعدها، وفي سفر التكوين: إنَّ الله تعالى ظهر له في سن التاسعة والتسعين من عمره، وكلمه وجدد عهده له بان يكثر نسله، ويعطيه أرض كنعان (فلسطين) ملكاً أبدياً، وسماه لذريته: إبراهيم بدل أبرام، وقالوا: إنَّ معنى إبْرَاهِيم: أبو الجمهور العظيم، أي أبو الأمّة، وهو بمعنى تبشير الله تعالى إياه بتكثير نسله من إسْمَاعِيل ومن إسْحَاق عليهما السلام، ولا ينافي في ذلك كسر همزته، فقد علم إن أصلها الفتح، وان إب المكسورة في إبْرَاهِيم هي أب المفتوحة في أبرام، فالجزء الأول منه عربي، والثاني كلداني، أو من لغة أخرى من فروع السامية أخوات العربية التي هي أعظمها وأوسعها، حتى جعلها بعض علماء اللغات هي الأصل والأم لسائر تلك الفروع السامية، كالعبرية والسُريانية[٨].

إبْرَاهِيمُ عند المفسرين:

قال القرطبي: تفسير إبراهيم بالسريانية: أبٌّ رحيم، وقال: قراءة العامة (إبْرَاهِيمُ) بالنصب، (ربُّه) بالرفع على ما ذكرناه، وروي عن جابر بن زيد انَّه قرأ على العكس، وزعم أنَّ ابن عباس أقرأه كذلك، والمعنى دعا إبْرَاهِيم ربّه وسأل، وفيه بُعدٌ، لأجل الباء قوله (بكلمات)[٩].

وقال الفخر الرازي: قرأ ابن

(٤) صحاح اللغة ٥/ ١٨٧١.
(٥) علل الشرائع ٣٤.
(٦) التبيان ٢/ ٣١٩، ابن الجوزي: زاد المسير ١/ ١٣٩.
(٧) الجواليقي: المعرب ٦١.
(٨) المنار ٧/ ٥٣٤.
(٩) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٩٦، ٩٧.

عامر(إبراهام) بألف بين الهاء والميم، والباقون (إِبْرَاهِيمُ) وهما لغتان، وقرأ ابن عباس، وأبو حيوة رضي الله عنهما (إِبْرَاهِيمُ رَبَّه) برفع إِبْرَاهِيمُ ونصب ربه، والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء[10].

قال الفيروزآبادي: قد ذكر الله سبحانه وتعالى إبراهيم بالتّعرض والتّصريح في كتابه بخمسين[11] اسماً، منه:-

١. المبتلى، بقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[سورة البقرة: ١٢٤].

٢. المُتِم، بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

٣. الإمام بقوله: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [سورة البقرة: ١٢٤].

٤. المُطهَّر بقوله: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [سورة البقرة: ١٢٥].

٥. الرافع بقوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [سورة البقرة: ١٢٧].

٦. الحنيف والمسلم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [سورة آل عمران: ٦٧].

٧. الصّالح بقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[سورة البقرة: ١٣٠].

٨. المُطمئنّ بقوله: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [سورة البقرة: ٢٦٠].

٩. الأُمّة بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[سورة النحل: ١٢٠].

١٠. الشاكر والمجتبى والمهديّ بقوله: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة النحل: ١٢١].

١١. الرّائي بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ [سورة الأنعام: ٧٦].

١٢. البريء بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٨].

١٣. المتوجّه إلى الله بقوله: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٩].

١٤. الحَليمُ والأوّاه بقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[سورة هود: ٧٥].

١٥. المتبرِّئ عما دون الله بقوله: ﴿تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾[سورة التوبة: ١١٤].

١٦. المبشِّر بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا

(١٠) التفسير الكبير ٤/ ٤٠.
(١١) والصحيح تسع وستين.

مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة الصافات: ١١٢].

١٧. البعل والشيخ بقوله: ﴿ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخٗا ﴾[سورة هود: ٧٢].

١٨. المُبارك بقوله: ﴿ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ ﴾ [سورة هود: ٧٣].

١٩. المُضيف بقوله: ﴿ وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [سورة الحجر: ٥١].

٢٠. المذكور بقوله: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٤١].

٢١. الصّدّيق والنّبيّ بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٤١].

٢٢. الرّشيد بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥١].

٢٣. الفتى بقوله: ﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ [سورة الأنبياء: ٦٠].

٢٤. الوافي بقوله: ﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴾[سورة النجم: ٣٧].

٢٥. الطّامع بقوله: ﴿ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي ﴾ [سورة الشعراء: ٨٢].

٢٦. وارث الجنّة بقوله: ﴿ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [سورة الشعراء: ٨٥].

٢٧. أبو الملّة بقوله: ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ [سورة الحج: ٧٨].

٢٨. مؤذّن الحجّ بقوله: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾ [سورة الحج: ٢٧].

٢٩. سَقيمُ الحُبّ بقوله: ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴾[سورة الصافات: ٨٩].

٣٠. شيعة الأنبياء بقوله: ﴿ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴾[سورة الصافات: ٨٩].

٣١. الذاهبُ إلى الله بقوله: ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴾[سورة الصافات: ٩٩].

٣٢. المهاجرُ إلى الله بقوله: ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ﴾ [سورة العنكبوت: ٢٦].

٣٣. منادي الحق بقوله: ﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾[سورة الصافات: ١٠٤].

٣٤. المُحسن بقوله: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[سورة الصافات: ١٠٥].

٣٥. المُؤمن بقوله: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[سورة الصافات: ٨١].

٣٦. المرسل بقوله: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [سورة الحديد: ٢٦].

٣٧. الحامد بقوله: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي

﴿وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[سورة إبراهيم: ٣٩].

٣٨. الموهوب له بقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ [سورة الأنبياء: ٧٢].

٣٩. الخليل وإبراهيم بقوله: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾[سورة النساء: ١٢٥].

وقد سميّ بالخليل: عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اتخذ الله إبْرَاهِيم خليلا، أتاه ببشارة الحلّة ملك الموت في صورة شاب ابيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماء ودهنا فدخل إبْرَاهِيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجاً من الدار، وكان إبراهيم رجلاً غيوراً وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه واخذ مفتاحه، فخرج ذات يوم في حاجة وأغلق بابه، ثمّ رجع ففتح بابه فإذا هو برجل قائم كأحسن ما يكون من الرجال فأخذته الغيرة وقال له: يا عبد الله ما أدخلك داري؟ فقال: ربّها أدخلنيها فقال إبْرَاهِيم ربّها أحق بها منى، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت ! قال ففزع إبْرَاهِيم وقال جئتني لتسلبني روحي؟ فقال: لا، ولكّن اتخذ الله عزّ وجلّ عبداً خليلا فجئت ببشارته، فقال إبراهيم فمن هذا العبد لعلى أخدمه حتى أموت؟ قال: أنت هو، قال: فدخل على سارة فقال: إنّ الله اتخذني خليلا)[١٢].

وعن أبى عبد الله عليه السلام قال: لمّا جاء المرسلون إلى إبْرَاهِيم عليه السلام جاءهم بالعجل، فقال كلوا فقالوا لا نأكل حتى تخبرنا ما ثمنه، فقال إذا أكلتم فقولوا بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا الحمد لله قال فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة وجبرئيل رئيسهم، فقال حق لله أن يتخذ هذا خليلا)[١٣].

وعن أبى الحَسن الرضا عليه السلام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يحدث عن أبيه عليه السلام انه قال: اتخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلا لأنّه لم يرد أحدا ولم يسأل أحدا غير الله عزّ وجلّ) وعن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال سمعت علي بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: إنّما اتخذ الله عزّ وجلّ إبْرَاهِيم خليلا، لكثرة صلاته على مُحمّد وأهل بيته صلوات الله عليهم، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت

(١٢) الصدوق: علل الشرائع ٣٥.
(١٣) م. ن ٣٥.

رسول الله ﷺ يقول: ما أتخذ الله إبراهيم خليلا، إلاّ لإطعامه الطعام، وصلاته بالليل والناس نيام[١٤].

أخبار إبْرَاهِيم الخَلِيل عليه السلام:

هو: إبْرَاهِيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن قينان ابن أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام[١٥]، اتفقت أغلب المصادر أن ولادة إبْرَاهِيم الخليل عليه السلام في عهد نمروذ بن كوش، وإن آزر رجل من كوثى (وهي قرية بالسواد -سواد الكوفة) وكان آزر[١٦]

(١٤) م. ن ٣٥.

(١٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك ١/ ١٦٢، المسعودي: مروج الذهب ١/ ٤٤، وقال ابن كثير: هو: إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راعو بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح، وقال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ولد إبراهيم عليه السلام بغوطة دمشق بقرية يقال لها: برزة، هكذا في الرواية، والصحيح ولد بكوثى من ارض بابل في العراق، وإنّما نسب إليه هذا المقام ببرزة: لأنّه صلّى فيه لما جاء معيناً للوط عليه السلام) البداية والنهاية ١/ ١٣٦، وقال البستاني: هو: إبراهيم بن تارح الملقب بالخليل من نسل سام بن نوح عليه السلام، فكان أسمه أبرام وأخواه ناحور وهاران، وهو جّد العبرانيين والعرب المستعربة من ابنه إسماعيل عليه السلام، وغيرهما من الأمم القديمة، وفي التوراة تاريخ حياته، وكان من سكان البادية بسيط المعيشة شديد العزم، كريماً محباً للحرية، عارفاً بأصول الحرب، مبغضاً للغزوات=

=والسلب، متمسكاً بعرى التقوى والطاعة لله تعالى، ولد في سنة ١٩٩٦ قبل الميلاد في أور الكلدانيين في الجهة الشرقية من البلاد الواقعة بين النهرين) سفر الأعمال: الإصحاح السابع.

(١٦) قال الطوسي: (والذي أخرجه الزجاج يقوّي ما قاله أصحابنا: إنّ (آزر) كان جدّه لأمّه أو كان عمّه: لأن أباه كان مؤمناً من حيث ثبت عندهم أن آباء النّبيّ ﷺ إلى آدم كانوا موحّدين لم يكن فيهم كافر، وحجّتهم في ذلك إجماع الفرقة المحقّة) التبيان ٤/ ١٨٩، وقال الزمخشري: (آزر: اسم أبي إبْرَاهِيم عليه السلام وفي كتب التواريخ أنّ اسمه بالسريانية تارح، والأقرب أن يكون وزن (آزر) فاعل، مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ، وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لأبيه) الكشاف ٢/ ٢٩، وقال الزبيدي: (آزر: صنم كان تارح أبو إبْرَاهِيم عليه السلام سادناً له، وقيل: معناه يا شيخ، أو هي كلمة زجر ونهي عن الباطل، وقيل: هو اسم عمّ إبْرَاهِيم عليه السلام، وإنّما سميّ العمّ أباً وجرى عليه القرآن العظيم على عادة العرب في ذلك، لأنهم كثيراً ما يطلقون الأب على العمّ، وأمّا أبوه فإنّه تارخ بالخاء المعجمة، وقيل: بالمهملة على وزن هاجر، وهذا باتفاق النسابين ليس عندهم اختلاف في ذلك) تاج العروس ٣/ ١٢، وقال العلامة

الطباطبائي: (أنَّ إِبْرَاهِيم كان يخاطب شخصاً بلفظ الأبوّة اسمه (آزر) وكان يعبد الأصنام، وقد أصّر عليه أن يترك عبادتها، ولكنّه أبى، ثمّ أقدم أبوه على طرده، وأمره بهجرانه، فهجره إِبْرَاهِيم ووعده أن يستغفر له، فأنجز وعده بقوله: ﴿ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٨٦] ولكن دعوته لم تُستَجب، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [سورة التوبة: ١١٤] وكل ذلك وقع في أوائل عهده، وقبل هجرته إلى الأرض المقدسة، وقبل دعائه بقوله: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ٨٣] ثم ذكر تعالى هجرته: ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة الصافات: ٩٩ - ١٠٠] وقال: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ [سورة مريم: ٤٩] ثم ذكر آخر دعائه بمكة بعدما وهب له الأولاد وبنى البيت واسكن إسماعيل مكّة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٥-٣٩ - ٤١] حيث دعا من صميم قلبه لأبيه وأمّه اللذين عبّر عنهما بقوله (لِوالدَيّ) والوالد لا يطلق إلاّ على الأب الصُّلبي، وهذا غير أبيه الذي كان من الضالّين، والّذي تبرأ منه وخصّه بالاستغفار في الدنيا فقط دون الآخرة عن مَوْعِدَةٍ وعدها إياها، فآزر: إذن ليس أباه الصُّلبي بل أُطلق عليه لفظ الأب ببعض الأوصاف والعناوين، فضلاً عن أن اللغة تسوّغ إطلاق (الأب) على الجد والعمّ وزوج الأمّ، وعلى كل من يتولى أمر شخص وكلّ كبير مطاع) الميزان في تفسير القرآن ٧/ ١٦٧.

وأقول: أنّ آزر لم يكن أبا إِبْرَاهِيم بأنّه خلاف ظاهر القرآن الكريم، وان حمله على العمّ لا يرفع الإشكال، ولأن القرآن يصرّح بأن آباء آزار كانوا مشركين، وهذا يسري على أجداد إِبْرَاهِيم: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴾ ﴿ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴾ ﴿ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الأنبياء: ٥٢ -٥٣ -٥٤]، وان الروايات المسلّم عليها بطهارة آباء الأنبيّاء من آدم إلى نبيّنا المصطفى ﷺ، وهم سدنة الكعبة وخدّامها.

معاصراً لنمرود الخاطئ الذي يقال له: الهاصر، وكان ملكه قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها، وكان ببابل، وان النمرود هو نفسه الضحاك.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان آزر عمّ إِبْرَاهِيم عليه السلام منجّماً لنمرود، وكان لا يصدر إلاّ عن رأيه، فقال: لقد رأيت في

ليلتي عجباً، فقال ما هو؟ فقال: أن مولوداً يولد في أرضنا هذه يكون هلاكنا على يديه، فحجبت الرجال عن النساء، كان تارخ وقع على أمّ إبْرَاهِيم عليه السلام فحملت، فأرسل إلى القوابل لتنظر إلى النساء، ولا يكون في البطن شيء إلا علمن به، فنظرن إلى أمّ إبراهيم، وألزم الله ما في الرحم الظهر، فقلن ما نرى بها شيئاً، فلمّا وضعت ذهبت به إلى بعض الغيران فجعلته فيه وأرضعته، وجعلت على باب الغار صخره، فجعل الله رزقه في أبهامه فجعل يمصها فتشخب لبنا، وجعل يشب في اليوم كما يشب غيره في الجمعة، ويشب في الجمعة كما يشب غيره في الشهر، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثمّ اخرج إبْرَاهِيم من السرب (الحفر تحت الأرض)، فرأى الزهرة وقو ما يعبدونها، فقال: أهذا -على سبيل الإنكار -ربّي؟ فلم يلبث أن طلع القمر وعبده قوم أيضاً وقال عليه السلام أيضاً على سبيل الإنكار ليكون ذلك حجّة عليهم في إثبات التوحيد ونفى التشبيه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ قصص الأنبياء -ص ١٠٧.

اختلفت الروايات حول ولادة نبيّ الله إبْرَاهِيم عليه السلام، فقيل انّه ولد بكوثى[١٧]، قال

(١٧) بالضم ثم السكون، والثاء مثلثة، وألف مقصورة تكتب بالياء لأنها رابعة الاسم، قال نصر: كوث الزرع تكويثا إذا صار أربع ورقات وخمس ورقات وهو الكوث، وكوثى في ثلاثة مواضع: بسواد العراق في أرض بابل، وبمكّة وهو منزل بني عبدالدار خاصة ثمّ غلب على الجميع، ولذلك قال الشاعر:

لعن الله منزلا بطن كوثى
ورماه بالفقر والامعار
لست كوثى العراق أعني ولكن
كوثة الدار عبد الدار

قال أبو المنذر: سمي نهر كوثى بالعراق بكوثى من بني أرفخشد بن سام بن نوح عليه السلام، وهو الذي كراه فنسب إليه، وهو جدّ إبْرَاهِيم عليه السلام، أبو أمّه بونا بنت كرنبا ابن كوثى، وهو أوّل نهر أخرج بالعراق من الفرات ثمّ حفر سليمان نهر أكلف ثمّ كثرت الأنهار، قال أبو بكر أحمد بن أبي سهل الحلواني: كنّا روينا عن الكلبي نونا، بنونين، وحفظي بونا، بالباء في أوّله، وكوثى العراق كوثيان: أحدهما كوثى الطريق، والآخر كوثى ربّى: وبها مشهد إبْرَاهِيم الخليل عليه السلام وبها مولده، وهما من أرض بابل، وبها طرح إبْرَاهِيم في النار، وهما ناحيتان، وسار سعد من القادسية في سنة عشر ففتح كوثى، وقال زهرة بن جؤية:

بكوثى شهريار نقوده
عشية كوثى والأسنة جائره

الإمام الصادق عليه السلام أنّ إبْرَاهِيمَ عليه السلام كان

وليس بها إلاّ النساء وفلهم
عشية رحنا والعناهيج حاضره
أتيناهُمُ في عقر كوثى بجمعنا
كأن لنا عينا على القوم ناظره

وقال أبو منصور: حدّثنا محمّد بن إسحاق السعدي عن الرمادي عن عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن محمّد بن سيرين قال سمعت عبيدة السلماني يقول سمعت علياً يقول: من كان سائلاً عن نسبنا فإنّنا نبط من كوثى، وروي عن ابن الإعرابي أنّه قال: سأل رجل علياً أخبرني عن أصلكم معاشر قريش، فقال: نحن من كوثى، قال ابن الإعرابي: واختلف الناس في قول عليّ عليه السلام، نحن من كوثى فقال قوم: أراد كوثى السواد التي ولد بها إبْرَاهِيم الخليل، وقال آخرون: أراد بقوله كوثى مكّة، وذلك أن محلّة بني عبدالدار يقال لها كوثى فأراد أنّنا مكّيّون من أمّ القرى مكّة، قال أبو منصور: والقول هو الأوّل لقول علي عليه السلام، فإنّنا نبط من كوثى، ولو أراد كوثى مكّة لما قال نبط، وكوثى العراق هي سرة السواد، وأراد عليه السلام: أنّ أبانا إبْرَاهِيم عليه السلام، كان من نبط كوثى وأن نسبنا ينتهي إليه، ونحو ذلك، قال ابن عباس: نحن معاشر قريش حي من النبط من أهل كوثى والأصل آدم، والكرم: التقوى، والحسب: الخلق، وإلى هذا انتهت نسبة الناس، وهذا من عليّ وابن عباس تبرؤ من الفخر بالأنساب وردع من الطعن فيها وتحقيق لقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحموي: معجم البلدان ٤/ ٤٨٧.

مولده ب(كُوثى رَبّا) وكان أبوه من أهلها، وكانت أمّه وأمّ لوط صَلّى اللهُ عَليهما سارة وورقة وقيل: ورقية، أُختين وهما ابنتان لـ(لاحج) وكان اللاحج نبيّاً منذراً، ولم يكن رسولاً، وكان إبراهيم عليه السلام في شبيبته على الفطرة لتي فطرة الله عزّ وجلّ الخلق عليها حتى هداه الله تعالى إلى دينه واجتباه[١٨] وانّه تزوّج سارة بنت لاحج

(١٨) قال الثعلبي: (اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه، فقال بعضهم: كان مولده في السوس، وقال، قال السدي: رأى النمرود في منامه كأنّ كوكباً طلع، فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لها ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، ودعا السحرة والكهنة والقافة (وهم الذين يخطون في الأرض) وسألهم عن ذلك، فقالوا: هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه، فأمر النمرود بذبح كل غلام يولد في تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كل عشرٍ رجلاً رقيباً أميناً، فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها إذا أمن المواقعة، فإذا طهرت عزل الرجل عنها، فرجع آزر أبو إبْرَاهِيم، فوجد امرأته قد طهرت من الحيض، فوقع عليها في طُهرها فحملت إبْرَاهِيم عليه السلام، وقال السدي: خرج النمرود بالرجال إلى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود، قال ابن عباس: لمّا

وهي بنت خالته، وكانت سارة صاحبة أموال كثيرة.

هاجر إبْرَاهِيمُ عليه السلام مع زوجته بعد صار ينكر على النمرود وقومه حيث اتخذوه إلهاً يعبدونه من دون الله تعالى، ثمّ رماه النمرود في المنجنيق بناره التي أعدها له، وهي النار التي جعلها الله برداً وسلاماً على إبْرَاهِيم عليه السلام، خرج إبْرَاهِيم عليه السلام ومعه لوط لا يفارقه وسارة، وقال لهم ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [سورة الصافات: ٩٩] إلى بيت المقدس حتى نزل بأعلى الشامات، وخلف لوطاً في أدنى الشامات، ثم إنّ إبْرَاهِيمَ عليه السلام لمّا أبطئ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتني هاجر لعل الله أن يرزقنا منا ولداً فيكون لنا خلفاً، فابتاع إبْرَاهِيم عليه السلام هاجر من سارة، فولدت إسماعيل[١٩].

قال الفيروزآبادي: (قال المؤرخون: هاجر إبْرَاهِيم عليه السلام من العراق إلى الشام وبلغ من العمر مائة وخمساً وسبعين سنة، وقيل: مائتي سنة، ودفن في بالأرض المقدّسة، وقبره مقطوع به انّه في تلك المربعة، ولا يقطع بقبر نبيّ ومكانه غير قبر نبّينا صلى الله عليه وآله، ومكان قبر إبْرَاهِيم عليه السلام، وروينا في الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وآله (أختتن إبْرَاهِيم عليه السلام وهو: ابن ثمانين سنة، وفي الصحيحين مرفوعاً(أوّل الخلائق يكسى

حملت أمّ إبْرَاهِيم عليه السلام، قال: الكهّان لنمرود: إنّ الغلامَ الذي أخبرناك به قد حملت به أمّه هذه الليلة، فأمر نمرود بذبح الغلمان، فلمّا دنت ولادة أمّ إبْرَاهِيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطّلع عليها فيقتل ولدها، فوضعته في نهر يابس، ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت، وقيل: كان مولده في الوركاء ذي قار، بالقرب من الناصرية، في قرى ومدن الكلدانيين، ثمّ هاجر إلى بابل، وقيل في حرّان ولكن أباه نقله إلى ارض بابل.

أقول: أنّ عامة أهل العلم قالوا أنَّ إبْرَاهِيمَ عليه السلام ولد في زمن النمرود بن كوش، وانَّ آزرَ رجل من أهل كوثى وكان ممّن عاصر الملك نمرود، ثمّ إنّ الكهنة وأصحاب النجوم أتوا إلى النمرود وأخبروه إنّ غلاماً سيولد في قريتك، يقال له إبراهيم ويكون هلاك ملكك على يديه، ثمّ حديث القرآن الكريم ذكر إنّ النمرود أراد أن يحرق الخليل لكّن الله تعالى جعل تلك النار برداً وسلاماً على إبْرَاهِيم عليه السلام، وولادة إبراهيم ووضعه في الغار الذي هو اليوم المكان الذي نتحدّث عنه، كلّ هذه أدلّة دامغة على مولد إبْرَاهِيم عليه السلام ولد في بابل وفي هذا المكان المقدّس وبقربه تل النمرود الذي نسميه اليوم في الحِلّة بتل برس، والله العالم.

(١٩) العروسي: تفسير نور الثقلين ٤/ ٤١٦.

يوم القيامة إبْرَاهِيمعليه السلام، وفي صحيح مسلم: قال رسول اللهﷺ: (حين أُسري بي ورأيته وأنا أشبه ولدٍ به) وفي الصحيحين في حديث الإسراء ورؤيته الأنبياء، وأنّه رأى إبْرَاهِيم في السماء السادسة وانّه رآه مسند ظهره إلى بيت المعمور، وكان سبب وفاة إبْرَاهِيم انّه أتاه ملك بصورة شيخ كبير يضيفه، وكان يأكل ويسيل الطعام على لحيته وصدره، فقال إبْرَاهِيم: يا عبد الله ما هذا؟ قال: بلغت الكبر الذي يكون صاحبه هكذا، قال: وكم أتى عليك؟ قال مائتا سنة، ولإبراهيم يومئذ مائتا سنة، فكره الحياة لئلا يصير إلى هذا الحال)[٢٠].

أولاد إبْرَاهِيمعليه السلام:

أوّل من ولد له إسماعيلعليه السلام من هاجر القبطية المصريّة، ثم ولد له إسحاق من سارة بنت عمّ الخليلعليه السلام، ثمّ تزوّج بعدها قنطورا بنت يقطن الكنعانية، فولدت له ستة: مدين، وزمران، وسرج، ويقشان، ونشق، ولم يسمى السادس، ثمّ تزوّج بعدها: حجون بنت أمين فولدت له خمسة: كيسان، وسورج، وأميم، ولوطان، وناقس[٢١].

وفاة إبْرَاهِيمعليه السلام:

كان سبب وفاه إبْرَاهِيمعليه السلام انّه أتاه ملك الموت ليقبضه فكره إبْرَاهِيم، فرجع ملك الموت إلى ربّه، فقال: أنَّ إبْرَاهِيمَ كره الموت، فقال: دع إبراهيم فانّه يحبّ أن يعبدني حتى رآى إبراهيم شيخا يأكل و يخرج منه ما يأكل، فكره الحياة وأحبّ الموت، فأتى داره فإذا فيها أحسن صوره ما رآها قط، قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت فقال: يا سبحان الله من هذا الذي يكره قربك ورؤيتك؟ وأنت بهذه الصورة، قال: يا خليل الله أن الله تعالى إذ أراد بعبد خيراً بعثنى إليه في هذه الصورة، وإذا أراد بعبد شراً بعثني إليه في صوره غيرها وقبض إبْرَاهِيمعليه السلام بالشام)[٢٢].

وقال أمير المؤمنينعليه السلام: لمّا أراد الله قبض روح إبْرَاهِيمعليه السلام، هبط إليه ملك الموتعليه السلام فقال: السَّلامُ عليك يا إبْرَاهِيم قال: وعليك السَّلام يا ملك الموت أداع أنت أم ناع؟ قال: بل داع فاجبه، فقال

(٢٠) بصائر ذوي التمييز ٦/ ٣٦.

(٢١) ابن كثير: البداية والنهاية ١/ ١٣٩.

(٢٢) الراوندي: قصص الأنبياء ١١٧.

إبراهيم: هل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتى وقف بين يدي الله تعالى فقال: الهي قد سمعت ما قال خليلك إِبْرَاهِيم عليه السلام، فقال الله جلّ جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه؟ أنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه، وتوفى إِبْرَاهِيم بالشام، ولم يعلم إسماعيل صلوات الله عليهما بموته، فتهيا لقصده، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فعزاه بإبراهيم، وقال: يا إسماعيل لا تقلّ في موت أبيك ما يسخط الربّ وإنّما كان عبداً دعاه الله تعالى فأجابه، ولمّا ترعرع إسماعيل وكبر أعطوه سبعه أعنز، وكان ذلك أصل ماله، فنشأ وتكلّم بالعربية وتعلّم الرمي، وكان إسماعيل صلوات الله عليه بعد موت أمّه تزوج امرأة من جرهم اسمها زعله، وطلقها ولم تلد له شيئاً، ثمّ تزوّج السيّدة بنت الحرث بن مضاض فولدت له، وكان عمر إسماعيل مائه سبعا وثلاثين، ومات صلوات الله عليه ودفن في الحجر وفيه قبور الأنبياء)[٢٣].

قال بعض العلماء: توفي إِبْرَاهِيم وداود وسليمان عليهم السلام فجأة، وكذلك موت الصالحين، وهو تخفيف على المؤمن)[٢٤].

قال ابن كثير: ثمّ دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وفيها ظهر قبر إِبْرَاهِيم الخليل عليه السلام وقبر ولديه إسحاق ويعقوب، وشاهد ذلك الناس، لم تبل أجسادهم، وعندهم قناديل من ذهب وفضة، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه، وأطال نقله من المنتظم لابن الجوزي)[٢٥].

المقام الذي ولد فيه إِبْرَاهِيم الخليل عليه السلام

يقع المقام الشريف الذي ولد فيه إِبْرَاهِيم الخليل عليه السلام في منطقة برس، وهي قرية مشهورة أنجبت الكثير من العلماء والأدباء في الحِلّة الفيحاء، وهي قرية تقع على مسافة عدّة كيلومترات عن مركز الحِلّة، وعلى يمين الشارع الذاهب إلى مدينة النَّجف الأشرف، والطريق إليه طريق زراعي متعرّج طوله خمسة كيلومترات وقد عمّر حديثاً، ينتصب المقام

(٢٣) الصدوق: علل الشرائع ص ٣٧، الراوندي: قصص الأنبياء ١١٨.

(٢٤) الفيروزآبادي: بصائر ذوي التمييز ٦/ ٣٦.
(٢٥) البداية والنهاية ١٢/ ٢٢٨.

على تل كبير من الحجارة والتراب الأسود، ويتكوّن المقام الشريف من صحن كبير مرصوف بالمرمر ومكشوف يليه بناء مربّع الشكل تقريباً يتكون من غرفة وسطية ورواق متصّل يحيط بها من جميع أركانها وترتفع الغرفة بعد عدّة عتبات عن الرواق، وتنتصب قُبّة كبيرة الحجم سميكة البناء فوق المقام، ويوجد سرداب تحت مستوى الغرفة يسمى بغار النور، ينزل إليه الزائر بعد أن يتخطى العتبات السبعة عشر، حيث يجد شباكاً من المعدن الأصفر والخشب ملتصقاً بالجدار ذا صناعة جيدة، ويوجد داخل الشباك مرمرة بيضاء عليها أثر الغزالة التي كانت تسقي إبراهيمعليه السلام اللبن بغياب أمّه، وهناك باب خلفية من الحديد للمقام تسمى باب درب الغزالة، وبقرب هذا المقام هناك تل ضخم من التراب والحجارة القديمة السوداء التي تمثل آثار الصرح الذي بناه النمرود، وبالقرب من المقام الشريف على مسافة قريبة هناك أرض سبخة تسمى (المحرقة) وهي ارض جرداء قريبة إلى شكل الرماد سوداء لا ينبت فيها زرع.

الخاتمة

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه سيّدنا إِبْرَاهِيمعليه السلام، فقال بعضهم: كان مولده في السوس، وقال آخرون في وركاء ذي قار، بالقرب من الناصرية، في قرى ومدن الكلدانيين، ثمّ هاجر إلى بابل، وقيل في حرّان ولكن أباه نقله إلى ارض بابل، وقال آخرون في بابل وهذا الرأي الذي ذهبنا إليه بعد أن ثبّتنا الأدلة التي تشير بأن إِبْرَاهِيمعليه السلام ولد في بابل، وهذه الأدلّة هي:

١. قول ألسدي: رأى النمرود في منامه كأنَّ كوكباً طلع، فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لها ضوء، ففزع من ذلك فزعاً شديداً، ودعا السحرة والكهنة والقافة (وهم الذين يخطون في الأرض) وسألهم عن ذلك، فقالوا: هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه، فأمر النمرود بذبح كل غلام يولد في تلك السنة، وأمر بعزل الرجال عن النساء، وجعل على كلّ عشرٍ رجلاً رقيباً أميناً،

فإذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها إذا أمن المواقعة، فإذا طهرت عزل الرجل عنها، فرجع تارخ أبو إِبْرَاهِيم، فوجد امرأته قد طهرت من الحيض، فوقع عليها في طُهرها فحملت إِبْرَاهِيم عليه السلام.

٢. وقال السدي: خرج النمرود بالرجال إلى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفاً من ذلك المولود.

٣. قول ابن عباس: لمّا حملت أمّ إِبْرَاهِيم عليه السلام، قال: الكهّان لنمرود: إنّ الغلامَ الذي أخبرناك به قد حملت به أمّه هذه الليلة، فأمر نمرود بذبح الغلمان، فلمّا دنت ولادة أمّ إِبْرَاهِيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطّلع عليها فيقتل ولدها، فوضعته في نهر يابس، ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت.

٤. ذكر الطبري والمسعودي وغيرهم: إنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ولد في بيئة مظلمةٍ تسربلها ظلمات الوثنية وعبادة البشر، ولد إِبْرَاهِيم عليه السلام في بابل التي يعدّها المؤرخون إحدى عجائب الدنيا السبع، وفتح رائد التوحيد إِبْرَاهِيم عليه السلام عينيه في دولة نمرود بن كنعان.

أقول: أنّ عامة أهل العلم قالوا أنَّ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام ولد في زمن النمرود ابن كوش ملك على بابل، وانَّ آزرَ رجل من أهل كوثى وكان ممّن عاصر الملك نمرود، ثمّ إنّ الكهنة وأصحاب النجوم أتوا إلى النمرود وأخبروه إنّ غلاماً سيولد في قريتك، يقال له إِبْرَاهِيم ويكون هلاك ملكك على يديه، ثمّ حديث القرآن الكريم ذكر إنّ النمرود أراد أن يحرق الخليل لكّن الله تعالى جعل تلك النار برداً وسلاماً على إِبْرَاهِيم عليه السلام، وولادة إبراهيم ووضعه في الغار الذي هو اليوم المكان الذي نتحدّث عنه، والتي أمضت أمّ إِبْرَاهِيمَ فترة حملها في خفاء، ولجأت بعد وضع وليدها العزيز إلى غارٍ في جبل على مقربة من المدينة حفاظاً عليه، وراحت تتفقّده من حين لآخر من الليل والنهار قدر المستطاع، وقد أرضى هذا الأسلوب الظالم النمروذ وأراح باله بمرور الزمن، إذ أيقن انّه تخلص ممّن يهدد عرشه وسلطانه، لكن إِبْرَاهِيمَ عليه السلام كان قد قضى ثلاثة عشر عاماً في ذلك الغار الذي كان يتصّل بالعالم الخارجي عبر بابٍ

ضيّق، وبعد ذلك أخرجته أمّه من الغار، ودخل عليه السلام الساحة الاجتماعية فاستغرب المجتمع النمرودي وجوده وأنكروه.

كلّ هذه أدلّة دامغة على مولد إبْرَاهِيم عليه السلام ولد في بابل وفي هذا المكان المقدّس وبقربه تل النمرود الذي نسميه اليوم في الحِلّة بتل برس، والله العالم.

المصادر والمراجع

١. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن عليّ بن محمّد (ت٥٩٧ هـ).

٢. زاد المسير، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د. ت).

٣. ابن عساكر، أبو القاسم، عليّ بن الحَسن (ت٥٧١هـ).

٤. تاريخ دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، (١٤١٥هـ).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤ هـ).

٥. البداية والنهاية (١ -١٤) دار بن كثير، بيروت، (١٩٦٧م).

٦. تفسير القرآن الكريم، مطبعة دار الفكر، بيروت، لبنان (١٩٦٩م).

البستاني: بطرس.

٧. دائرة المعارف، مطبعة المعرفة، بيروت، لبنان، (د. ت).

الجواليقي: موهوب بن أحمد (ت ٥٣٩ هـ)

٨. المعرّب، مطبعة دار الكتب، مصر، (د. ت).

الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ)

٩. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/ ٤ (١٤٠٧هـ).

الحموي: ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ٦٢٦ هـ)

١٠. معجم البلدان (١ -٥) بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

الخفاجي، ثامر، الدكتور.

١١. المراقد والمشاهد البهية في الحِلّة السيفية، غير مطبوع.

الراوندي: قطب الدين سعيد (ت٥٧٣ هـ)

١٢. قصص الأنبياء، تحقيق: عرفانيان،

مؤسسة الهادي، قم (١٤١٨ هـ).
رشيد رضا، محمّد.
١٣. تفسير المنار، مطبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان (د. ت).
الزبيدي، محمّد مرتضى (ت ١٢٠٥هـ).
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، دار مكتبة الحياة، بيروت (١٣٠٦هـ).
الزمخشري، جار الله محمود (ت ٥٨٣ هـ).
١٥. تفسير الكشّاف، مطبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د. ت).
سيبويه: عمرو بن عثمان (ت ٢٨٠ هـ).
١٦. الكتاب، عالم الكتب، بيروت، لبنان، (د. ت).
الصدوق، محمّد بن عليّ بن الحُسين (ت٣٨١هـ).
١٧. علل الشرائع، المطبعة الحيدرية، النجف، (١٩٨٠م).
الطباطبائي، السيّد محمّد حُسين (ت ١٤٠٢هـ).
١٨. الميزان في تفسير القرآن، مطبعة إسماعيليان، قم، (د. ت).
الطبري، محمّد بن جرير (ت٣١٠ هـ)
١٩. تاريخ الأمم والملوك، مطبعة دار الاستقامة، القاهرة، مصر، (د. ت).
الطوسي، محمّد بن الحَسن (ت٤٦٠هـ).
٢٠. التبيان في تفسير القرآن، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، (د. ت).
العروسي، عبد عليّ بن جمعة الحويزي (ت ١١١٢ هـ).
٢١. تفسير نور الثقلين، تحقيق: هاشم المحلاتي، مطبعة إسماعيليان، قم (١٤١٢هـ).
الفخر الرازي: محمّد بن عمر الطبرستاني (ت ٦٠٦ هـ).
٢٢. تفسير الكبير، مطبعة عبد الرحمن، القاهرة، مصر، (د. ت).
الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ).
٢٣. البلغة في تراجم أئمة النحو واللّغة، تحقيق: محمّد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، (١٤٠٧هـ).
٢٤. بصائر ذوي التمييز، مطبعة التحرير، القاهرة، مصر، (د. ت).
القرطبي، محمّد بن أحمد بن أبي بكر(ت٦٧١هـ).

٢٦. الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: احمد البردوني، القاهرة (١٣٧٢هـ).

المسعودي، عليّ بن الحَسن بن عليّ (ت٣٤٦ هـ).

٢٨. مروج الذهب ومعادن الجوهر (١ -٤) تحقيق: محمّد محي عبدالحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت، لبنان (د. ت).





قِصَصُ الأنبياءِ في القُرآنِ الكريمِ
وَإشكاليَّةُ التفسيرِ بالمأثورِ
-دراسة مقارنة-

محمد علي هدو
رئيس التحرير

ملخص البحث

افتُتح البحثُ بمقدمة نعى فيها الباحث اعتماد المرويات في تفسير الآيات الكريمة التي تضمنت قصص الانبياء والصالحين من افواه رواةٍ شهد علم الجرح والتعديل بانحرافهم وعدم وثاقتهم خصوصاً من اعتنقوا الاسلام في حقبة متأخرة من عهد النبي ﷺ، او اعتماد تحليلات المستشرقين ومن لف لفهم من المتاثرين بمنهجهم في البحث.

وسار السيد الباحث ببحثه على طريق ضرب الأمثلة من تلكم القصص وقارنها بما ورد في التوراة المزعومة، وعرض لآراء القدامى والمحدثين في نقضها. وختم بحثه باعطاء الحق لاولئك الذين يقرؤون هذه الأباطيل في أن ينظروا الى العرب بأنهم امة شاعرة يقوم فكرها على النَّسَميَّة والخيال.

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾.

برزت الحاجة الى معرفة تاريخ الانبياء والصالحين المذكورين في القرآن الكريم انطلاقاً من الهدف الذي رمى اليه والمتمثل بامور لم يغفلها المفسرون او مُتتبّعوا اسباب النزول بيد أن الذي برز في الساحة، ذلك الركام الهائل من المرويات التي صدرت عن اتجاهات كان جُلّها نابعاً من نوازع انتابت المفسرين و رواة المأثور، والذي صب معظمه في قنوات الاسانيد التي ابتعدت عن روح الحقائق التي جاء بها القرآن الكريم وهو يسرد هذه الحكاية أو تلك مما لايخفى هدفه على المطلع والباحث بَلْهَ المفسر.

فقد اخذ اصحاب الرواية بمروياتهم على انها من المسلّمات التي لا يمكن الحياد عنها او تجاهلها ما دامت هذه المرويات تجري على لسان رواة تضافرت فيهم شروط الرواية ضمن الحد الذي رسمه مخرجوها بغضّ النظر عن سياق الدلالة ومطابقته للعقل، أو مجاراته لطبيعة الخلق أو عدم مطابقته. فالخبر عندهم صحصح حتى ولو خالف نواميس الطبيعة ما دام سنده صحيحاً او مادام رواته ممن تسالم المحدّثون على وثاقتهم . فقد امتلأت كتب هؤلاء المحدّثين بألوان من القصص المسندة الى الصحابة والتابعين وتابعيهم من دون ما محاكمة عقلية او منطقية لمجريات الحوادث، عارضين بضاعتهم تحت مسمى (وقد روي بسند صحيح عن رسول الله ﷺ كذا وكذا) مما يتناقض حتى مع الحد الادنى لما يجوّزه العقل أو الخلق القويم، أو الفطرة الانسانية وقد لعب هذا الدّور قصاصٌ وفدوا على الاسلام من اديان أُخرى او من تاثروا بالاساطير الجاهلية فراحوا يعبثون بقصص القرآن الكريم تشريقاً وتغريباً ويطمسون الاهداف السامية التي حكى الله (جل وعلا) احداثها من اجل العبرة والعظة وإنشاء القدوة الحسنة. وهو نهج انتهجه امثال (كعب الاحبار) و (وهب بن منبه) و (عبد الرحمن النجيبي) بايعاز من بني امية، ثم طبّل وزمّر لهم مخرجو الحديث، فنقلوا

عنهم الاخبار على عواهنها معتمدين اسانيد الروايات وحسب. وهكذا وصلت الينا اخبار داود وسليمان، وقبله آدم ونوح وموسى وعيسى، ونسبوا اليهم افعالاً وكلاماً لا يقوم على دليل وفسروا آي القرآن العظيم، كلام الله المنزل، الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بتلك الاباطيل، وحجتهم في كل ذلك (انها صحيحة السند) ...

لقدآن الاوان لغربلة هذا الركام وفضح النوايا السيئة التي حدت برواته الى طرحها معتمدين سنن الله -تعالى -في خلقه وفي انبيائه ورسله، ثم المحاكمة العلمية الدقيقة لما يصحّ منها وما لايصح ولنا في هذا ان نجأر ونجهر بتكذيب الكذاب، ونرسّخ ما يتماشى وتلك السنن، وما ذلك على الباحث المنصف بعزيز.

ان هذه الدعوة ما كانت ولن تكون اول دعوة صوّت لها اولوا الالقلام النبيلة-على اختلاف طوائفهم ومشاربهم الدينية فسيكشف هذا البحث عن كثير من الاصوات الخيّرة التي نادت بمحاكمة الخبر، لا من حيث سنده، بل من حيث دلالته على ما هو حق في ميزان العقل والعقيدة والفطرة وما هو باطل سمج يوقع انبياء الله المعصومين في سيرة قد تصل الى إضحاك الناس عليهم أو تحوّلهم الى كاريكاتير كوميدي يُبعد الانسان عن كل القيم والاخلاق الكريمة ومكارمها السامية . وسنرى في ثنايا هذا البحث مرويات عن انبياء وقعوا في الفاحشة (حاشاهم) وآخرين عبث الشيطان بنسائهم بعد أن سرق مُلكهم كما سنناقش روايات لمحدّثين محترفين عن انبياء بلغ بهم السَّفهُ لان يفقأوا عين مَلَكِ الموت، واخرين بكو على فراق الجنة فتحولت دموعهم الى حمص وفاصولياء...!!! سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم، وفق الله من يتصدى لفضحه تنزيها لانبيائه الذين هم صفوة خلقه، ومنجاة الضالين من عباده، ولنبدأ المسيرة، وخير الكلام ما قلَّ ودل.

*****

لايختلف علماء البشريات في أن القصة ولدت في حياة الانسان بمولده. لقد اولدتها الطبيعة البشرية في حاجة الانسان الى من يخبره الخبر اليقين عما في نفسه وعما

يحيط بالاشياء التي حوله من مخلوقات وظواهر طبيعية وعادات وطبائع، وعما هو ضمن حاجته من تبادل المعرفة بهذه الاخبار، وبنمط صادق، يكون دليله الى العلم بماهية هذه الحياة التي يحياها على وجه البسيطة، ضمن اجل محدود، ثم يغادرها الى المجهول.! وعليها جبلت الطبيعة البشرية منذ نشاتها الى يوم فناء العالم، والذي لا يقل الانسان جهلاً به من فكرة بدء الخليقة انها خلاصة الفلسفات القديمة والحديثة، كان القرآن جديراً بان يشخص فيها ثابت الخطى وياتي بما يسد رمق الفضول الانساني -في الاقل -وبما يهذب روح الانسان بالايمان، ومن ثم يرسم له القدوة الحسنة في الحياة الدنيا في افضل الاحتمالات. لذلك جاءت قصص الانبياء والصالحين والامم الخالية لتؤلف جانباً بارزاً من موضوعاته التي طرحها من احل بسط العبرة والعظة، ومن ثم تشويق الانسان الى قراءته.

فالقرآن الكريم، استغل الميل الفطري الى القصة، مدركاً ما لها من تأثير ساحر على القلوب. فقد وظّف كل انواع القصة، ومنها القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها واشخاصها واحداثها، ومن هذا النوع كل قصص الانبياء وقصص الامم التي كذّبت الرسالات، وما اصابهم جراء ذلك. هذه قصص تذكر باسماء اشخاصها واماكنها واحداثها مثل قصة آدم وموسى مع فرعون، ولوط مع قومه ونوح مع ابنه، وابراهيم مع اسماعيل، وغيرها. او القصص الواقعية التي تعرض أنموذجا لحالة بشرية، سواء باشخاصها ام باي شخص يتمثل فيه ذلك الانموذج . ومن هذا النوع: قصة ابني آدم ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٢٧ -٣٠] . وقد يستعمل القصة التمثيلية التي لا تمثل واقعا بذاتها، ولكنها يمكن

ان تقع في اية لحظة من اللحظات او في اي عصر من العصور، ومن هذا النوع: قصة صاحب الجنتين ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۙ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۝٣٦ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۝٣٧ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٣٨ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝٤٠ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ۝٤١ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝٤٢ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴾ [سورة الكهف: ٣٢-٤٣].

وبإزاء هذه الحقيقة، يرى المرحوم (محمد احمد جاد المولى) ان قصص القرآن يجب ان تقرأ ضمن اعتبارات ادبية وفنية، إذ يقول: ولكنه (اي القرآن الكريم) على كرم مقاصده، وتنوع مذاهبه، وافتنان طرقه، قد وجد من ابناء هذا العصر من يهجره الى غيره ويتركه الى سواه مما وضعه الناس من قصص فيها الحق والباطل، وفيها الصحيح والزائف . هذا على الرغم من أن القرآن الكريم يعم المدارس والمساجد والمنازل والمجالس، ولا يجد منهم من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد[1].

وكأن (جاد المولى) فهم قصص القرآن كما فهمها النضر بن الحارث بن كلده. . حين كان ينادي في الناس بمكة، هلموا احدثكم بحديث هو خير لكم من حديث محمد، فيروي لهم اساطير الاولين.

والقرآن الكريم ياخذ بالقصة لتربية جميع جوانب الشخصية الانسانية، لتربية

(١) محمد أحمد جاد المولى -قصص القرآن - مقدمة.

الوجدان، وتربية العقل، وتربية الجسم، ويوظفها في التوقيع على الخطوط المتقابلة في النفس . والقصة في القرآن، على قلة الالفاظ المستعملة فيها، حافلة بكل الوان التعبير الفني، من حوار، الى سرد، الى تنغيم وموسيقى، الى دقة في رسم ملامح الشخصيات، الى اختيار دقيق للّحظة الحاسمة في القصة لتوجيه القلب للعبرة والتوقيع عليها بالنغم المطلوب[٢] .

إن القرآن الكريم كتاب سماوي نزل به (الروح الامين) من عند الله -سبحانه وتعالى -على قلب الرسول محمدﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين، موافق فيما سرد من قصص الانبياء للكتب السماوية التي نزلت قبله (وهي التوارة والانجيل) قبل ان تمتد يد الأهواء الى ذينك الكتابين لتعبث بهما ايما عبث وتشوه الصورة الالهية للأنبياء الذين ورد ذكرهم في ما اطلقوا عليه بعد ذلك ب(العهد القديم) و (العهد الجديد)، وفي وقت تزعزع فيه الدين وضعف سلطانه، ففقدت الاخلاق اساسها المتين، وفقد الانسان كل إطمئنان في الحياة، في حين ان القصص السماوي عامة، والقصص القرآني خاصة، جعل لحياة الانسان معنى لا يزول، وجعله متصلاً بحياة الكون في اوسع مداه.

فالقرآن الكريم، بمخالفته لكتب العهدين القديم والجديد في قصصها الخرافية التي إتخذت من بعض الانبياء ابطالاً لها، قد ازال ريب المرتاب في كونه وحياً إلهياً لخلوه من تلك الخرافات والاوهام وعما لا يجوز في حكم العقل نسبته الى الله -تعالى -والى انبيائه -عليهم السلام-. ولكن الذي يفتّ في العضد فتّاً ان يتأثر المسلمون، ومنهم المفسرون بالمأثور والمؤرخون الثِقات بتلك الاساطير والتهويلات التي قد اخذوها عن اهل الاديان الكتابية، من يهود ونصارى او ممن دخلوا الاسلام منهم لاحقاً على وجه الخصوص من اجل تفسير قصص الانبياء في القرآن الكريم، وهو ما اصطلح عليه فيما بعد بـ (الاسرائيليات).

(٢) د. علي احمد مدكور -منهج التربية الاسلامية-أصوله وتطبيقاته -ط/ ١-١٩٨٧ -ص٣٤٥.

لقد اخطا هؤلاء المفسرون والمؤرخون كثيراً في الاطمئنان الى صحة ما روى اولئك القصاص من اهل الكتاب من حكايات وردت في كتبهم او تناقلها تاريخهم الديني، إطمئناناً جعلهم يغضون النظر عن تلك القصص والموازنة بينها وبين العقل وطبيعة التكليف الالهي لاولئك الانبياء من جهة، وبين ما يمكن ان يكون وما لا يمكن ان يكون من جهة ثانية. هذا الاطمئنان الزائد قد جعل كثيراً من نقّاد المنهج التفسيري بالمأثور، يقفون موقف الشك في صحة جميع ما روي من اخبار الانبياء تفسيراً لآيات قصص الانبياء ولآيات قصص القرآن الكريم. بل لقد حدا الامر ببعضهم الى الشك في حقيقة وجود بعض تلك الشخصيات أمثال (أيوب) و (لوط)، والى اعتبار قصة الملكين (هاروت)و (ماروت) التي وردت في سورة (البقرة)، او قتل (قابيل) اخاه (هابيل) التي وردت في سورة المائدة، انما هي امثلة افتراضية ضربها الله تعالى للناس، من دون ان يكون لهذه الشخصيات من وجود يذكر.

وقد تنبه بعض المفسرين الى هذه الظاهرة الخطرة، فعقدوا العزم على تجنبها وتخليص التفسير منها قدر الامكان. ولكن اولئك المفسرين لم يجدوا بداً من الاخذ بها اذا احصرتهم الحاجة الى ذلك. فهذا (ابو عبد الله محمد بن احمد الانصاري القرطبي) يعدنا في مقدمة تفسيره (الجامع لاحكام القرآن) بان يُضرب عن كثير من قصص المفسرين واخبار المؤرخين الا ما لا بد منه، ولا غنى عنه للتبيين ويقول انه إعتاض عن ذلك ببيان آي الاحكام بمسائل تفسر عن معناها وترشد الطالب الى مقتضاها[٣] . ولكننا برغم ذلك ناخذ عليه كثيراً من هذه المواقف التي خالف بها شرطه من دون ما حاجة لمثل هذه المخالفة. من ذلك -مثلاً -ما ينقله عن (كعب الاحبار) من ان ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارض كلها، فالقى في قلبه، فقال: هل تدري ما على ظهرك يا لوثيا[٤] من الامم والشجر والدواب والناس والجبال؟ لو

(٣) القرطبي -الجامع لاحكام القرآن -ج١ (المقدمة).

(٤) لوثيات: اسم الحوت.

نقضتهم القيتهم عن ظهرك اجمع. قال فهمّ لوثيا بفعل ذلك، فبعث الله دابة فدخلت في منخره، فعجّ منها الى الله فخرجت[٥].

ومن ذلك ايضاً قوله: ان الحية كانت خادم (آدم)عليه السلام في الجنة فخانته بان مكّنت عدو الله من نفسها واظهرت العداوة له هناك. فلما اهبطوا تاكدت العداوة وجعل رزقها التراب[٦]. وما الى ذلك مما لا يقوم الا على اخبار اليهود وتهويلات (العهد القديم).

واذا كان التأدب في البحث التاريخي قد حمل امثال اولئك الطاعنين في حقيقة شخصيات هذه القصص، فإن هناك من بلغت بهم الجرأة حداً يستفز المشاعر حين اتهموا القرآن الكريم والكتب السماوية السابقة له، بانها تأثرت بالملاحم والاساطير القديمة في عرض بعض الحكايات، أمثال (طوفان نوح) الذي نجد شبيهاً لحكايته في (ملحمة كلكامش) البابلية، وقصة (اهل الكهف) التي تشبه الى حد ما اسطورة (النيام السبعة) على حد زعمهم. وهي افكار تاثروا فيها بملاحدة اليهود والنصارى امثال (ارنست رينان) او اصحاب الفلسفات المادية والوجودية امثال (كولن ولسن) و (جون بول سارتر) وغيرهم ممن كان لهم الاثر البالغ في توجيه افكار الشباب من ضعاف الايمان ومن ذوي انصاف الثقافات، فراحوا يرددون اقوال امثال (خوان بيركو) الذي قال: إن أسطورة (النيام السبعة) كانت واحدة من اشياء كثيرة سمع محمد الحديث عنها فتأثر بها واجرى ذكرها في هذه السورة (سورة الكهف). كما حاولوا الوقوف موقف المتسائل عن وجود شخصية ذكرها القرآن الكريم اربع مرات وهو النبي ايوب عليه السلام، والذي لا نمتلك عنه اية معلومات دقيقة تاريخياً غير ما ورد في (سفر ايوب) التوراتي والقرآن الكريم. و (سفر أيوب) منسوب هو الآخر الى الاساطير. وقد جاء في (الموسوعة البريطانية) أن مؤلف السفر وضع قصائده من اسطورة قديمة خارج اسرائيل. وادعى (كريمر) احد علماء المسماريات[٧]: انه عثر عام ١٩٦٤

(٥) المصدر نفسه ١/ ٢٥٧.

(٦) المصدر نفسه -ج١ ص٣١٣.

(٧) فون كريمر (١٨٢٨ -١٨٨٩) مستشرق=

على قصيدة في ألواح (سومر) تدور حول رجل سومري طمس إسمه لوجود خرم في النص أبتلي بعذاب مماثل لما ابتلي به (أيوب). حيث تنكرت له الآلهة وهجره الناس وبقي في العذاب وحيداً مدة من الزمن. غير انه استطاع ان يمتلك الصلابة وان يصبر على هذا العذاب، فعطفت عليه الآلهة أخيراً ورفعت معاناته نهائياً[٨].

وبالرغم من الشكوك التي اثارتها مكتشفات (كريمر) هذا حول حقيقة شخصية النبي أيوب، فليس هناك دليل على ان ماجاء في اللوح المطموس الاسم، هو من نسج الخيال، فقد يكون اللوح قد ارخ لشخصية حقيقية، وان (أيوب) رجل سومري وليس اسرائيلياً، وهو امر لا تعارضه الحقيقة اذ لا دليل على نفيه.

وشبيه بهذا الموقف ما اوردته مجلة (كل شيء والدنيا) المصرية، بعددها المرقم (٥٤٦) الصادر بتاريخ ٢٢/ ٤/ ١٩٣٦ والذي يشير الى العثور في مصر على نصوص لأسطورة فرعونية قديمة تسمى (قصة الاخوين)، تشبه من اوجه عديدة قصة (يوسف) مع إمراة سيده (قوطيفار) المصري. وهذه مكتوبة على ورقة من البردي، وخلاصتها: انه كان لـ (انوبيس) إمرأة حسناء راودت اخاه (باتا)، ولكن (باتا) هذا، أبى ان يذعن لارادتها. حتى إذا ما رجع اليها زوجها من حقله، قالت له: إن أخاك الاصغر دعاني لمضاجعته، وتمنعتُ عليه، فلم اعد اطيق رؤيته... هلاّ يستحق منك القتل؟.. إلى آخرها[٩].

هكذا تناول المستشرقون جوانب كثيرة من الفكر الاسلامي والتاريخ الاسلامي وتأتي في المقدمة منها قصص الانبياء. ولا ريب في أن التراث الاسلامي يعدّ ابرز ما تناوله اولئك المستشرقون وعالجوه بالبحث العلمي والتقصي الدقيق لا من اجل اثبات صحته، بل من اجل البحث عن ثغرة فيه ينفذون منها الى الطعن فيه.

=نمساوي درس العربية في جامعة فيينّا وعمل في بعثات بلاده في مصر ولبنان والعراق. له كتاب (الصراع الحضاري في منطقة الاسلام).

(٨) د. فاضل عبد الواحد علي -من الواح سومر الى التوراة -ص ٣٧٦.

(٩) د. احمد سوسة -مفصل العرب واليهود في التاريخ -بغداد/ ١٩٨١ -ص٤٣٥.

ونحن نحفظ لهم فضلهم في تبويب هذا التراث وإعداده وفهرسته وتحليله، ولكننا حين نتقصّى وجهة نظرهم في كثير من القضايا، وخصوصاً الدينية منها، فهي غالباً ما تكون خاضعة لأحد أمور ثلاثة: اما محاولة فهم الاسلام على انه دين لاهوتي خالص، فهو كالمسيحية والبوذية، بينما الاسلام دين ومنهج وحياة.. وإما انهم تأثروا بوجهة نظر السياسة الاستعمارية فخضعوا لها، واما ان ادواتهم البيانية والفكرية قصرت عن فهم طبيعة الاسلام والفكر الاسلامي الذي يربط بين الثابت والمتغير، والروحي والمادي، والدنيوي والأخروي، واغلب ما تجيء اخطاؤهم في العجز عن فهم الوحي والنبوة. ولذلك فإن اغلبهم ينسبون القرآن الكريم الى الرسول محمدﷺ شكلاً ومضموناً، وبعضهم يعد الرسولﷺ مصلحاً اجتماعياً فحسب، وبذلك فقد حرص كثير منهم على الاهتمام بالجوانب التي يعرّفها المسلمون بـ (المحكم والمتشابه) و (الناسخ والمنسوخ) و (الخاص والعام) في القرآن الكريم، على انها جوانب ضعف واضطراب فيه. كما انهم يحاولوا دائما المقارنة بين النصوص القرآنية التي حكت قصص الانبياء بما ورد في الكتاب المقدس بعهديه (القديم) و (الجديد) وراح بعضهم يقارن الاحداث بما يجيزه العلم والمنطق الطبيعي وما لا يجيزه، امثال (نملة سليمان) و (ناقة صالح) و (عمر نوح) وغيرها، فخرجوا بذلك عن روح المقصد الالهي بهذه القصة او تلك.

والأنكأ من ذلك، ان نجد من بين كتّابنا ومؤرخينا -نحن العرب والمسلمين- من يروّج لهذه الافكار، وكانها مسلّمات لا جدال فيها ولا تقبل المناقشة ما دامت قد صدرت عن هذا المستشرق او ذلك، وتحت غطاء الاطمئنان الى البحث العلمي الموضوعي الدقيق الذي اخذ هؤلاء المستشرقون انفسهم به، متناسين ان معظم اولئك هم من اليهود الذين يعتمدون(العهد القديم) في تقييم تاريخ الانسانية الديني.

لقد سكت اليهود، وهم يعيدون كتابة التوراة في المنفى متعمدين عن تاريخ النبي اسماعيل بن ابراهيمعليه السلام، وذريته من العرب. وفي العصر الحديث اخذ مؤرخو

الصهيونية في إثارة الشبهات حول وجود اسماعيل(عليه السلام). وجرى (طه حسين) في مجراهم، فزعم ان وجود ابراهيم واسماعيل اسطورة من الاساطير[10]. بينما تشير الحقائق التي توصل اليها البحث العلمي بعد الحفريات والآثار التي إكتشفت في السنوات المئة الاخيرة الى نقيض نظريات اليهود التلمودية ودعاواهم وتؤيد القرآن الكريم. وقد استطاع المرحوم عبد الحميد جودت السحار أن يصل الى نصوص قديمة تؤيد ما ذهب اليه القرآن الكريم، واثبتها في كتابه القيّم (محمد رسول الله والذين معه) وفيه إضافات هامة للباحثين عن عصر ما قبل الاسلام تكشف عن الزيوف والشبهات العديدة التي قدمها الاستشراق والتغريب الى الفكر الانساني.

إننا إذا اردنا تقييم الوثاقة التاريخية لقصص الانبياء في القرآن الكريم فعلينا ان نضع نصب أعيننا اولاً: أن القرآن الكريم ليس كتاب تاريخ ولا كتاب تراجم وسير، بل هو كتاب تشريع ودعوة، إتخذ من قصص الانبياء والصالحين والامم الخالية، وسيلة للعبرة والعظة. فهي عرض للمثل العليا مطبقة في حياة شخص او جماعة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[سورة يوسف: ١١١].

كما رمى القرآن الكريم الى تحقيق التعليم عن طريق الإيحاء، أي: إيصال الفكرة الى الآخرين من غير أمر او تلقين مباشر. والقصة القرآنية تعد من أهم وسائل الايحاء. ففي تضاعيفها تعرض المواقفَ المشرقة والاخلاق الفاضلة والثبات على العقيدة السلمية.

والى جانب ذلك، فقد كانت قصص الانبياء تثبيتاً للرسول(صلى الله عليه وآله) وتذكيره بانه ليس اول من دعا الى الله -تعالى- فكذبه قومه وآذوه، بل سبقه انبياء ورسل ابتلاهم الله- تعالى -باقوام كذبوهم وآذوهم فصبروا على ما كذبوا وأوذوا. قال -تعالى-مخاطباً نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله): ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ

(١٠) انور الجندي -مقدمات العلوم والمناهج-ط/ القاهرة -١٩٨٣ -ج٥ ص٢٤٢.

﴿أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [سورة هود: ١٢٠]. وقال-تعالى -: "﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [سورة الاحقاف: ٣٥].

لذلك فقد جاءت قصص الانبياء في القرآن الكريم، مبتسرة، بعيدة عن التعرض لجزئيات الحدث. من ذلك مثلاً قوله - تعالى -عن ايوب﴿ع﴾ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [سورة ص: ٤٤].

فلم يشر القرآن الكريم الى المضروب من يكون، والى اليمين الذي امر الله - تعالى -به ايوب﴿ع﴾ الا يحنث به، ما هو؟ مما دعا المفسرين -على الاطلاق -الى ان يخوضوا غمار الروايات والاحتمالات والاجتهادات، والتي لم يقم اكثرها، بل كلها على دليل قاطع.

يقول (الفخر الرازي) في تفسير هذه الاية الكريمة: أن هذا الكلام يدل على تقدم يمين منه﴿ع﴾. وفي الخبر، أنه حلف على زوجه، ثم إختلفوا في السبب الذي لأجله حلف عليها. ويبعد ما قيل انها (أي زوجته) رغّبته في طاعة الشيطان... ! ويبعد ايضاً ما روي انها قطعت الذوائب عن راسها، لان المضطر الى الطعام، يباح له ذلك. بل الاقرب انها خالفته في بعض المهمات، وذلك انها ذهبت في بعض المهمات فابطات فحلف في مرضه ليضربنها مئة إذا برئ. ولما كانت حسنة الخدمة، لا جرم، حلل الله يمينه باهون شيء عليه وعليها، وهذه الرخصة باقية شرعاً[١١]. وإذا كان (الفخر الرازي) قد سلك طريق التخفيف في إبلاء الامر الاهتمام المطلوب، فان (القرطبي) افاض في الامر واحتمل ان يكون السبب احد اربعة اقوال، لا تخرج كلها عما في كتب التفسير الاخرى، إن لم نقل أنه جمعها[١٢].

وإذا كان (الفخر الرازي) قد استبعد هذه الاحتمالات، فان التوراة قد اثبتتها. ففي (سفر أيوب) الاصحاح التاسع، جاء النص الآتي: «فقالت له امراته اتبقى الى الان متمسكاً بنزاهتك؟! جدّف[١٣] على

(١١) الخفر الرازي -مفاتيح الغيب -ج٢٦ ص٢١٥.

(١٢) القرطبي -الجامع لاحكام القرآن -ج١٥ ص٢٢١.

(١٣) في (لسان العرب): جدّف يجدّف تجديفاً بنعمة الله: كفرها ولم يقنع بها. وفي الحديث: شر الحديث التجديف اي كفر النعمة.

الله ومت. فقال (ايوب): كلامك هذا كلام امراة جاهلة، أنقبل الخير من الله وأما الشر فلا نقبله؟!».

والامر نفسه يسري على حكاية خلق (آدم) وتعليمه الاسماء كلها، والامر الإلهي بالسجود له، وهبوطه الى الارض، ومتى كان ذلك؟ فروايات المؤرخين المسلمين تقول إنها كانت قبل ما لايزيد على عشرين الف سنة (راجع تاريخ ابن الوردي) في حين تشير الحفريات الاثارية والمعلومات الجيولوجية الى ان عمر الارض يقدّر بمئات ملايين السنين. وفي المتحف العراقي يعرض هيكل عظمي يعود الى خمسة واربعين الف سنة، وهو عصر حديث إذا ما قيس بتاريخ إنسان النياندرتال أو عصر الديناصور. لقد إستند المؤرخون في هذه المسالة الى اساطير التوراة والملاحم القديمة والى الخيال العلمي الذي يحاول ان يمنطق هذه الامور. في حين إننا لا نجد في القرآن الكريم ما يشير الى ذلك، وهو ما يعزز القول بان (آدم) لم يكن اول مخلوق في الارض. والى ذلك اشارت الاية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

لقد تجلت المشكلة واخذت ابعاداً مظلمة، مثيرة للجدل عندما حاول بعض المفسرين التوسع في التعريف بقصص الانبياء، فطافوا على احبار اليهود ورهبان النصارى والقصاص فتناولوا منهم ما يشفي غليلهم، وإنبرى لذلك رواة قعدوا لمثل هذه الروايات كل مقعد أمثال (كعب الاحبار) و (وهب بن منبه) حتى لقد صدر عن رواياتهم ما يمكن ان يكون تفسيراً توراتياً للقرآن الكريم، وبلغوا في ذلك كل مبلغ. وقد ضمّن الشيخ (محمد بن احمد بن إياس الحنفي) كتابه (بدائع الزهور) حشداً ضخماً من هذه الاباطيل منسوبة الى (ابن عباس) و (مجاهد بن جبر) و(وهب بن منبه). ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[سورة البقرة: ٣٦]. مرفوعاً الى (إبن عباس)، أن إبليس لما أهبط الى الارض نكح نفسه بنفسه،

فباض اربع بيضات، ففرق في كل قطر من الاقطار بيضة، فجميع من في الارض من الشياطين من تلك البيضة[١٤]. وفي مكان آخر يقول: وكان آدم وحواء يبكيان على مافات من نعيم الجنة، فخرج من دموعهما الحمص والفول[١٥]...!.

واذا كنا نلتمس عذراً لإبن إياس الحنفي لكونه محدّثاً يقول ما يروى من دون محاكمة او تثبّت، ما دام سند روايته متصلاً (في نظره)، فما بال شيخ المفسرين والمؤرخين (محمد بن جرير الطبري) قد وقع في الشَّرَكِ نفسه فلم يتحرّج من عدم التبصر فيما يكتب؟! فكيف يُسَوِّغ له ان يصدّق بخبر وفاة النبي هارون أخي موسى عليه السلام، وعلى هذه الصورة التي لا نفرغ من قراءتها، حتى يطلع علينا بخبر وفاة موسى عليه السلام، وبهذه الصورة أيضاً!: «حدثنا ابو كريب، قال حدّثنا مصعب بن المقدام، عن حماد بن سلمة، عن عمار بن ابي عمار (مولى بني هاشم) عن ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن ملك الموت كان ياتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه. !! قال: فرجع فقال يارب ان عبدك موسى فقأ عيني، ولولا كرامته عليك لشققت عليه. فقال: إئت عبدي موسى فقل له فليضع كفه على متن ثور، فله بكل شعرة وارت يده سنة وخيّرهُ بين ذلك وبين ان يموت الآن. قال: فأتاه فخيَّرهُ، قال له موسى: فما بعد ذلك ؟ قال: الموت. قال: فالآن إذن. قال: فشمه شمةً قبض روحه بها. قال: فجاء بعد ذلك الى الناس خفيةً[١٦]».. ! ولا اجد بي حاجة الى التعقيب على هذه الرواية السمجة، ولكنني اعوذ بالله من ان اصدق ان النبي صلى الله عليه وآله قد رواها، فهي إما ان تكون موضوعة عن لسان ابي هريرة أو ا ن ابا هريرة قد كذبها على الرسول صلى الله عليه وآله..!.

وليتني اعرف كيف ضبط (اليعقوبي) عمر آدم وذريته باليوم والتاريخ والساعة وباعمار تخالف الطبيعة البشرية لمعدل عمر الانسان، فجعل (آدم) يعيش تسعمائة

(١٤) ابن إياس الحنفي -بدائع الزهور (المختصر) -ص٤٧.
(١٥) المصدر نفسه -ص٤٩.
(١٦) تاريخ الطبري -بتحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم -ج١ ص٤٣٤.

وثلاثين عاماً، وابنه (شيث) عاش تسعمئة وإثني عشر عاماً، و (آنوش بن شيث) عاش تسعمئة وخمسة وستين عاماً، وابنه (قينان بن آنوش) عاش تسعمئة وعشرين عاماً، وابنه (مهلائيل) عاش ثمانمئة وخمسة وتسعين عاما ًوإبنه (يرد بن مهلائيل) عاش تسعمئة وإثنين وستين عاماً. وضبط (اليعقوبي) تاريخ وفاة هذا الاخير بساعة مغيب الشمس من يوم الجمعة، الاول من آذار[١٧]. !! في حين ان القرآن الكريم عدّ امتداد العمر الى غير المعهود معجزة خصّ بها النبي نوح(عليه السلام)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ١٤].

ثم ان اليعقوبي ينقل وينصرف في العرض والاسلوب نصوصاً مستفيضة من العهد القديم في ما يخص وصايا موسى لقومه. وهو امر كان بمقدوره ان يستغني عن ذكرها لانعدام وثاقتها التاريخية، او في الاقل ان يكتفي بما اورده القرآن الكريم من تلك الوصايا والتي نجدها في ثنايا أخبار موسى وبني اسرائيل.. . ويبدو انه لم يسمع بحديث وفاة موسى على الصورة التي رواها الطبري، فقد قال: «ثم صعد موسى الى جبل نابون... فمات في ذلك الموضع[١٨]».

مثل هذا يقال عن معظم الروايات التي حكت قصص الانبياء (أو بالأحرى: التي حاكت قصص الانبياء)، والتي لم يتورع المفسرون احياناً من الطعن في نزاهة النبي المحكي عنه والقدح في عصمته، والحط من أخلاقه، وهو أمر تأثروا فيه بالكتاب المقدس (العهد القديم) وبالتلمود[١٩]، وغيرهما، فضلًا عن اساطير بني اسرائيل التي توارثوها كابراً عن كابر. ولم يسلم من شرور امثال هذه الروايات كبار علماء المسلمين القدامى في التاريخ والتفسير كالطبري وابن كثير، والمحدثون مثل (نعمة الله الجزائري) ابن

(١٧) تاريخ اليعقوبي -ط/ دار صادر -بيروت- ج١ ص٨ وما بعدها.

(١٨) تاريخ اليعقوبي -ج١ ص٤٦.

(١٩) التلمود: هو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلت شفوياً مقرونة بتفاسير رجال الدين اليهود.

كثير و (إبن أياس الحنفي) و (منصور المرهون) في كتابه (قصص القرآن)، وحتى بعض الذين حاولوا تنقية التاريخ من تلك الروايات، وقعوا في مطب الاستشهاد ببعض المواقف المشبوهة (كما اسلفنا عن موقف القرطبي في تفسيره).

ولنا فيما حكي عن نبي الله داود عليه السلام عن قصة الخصمين والنعاج التسع والتسعين، وما تبعها من قصة (اوريا الحثّي) مندوحة عن غيرها من الحكايات. والغريب ان من المفسرين كالطبري والسيوطي، من يرويها على انها من المسلمات التي تطمئن النفس إليها من غير ما تعقيب. ومنهم من يعقب عليها بكلمة (لا يصح) كالقرطبي، ومنهم من رواها بتحفظ ابداه في تصديقها كالطبرسي في مجمع البيان، والزمخشري في الكشّاف. ومنهم من حمل عليها حملة شعواء وكذبها من اساسها كابن حيان في (البحر المحيط) الذي يرفض تفسير القصاص جملة وتفصيلاً، فهو يقول: ويُعلم قطعاً أن الانبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا، لايمكن وقوعهم في شيء منها. ولو جوَّزنا عليهم شيئاً من ذلك، بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون انه اوحى الله به اليهم»فما حكى الله -تعالى-، يمر على ما اراده، وما حكى القصاص مما فيه غض عن منصب النبوة طرحناه، ونحن كما قال الشاعر:

ونؤثر حكم العقل في كل شبهة

إذا آثر الأخبار جلاّس قصاص[٢٠]

وملخص القصة (لمن يريد إستذكارها لما وردت في كتب التفسير المأثور)، أن الشيطان اراد ان ينكل بداود نبي الله عليه السلام، فتمثل له في هيئة طير من ذهب وقع في حجره وهو يصلي في محرابه وكان لداود حفيد يحبه، فاراد ان يتحفه بهذا الطير، فمد يده ليأخذه، فطار الى كوة نافذة في الجدار، فقام داود واراد ان يمسك به فطار الى الخارج، فتبعه داود بنظره فوقع بصره على إمرأة عارية على سطح منزلها تغتسل، فرآها آية من آيات الحسن والجمال، فسال عنها، فقيل له هذه إمرأة جندي في جيشك إسمه (اوريا) فامر به فارسل الى الحرب،

(٢٠) ابو حيان الاندلسي -تفسير البحر المحيط- مط/ السعادة بمصر ١٣٢٩ هـ -ج٧ ص٣٩٣.

وامر ان يقدموه، فلما قتل (اوريا)، تزوج داود بامرأته فانجبت منه (سليمان). فعاتبه الله -تعالى- بان ارسل اليه ملكين في هيئة رجلين متخاصمين، قال احدهما بانه يمتلك نعجة واحدة، ويمتلك اخوه تسعة وتسعين نعجة وان اخاه على كثره ما يمتلك من نعاج سأله ان يعطيه نعجته ليضمها الى نعاجه التسع والتسعين. وقد حكم داود على الفور مقرراً انه قد ظلمه بطلبه اياها. غير ان داود بعد ان حكم بينهما... فطن الى النكتة وانه هو المعني بالمثل لانه كانت له تسع وتسعون زوجة وطمع في إمراة (اوريا) فاستغفر ربه...

بهذه القصة الهزيلة فسّروا قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [سورة ص: ٢١-٢٤].

وأول ما يطالعنا في المسألة هو النص الوارد في (التوراة -سفر صموئيل الثاني -الاصحاح) حول هذه القضية، فلنقتطف جملاً كما وردت نصاً في الاصل: «وعند المساء قام داود عن سريره وتمشى على سطح القصر. فرأى على السطح إمرأة تستحم، وكانت جميلة جداً، فسال عنها، فقيل له هذه (بتشابع) بنت (أليعام) زوجة (اوريا الحثي)، فارسل اليها رسلاً عادوا بها، وكانت إغتسلت وتطهرت، فدخل عليها ونام معها ثم رجعت الى بيتها. وحين احست انها حبلى اعلمته بذلك... فلما طلع الصباح كتب داود الى (يوآب) مكتوباً وارسله بيد (اوريا) يقول فيه: وجهوا اوريا الى حيث يكون القتل شديداً وإرجعوا من ورائه فيضرب العدو ويموت... فخرج رجال المدينة وحاربوا (يوآب) فسقط لداود بعض القادة، ومن بينهم (أوريا الحثي)... فأرسل الرب (ناتان) الى النبي داود، فجاءه وقال له: كان رجلان في احدى المدن احدهما غني

والآخر فقير. وكان للغني غنم وبقر كثير جداً ولم يكن للفقير غير نعجة واحدة إشتراها ورباها وكبرت معه ومع بنيه.. . فنزل بالرجل الغني ضيف فلم يشأ ان يأخذ من غنمه وبقره ليهيئ طعاماً للضيف بل اخذ نعجة الرجل الفقير... فغضب داود على الرجل الغني جداً... فقال له (ناتان): انت هو الرجل، هذا ما قال الرب إله بني اسرائيل».

يقول الطبرسي: ان هذا الخبر لا شبهة في فساده، فان ذلك مما يقدح في العدالة، فكيف يجوز ان يكون انبياء الله الذين هم امناؤه على وحيه، وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته، وعلى حالة تنفر من الاستماع اليه والقبول منه، جلّ انبياء الله عن ذلك[٢١].

اما (الفخر الرازي) فقد حمل على الرواية بشدة، وقدّم لتعليقه عليها بقوله: والذي ادين به واذهب اليه ان ذلك باطل، وان هذه الحكاية لو نسبت الى افسق الناس واشدهم فجوراً، لاستنكف منها الرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل لبالغ في تنزيه نفسه، وربما لعن من ينسبه اليها، واذا كان الامر كذلك، فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم اليه[٢٢]؟!.

وذكر (الزمخشري) القصة، وعقب عليها بقوله: فهذا ونحوه مما يقبح ان يحدَّث به عن بعض المتسمين بالصلاح من افناء المسلمين فضلاً عن بعض اعلام الانبياء وعن (سعيد بن المسيب) و (الحارث بن الاعور) ان علي بن ابي طالب عليه السلام قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص، جلدته مئة وستين، وهو حد الفرية على الانبياء[٢٣].

ولم ينتبه الى الأصل اليهودي للقصة إلا قلة من المفسرين المحدثين كالسيد (محمد حسين الطباطبائي) حيث دلّ على موضع القصة في (العهد القديم)، وفسّر

(٢١) ابو علي الطبرسي -مجمع البيان في تفسير القرآن -الطبعة المحققة -بيروت ١٩٩٧- ج٨ ص٢٧٤.

(٢٢) الفخر الرازي -مفاتيح الغيب -ج٢٦ ص١٩١.

(٢٣) الزمخشري -الكشّاف -ط/ بيروت ١٩٩٥ -ج٤ ص٧٨.

الآيات متقدمة الذكر بقوله: «التدبر في آيات الكتاب المتعرضة لقصة دخول المتخاصمين على دواد﵇، لا يعطي ازيد من كونه إمتحاناً منه -تعالى -له في ظرف التمثل ليربيه تربية إلهية ويعلمه رسم القضاء العدل. فلا يجوز في الحكم ولا يعدل عن العدل[٢٤]».

أما (سيد قطب) فانه ينعى على بعض المفسرين إنحيازهم الى رواية (اوريا) ويرى ان فتنة الخصمين إنما كانت بسبب استعجاله في الحكم حيث لم يستمع الى دعوى الخصم الثاني، وهو أمر يخالف العدالة... فيقول: وخاضت بعض التفاسير مع الاسرائيليات حول هذه الفتنة خوضاً كبيراً، تتنزه عن طبيعة النبوة، ولا يتفق إطلاقاً مع حقيقتها. فحتى الروايات التي حاولت تخفيف تلك الاساطير، سارت معها شوطاً وهي لا تصلح للنظر من الاساس ولا تتفق مع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ والتعقيب القرآني الذي جاء بعد القصة يكشف كذلك عن طبيعة الفتنة ويحدد التوجيه المقصود بها من الله لعبده الذي ولاه القضاء والحكم بين الناس[٢٥].

وإذا تتبعنا تفسير آيات سورة (ص) لوجدنا أن معظم المفسرين بالمأثور، قد خاضوا في قصة النبي سليمان بن داود﵇ مع (الصافنات الجياد) و (الجسد) الذي القى على كرسيه، ويفيضون في سرد روايات سمجة لا يسمح العقل بتصديقها في نبي يؤمن المسلمون إجماعاً بعصمته. وأشد ما في الرواية من السماجة، حديث خاتم سليمان الاسطوري الذي صورته الملاحم الاسرائيلية وكأنه سرّ ملك سليمان. وأن إبليس سرقه بطريقة مسرحية، فراح يعبث بنساء (سليمان) زنىً وسفاحاً، حتى إكتشفه وزيره (آصف بن برخيا).. الى آخر الاسطورة.

ومثل هذه الروايات كثيرة تنتهي عدة منها الى (إبن عباس) وهو يصرح في بعضها أنه أخذه عن (كعب)، أن ملك

(٢٤) محمد حسين الطباطبائي -الميزان في تفسير القرآن -بيروت/ ١٩٩٧ (٢٢ مجلد) - ج١٧ ص٢٢٠.

(٢٥) سيد قطب -في ظلال القرآن -ج٧ ص٩٧.

(سليمان) كان في خاتمه فتخطفه شيطان منه فزال ملكه وتسلط عليه الشيطان أياماً ثم اعاد الله الخاتم اليه فعاد الى ما كان عليه من الملك يقول (الطباطبائي): فهذه كلها مما لا يعبأ بها وإنما هي مما لعبت به أيدي الوضع[٢٦].

ونحن مع المرحوم (سيد قطب) في تصريفه لهذه الاباطيل بقوله: والإشارتان الواردتان هنا عن الصافنات الجياد، وهي الخيل الكريمة وعن الجسد الذي ألقى على كرسي سليمان، كلتاهما إشارتان لم تسترح نفسي لأي تفسير او رواية مما إحتوته التفاسير عنها. فهي أما إسرائيليات منكرة، وأما تأويلات لا سند لها. ولم استطع ان اتصور طبيعة الحادثتين تصوراً يطمئن اليه قلبي، ولم اجد أثراً صحيحاً أركن إليه في تفسيرهما وتصويرهما، سوى حديث عن الرسول صلى الله عليه وآله مؤداه أن سليمان عليه السلام قال: لأطوفن الليلة على سبعين إمرأة، كل واحدة تأتي بفارس، يجاهد في سبيل الله، ولم يقل: إن شاء الله. فطاف عليهن فلم تحمل إلا إمرأة واحدة جاءت بشق رجل.. وجائز أن تكون هذه هي القصة التي تشير اليها الآيات هنا، وان يكون الجسد هو الوليد الشق.. ولكن هذا مجرد إحتمال... وكذا الحال بالنسبة لرواية الخيل. فكلتا الروايتين لا دليل عليهما ويصعب الجزم بشيء منها[٢٧].

ولم تقف روايات المفسرين عن الأنبياء السابقين بل إمتدت أيديهم الى تفسير بعض آيات سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وآله لتصبغها بالصبغة نفسها التي لوّنت بها حكايات (آدم) و (نوح) و (داود). فنحن نجد شبيهاً لهذه التفاسير عند (الواحدي) في (اسباب النزول) و (إبن كثير) و (الطبري) و (السيوطي) من حكايات (شرح الصدر) و (سحر لبيد بن أعصم النبي) وغير ذلك مما لا تجوز نسبته الى النبي المعصوم، وقد أعرضنا عن تفصيلاتها لضيق المقام.

إن هذه النزعة القصصية في التفسير، قوّت زعم المستشرقين لأن يقولوا عن العرب أنهم شعب أساطير أو (نسميّة) وأن القرآن جاء به (محمد) لكي يوائم

(٢٦) الميزان –مصدر سابق –ج١٧ ص٢٠٨.

(٢٧) في ظلال القرآن –ج٧ ص٩٤.

(التيار النّسمي) عند العرب. يقول (هاملتون جب): والحق إن الصراع بين هذه التفسيرات السحرية والغيبية لا يشكل القصة التاريخية للتطور الديني الاسلامي فحسب، وإنما يميز الموقف الداخلي للإسلام -من حيث هو دين -في العصر الحاضر، وإن نشأة الاسلام في مجتمع مؤمن بالنّسمية (أي عالم الغيب والارواح والجن والملائكة) كمجتمع الجزيرة العربية الجاهلية، حقيقة ذات اهمية بالغة في تاريخ الاسلام[٢٨].

وخلاصة القول: أن الذي يقف عنده الباحث المتتبع هو أن القرآن الكريم، كتاب تشريع وهداية ودعوة الى الله تعالى، وهو معجز في بيانه وفي نظمه لا بوثاقته التاريخية، مع إيماننا بصحة كل ما ورد فيه من أخبار. وأنه ضرب امثلة من الانبياء بما يوافق الطبيعية البشرية للانسان في كل عصر. وإذا كان قد تعدى ما وراء الطبيعة، فذلك هو (الغيب) الذي مدح الله -تعالى -المؤمنين به، وفيه إظهار قدرة الله وإعجازه لمخلوقاته. ولايجوز لنا بحال من الاحوال التوسع في الحديث عنها، لاننا بذلك سوف نخمد جذوة اشراقها، ونحوّلها الى شيء قد يثير حفيظة المتزمتين في الأخذ بالنظريات المادية الطبيعية، فإفاضة الحديث عن (ذي القرنين) او (صاحب موسى) او (هدهد سليمان) او النملة التي كلمته او (ناقة صالح) وغيرها. وهذا هو السبيل الامثل للموضوعية في عرض قصص الانبياء ليتحقق الهدف الاسمى الذي اراده القرآن الكريم.

وكم نحن محتاجون الى فهم القرآن الكريم بعيداً عن التطرف في تصديق الروايات او التطرف في إهمالها. وإذا آمنا بان القرآن الكريم لا يسوق القصة عبثاً، صار لزاماً علينا الغوص في غمرات القصة لاستخلاص الهدف من سوقها. فلا احد يستطيع ان يقنع آخر بأن (هدهد سليمان) طار من فلسطين الى ارض اليمن وجاء بخبر بلقيس (كما وردت في سورة النمل). ولكي نكون ايجابيين في هذا الموقف علينا:

١. الايمان بالخبر على انه صادق ما دام هو

(٢٨) هاملتون جب -دراسات في حضارة الإسلام -ترجمة د. إحسان عباس -الفصل الحادي عشر.

وحي إلهي.

٢. الايمان بانه من المعجزات الخاصة التي لا يهبها الله الا لمن يشاء من عباده. اذ من المستحيل ان نؤمن بها على انها قانون طبيعي.

٣. الاعراض عن التوجهات الفضولية في تقصّي الجزئيات: كيف ولماذا؟ واين؟.

٤. التاكيد على الجانب الربطي في هذا الحدث الخارق للعادة ويكون على الشكل الآتي (مثلاً): لقد شهد القرآن الكريم على ما يعدّه علماء الاجتماع من أسباب نهوض المجتمعات وإنحلالها، حالة الدين والعقيدة، ونبّه الى ذلك في قصة سليمان مع بلقيس ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [سورة النمل: ٤٢ -٤٣].

فقد كانت عبادتها للشمس مما صدها عن حصول العلم النافع. إذ انها بذلك الاعتقاد الباطل، منصرفة عن الرشد الفكري واستكمال الحضارة الصحيحة. لأن اعمال الناس تتكيف بحسب ما يصدر من معتقداتهم من افكار وسلوك[٢٩].

وبذلك فاننا نخالف الاستاذ (احمد موسى سالم) الذي يرى ضرورة ان يكون القرآن الكريم في منهجه القصصي القائم على الحق والتتبع لسنن الله في حركة الواقع الاجتماعي بالصدق ركيزة الدراسة التحليلية والنقدية لادب الرواية والمسرح من عهد اليونان[٣٠] ولو اننا فعلنا ذلك، فعلينا إذن ان نبحث عن عناصر الرواية التي حصر بها النقّاد هذا الفن، ولأضعنا الهدف وحشونا القرآن الكريم في عداد كتب الروايات الادبية التي تخضع لأقيسة النقّاد او لاتخضع. ورحم الله (عبد الوهاب النجار) الذي ختم مقدمة كتابه (قصص الانبياء) بمقولة الامام أحمد رضي الله عنه: ثلاثة ليس لها اصل: التفسير والملاحم والمغازي..

(٢٩) محمد الطاهر بن عاشور -أصول النظام الاجتماعي والدولي في الإسلام -ط/ تونس ١٩٦٤ -ص٣٠.

(٣٠) احمد موسى سالم -قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح -ط/ دار الجبل بيروت -ص٨.

تَرْتِيبُ الأنبياءِ
وَما تفَرَّعَ عَلَيْهِمْ فِي القُرآنِ الكريمِ

رفاه عزيز العارضي
ماجستير لغة عربية- الديوانية

ملخص البحث

تحاول السيدة الباحثة تقرير أن (الترتيب) تعبير لا يعني (التقديم و التأخير) كتقديم المبتدأ على الخبر في النحو أو تقديم المفعول على الفاعل في البلاغة ، إنما هو شيء آخر يبحث في اسرار وقوع الكلمات في مواقعها، ما جاء منها على الأصل، وما جاء على خلافه.

ويدور البحث ضمن ثلاثة محاور:

المحور الأول: ترتيب الأنبياء

المحور الثاني: ترتيب الكتب السماوية

المحور الثالث: ترتيب من ينضمُّ اليهم من اصحابهم وقد اعتمد البحث ميادين النحو والبلاغة والتفسير في دعم ما ذهبت اليه الباحثة من آراء، وختمته بما توصلت اليه من استنتاج.

توطئة:

عُني الدرس اللغوي -منذ أنْ كان -بقضية الأصل والفرع، ومنه على وجه الخصوص الدرس البلاغي، فما لم يوافق الأصل يُسأل عن علّته، ومن أهمّ موضوعات الدرس البلاغي موضوع (التقديم والتأخير) الذي هو بالأصل مقولة نحوية ضُمّ إليها ما ليس منها تجوّزاً، وقد تنبّه الزمخشري إلى أنه((إنّما يقال مقدّم ومؤخّر للمُزال لا للقارِّ في مكانه))[1] وإلماع الزمخشري هذا إنّما هو ((اعتبار دقيق ما كان ليفوت الزمخشري وهو من أبرز ذواقي الأساليب))[2] ولم يلقَ هذا الاعتبار الدقيق حظاً من السيرورة والانتهاج، حتى أن الزمخشري نفسه لم يلتزمه طويلاً، ورجع بالدرس إلى طريقة عبد القاهر الجرجاني، فأطلق((التقديم على القار كما أطلقه على المُزال))[3] فالتقديم عند الجرجاني -كما هو عند غيره من البلاغيين-نوعان[4]: الأول: تقديم على نيّة التأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم المفعول على الفاعل أو الفعل، والآخر: تقديم لا على نيّة التأخير كتقديم المبتدأ على الخبر وتقديم الفعل على الفاعل.

والمفردات أو الجمل (القارّة) تخضع للترتيب لا للتقديم والتأخير -إذا تحرّينا الدقّة في التعبير -فلا يُقال عنهما إن بعضها قُدم على بعض، لأن التقديم يشي ويقضي بأن ثمة أصلاً عُدل عنه، وليس ثمة أصل، ولعل هذا الاعتبار الدقيق هو الذي دعا الكثير من المفسرين ومن اشتغل في حقل الإعجاز القرآني في أحايين كثيرة؛ إلى استعمال مصطلح (الترتيب) بدلاً من (التقديم والتأخير) أو إلى جنبه، ولا مِراء في أن البلاغة تهتم بأسرار الترتيب بهذا المعنى كما تهتم بأسرار التقديم والتأخير،

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ): ٢/ ٤٨.

(٢) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية.د. عبد العظيم إبراهيم المطعني: ٢/ ٨١.

(٣) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية: د. محمد حسنين أبو موسى: ٢٧٠.

(٤) ينظر: دلائل الإعجاز أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت: ٤٧١ أو ٤٧٤هـ): ١٠٦ -١٠٧.

فهي((تبحث عن أسرار وقوع الكلمات في مواقعها ما جاء منها على الأصل وما جاء على خلافه؛ لأنها يمكن أن تقول لِمَ جاء هذا الأسلوب على الأصل وكان يمكن فيه المخالفة؟ فالسكوت عن السؤال عن علة ما جاء على الأصل أمر لا يطمئن اليه الدارس المتشوف إلى معرفة أسرار اللغة))[٥] والترتيب -عموماً- مزيّة أسلوبية لها الأثر العظيم في روعة الأسلوب وإظهاره بصورة بديعة من الوفاء بالمعاني ومطابقتها لمقتضى الحال، سواء أ كانت هذه الحال ملاحظاً فيها جانب المخاطَبين أم المخاطِب.

وبهذا يكون قد فُتح الباب واسعاً أمام النظر والكشف، فتوالت الآراء وتعددت الأساليب وبرع الإعجازيون في ذلك، وأسهم المفسرون إسهاماً ليس بالقليل في تقصي الأسباب والدواعي، وإن اختلفوا -قليلاً أو كثيراً- في التحليل والاستقصاء وسأحاول -هنا- أنْ أتلمس أهم دواعي(ترتيب الأنبياء وما تفرع عليهم في القرآن الكريم) مميزةً أدلَّها وأوضحها، وقسمت الموضوع على ثلاثة محاور، هي: ترتيب الأنبياء عليهم السلام، وترتيب كتبهم السماوية، وترتيب أصحابهم وما ينضمّ إليهم.

المحور الأول:
ترتيب الانبياء عليهم السلام:

لقد روعي هذا الأساس في كثير من المواطن في القرآن، ومن ذلك ما في قوله تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾ [سورة البقرة: ١٣٣]. فـ(إبراهيم) بدل من (آباء)[٦] أو عطف بيان[٧]، وقد ابتدأ بـ(إبراهيم) لأنه الأصل[٨]، والجد (أب)[٩]، ثم ذكر (إسماعيل) وهو العمّ،

(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري: ٢٧٠.

(٦) ينظر: البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف المكنّى بـأبي حيّان الأندلسي الغرناطي (ت: ٧٤٥هـ): ١/ ٦٤١.

(٧) ينظر: الكشاف: ١/ ١٧٨، البحر المحيط: ١/ ٦٤١.

(٨) ينظر: البحر المحيط: ١/ ٦٤٢.

(٩) ينظر: التفسير الكبير (مفاتيح الغيب):

إذ قد يُعبَّر عن العم بـ (الأب)[10]، وانتهى بـ(إسحق)؛ لأنه الأب المباشر (الحقيقي) لـ (يعقوب)عليه السلام ، وقد جاء تلوَ (إسماعيل)؛ لأن (إسماعيل) أسنُّ منه[11]. ولقد كثُر أنْ جاء (آل إبراهيم) على هذا الترتيب، من ذلك ما في قوله تعالى ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾[سورة البقرة: ١٣٦]. وهذا الترتيب الذي شمل أسماء الأنبياء ترتيب زمني –أيضاً –وإن زاد على الترتيب الذي في الآية المتقدمة وهو امتداد مقصود، وإنما ذُكر هؤلاء الأنبياءعليهم السلام مبتدئين بالنبي (إبراهيم)عليه السلام؛ لأن المعاندين من أهل الكتاب يرون أنهم على أية حال مهتدون، وقد تقدم على النص –محل الكلام –قولهم ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ ﴾ [سورة البقرة: ١٣٥] فكان الجواب مباشرة ﴿ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ﴾[سورة البقرة: ١٣٥] وهذا التذييل (وما كان من المشركين) تعريض بأهل الكتاب وغيرهم[12]، وإن الحرص على ذكر أسماء الأنبياء على هذا الترتيب فن بلاغي يُدعى (البسط)، وهو ((أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل فيدل عليه باللفظ الكثير، لا لقصد إفهام البليد وإسماع البعيد والتقرير والتوكيد، بل للإتيان بمعانٍ من معاني البديع، ومعاني النفس لا يأتي مجيؤها في اللفظ الوجيز))[13]، ومن فوائده تقريع المخاطَب[14]، وهو كذلك في النص، إذ هو تعريض بمن أصروا أو لاذوا بالتقليد دون أن يُحققوا النظر، ويُعمِلوا الفكر.

ويستمر الخطاب القرآني في محاجة أهل الكتاب ويحرص على هذا الترتيب

فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي(ت: ٦٠٤هـ): ٢١٠: ٢٨.

(١٠) ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ): ١/ ٤٠٠، محاسن التأويل: جمال الدين القاسمي: ١/ ٣٥٣.

(١١) ينظر: التفسير الكبير: ٢/ ٨٤، مجمع البيان: ١/ ٤٠٠.

(١٢) ينظر: الكشاف: ١/ ١٧٩.

(١٣) بديع القرآن: ابن أبي الإصبع المصري(ت: ٦٥٤هـ): ٢/ ٢٥١ –٢٥٢.

(١٤) ينظر: معجم البلاغة العربية بدوي طبانة: ٧٤.

﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ [سورة البقرة: ١٤٠]. ويبدو أن عدم ذكر (موسى) و(عيسى) كان تعريضاً بهم وإنكاراً عليهم، إذ إن اليهودية والنصرانية لم تكونا ديناً لإبراهيم، ولا ديناً لمن خلفه من الأنبياء الذين عُطفوا عليه، فكيف يُعقل أن يؤمنوا ويكونوا على دين جاء بعدهم، وهذا ما صرح به القرآن في غير موضع، قال تعالى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾ [سورة آل عمران: ٦٥ -٦٧]. وحافظ النص على ترتيب (آل إبراهيم) ترتيباً زمنياً في كل القرآن سواء أكان ذلك بذكرهم جمعاً وإجمالاً، أم بذكر بعضهم كما في قوله تعالى ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٥]. وقوله ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [سورة آل عمران: ٨٤]. وقوله ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ [سورة يوسف: ٦]. وقوله ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾ [سورة مريم: ٥٨].

وكثيراً ما تصدّر نوح عليه السلام سلسلة الأنبياء عليهم السلام في الخطاب القرآني حينما يكون الأمر تكليفاً بالهداية والتبليغ أو أخذاً بالميثاق، أو ذكراً لأقوام عصت أصحابها أو أحجمت عن الحق، كما في قوله تعالى ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ [سورة الشورى: ١٣] وقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الحديد: ٢٦ -٢٧] وقوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب: ٧] وقوله تعالى ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ [سورة التوبة: ٧٠] أمّا إذا كان الأمر حديثاً عن اصطفاء أو نحوه فيتصدّر آدم عليه السلام هذه السلسلة، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ

﴿إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣] وقوله تعالى ﴿مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [سورة مريم: ٥٨].

ولا يُغفل أنْ جاء في بعض المواضع القرآنية القليلة ترتيب الأنبياء على غير ترتيبهم الزمني، وبدا لبعضهم أن سببه شهرة بعض الأنبياء، وعليه فلا حاجة لمراعاة الترتيب، وأن السبب في ذلك شرفي، ومن هذه المواضع ما في قوله تعالى ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ۝ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٣ -١٦٤] وارتضى الدكتور تمام حسان أن يكون السبب في ذلك شهرة هؤلاء الأنبياء، فلا يُلتفت إلى هذا التشويش من هذه الجهة، قال: ((ترتيب ذكر الرسل يناسب ترتيب وجودهم في الحياة حتى وصلت الآية إلى الأسباط، فجاءت بعدهم مباشرة بعيسى الذي ليس بينه وبين نبينا ﷺ وهو خاتم الأنبياء إلا فترة من الرسل لم يوجد فيها رسول واحد، ثم تلا عيسى في الذكر من هو أقدم منه وجوداً على غير ترتيب، حتى ختمت الآية بموسى ﷺ، ولقد جاء تجاهل الترتيب التاريخي نتيجة لشهرته وعدم الحاجة إلى رعايته في الكلام))[١٥] وليس الأمر بهذا اليسر الذي قدّمه الدكتور تمام حسان، وإنّما كان ذكر عيسى ﷺ في هكذا ترتيب تشريفاً له، قال السيد السبزواري: ((وذكر عيسى ﷺ مقدّماً على غيره من الأنبياء ﷺ تحقيقاً لنبوته وقطعاً لمنازعة اليهود فيه))[١٦] غير أن السيد السبزواري يتوصل الى سبب ذكره بعد (الأسباط)، ويبدو أن سبب ذلك هو إنّما جاء قبل (أيوب) و (يونس) وغيرهما من أنبياء، ولم يجئ قبل الأسباط أو آبائهم (إبراهيم، وإسماعيل، وإسحق، ويعقوب)؛ ذلك أن هؤلاء هم (آل إبراهيم)، ولا يصحّ أن يكون بين الآباء أو قبلهم من هذه الجهة،

(١٥) البيان في روائع القرآن: د. تمام حسان: ١/ ٧٢.

(١٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري: ١٠/ ١٦٩.

وصحّ أن يكون قبل (أيوب) وما بعده؛ لأنهم عليهم السلام ليسوا أسرة واحدة بهذا اللحاظ، وهذا التشريف الذي كان لعيسى وذكره بعد (آل إبراهيم) مباشرة؛ لكون الكلام في ذمّ اليهود من المارين الذين أوغلوا في البهتان والظلم، فهاتان الآيتان -موضع الكلام -كانتا ضمن هذا السياق، وقد تقدّمها قوله تعالى ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٥٦-١٥٨]. وخُصّ زبور داود عليه السلام بالذكر بجملة مستقلة ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ ومعطوفة على (أوحينا اليك)، ولم يعطف اسم داود على بقية الأسماء المذكورة قبله ((للإيماء إلى أن الزبور موحى بأن يكون كتاباً))[١٧] أو لأن لزبور داود ((شأناً خاصاً عند أهل الكتاب، وإلاّ فلا يخرج عن سائر أفراد الوحي))[١٨] وذُيّل الكلام بذكر تكليم موسى عليه السلام ختاماً ((لأن لهذا النوع من الوحي مزيد أهمية، وهو مع تلك المزيّة ليس إنزال كتاب من السماء، فإذا لم تكن عبرة ان لا بإنزال كتاب من السماء حسب اقتراحهم، فقد بطل أيضاً ما عدا الكلمات العشر المنزلة في الألواح على موسى عليه السلام))[١٩]، وهذا تعريض باقتراح اليهود ومطلبهم الذي قد جاء قبل هاتين الآيتين ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ ﴾[سورة النساء: ١٥٣] ومن هنا يتضح أن عدم مراعاة الترتيب الزمني إنّما يكون لحاجة تستدعيها ظروف النص، فلا يكون شيء إلاّ في مكانه الذي يناسبه ويليق به، ومن ثم لا يُركن لوصف الدكتور تمام حسان هذا الترتيب بأنه مشوش سوغه شهرة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام، ومثل هذا الترتيب الذي لا يتماشى والتسلسل الزمني له حضور في النص القرآني، وإن كان بنسبة قليلة، وقد اشتغل في تعليله وبيان وجهه وتلمّس سرّه البياني؛ العلماءُ الذين صنّفوا في بيان الآيات المتشابهات في الكتاب العزيز وهذا الترتيب هو أحد المواضع التي تناولوها وعقدوا لها أبواباً وفرّعوا عليها مسائل.

(١٧) التحرير والتنوير: الشيخ الطاهر ابن عاشور: ٦/ ٣٥.

(١٨) مواهب الرحمن: ١٠/ ١٦٩.

(١٩) التحرير والتنوير: ٦/ ٣٥.

المحور الثاني:
ترتيب كتبهم السماوية:

وممّا يلتحق بهذا الترتيب وينضمّ إليه؛ ترتيب الكتب السماوية الذي حرص عليه القرآن الكريم، ومن ذلك ورود (الإنجيل) عُقيب (التوراة)[٢٠] كما في قوله تعالى ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [سورة آل عمران: ٤٨] وقد وردا بهذا التعاقب الزمني كورودهما عقب (الكتاب) والحكمة اللذين هما أيضاً متعاقبان زمنياً، وذكروا للكتاب أكثر من معنًى، فثمة من قال إنه الخط والكتابة[٢١]، وثمة من قال إنه قُصد به سائر الكتب السماوية سوى التوراة والإنجيل[٢٢]، أمّا الحكمة فقد ذكروا في معناها أنها العلوم العقلية والشرعية[٢٣]، وأمّا التوراة والإنجيل فهما -كما هو معلوم -الكتابان اللذان أُنزل أولهما على نبي الله موسى عليه السلام، وثانيهما أُنزل على نبي الله عيسى عليه السلام الذي جاء مصدقاً لما جاء به موسى، وهذا ما ورد عقب الآية-موضع الكلام -قال تعالى ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [سورة آل عمران: ٥٠] وممّا ورد في هذا الترتيب قول الفخر الرازي: ((والأقرب عندي أن يقال: المراد من الكتاب تعليم الخط والكتابة، ثم المراد بالحكمة تعليم العلوم وتهذيب الأخلاق؛ لأن كمال الإنسان في أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل العمل به ومجموعهما وهو المسمى بالحكمة، ثم بعد أن صار عالماً بالخط والكتابة، ومحيطاً بالعلوم العقلية والشرعية، يعلمه التوراة، وإنما أخّر تعليم التوراة عن تعليم الخط والحكمة، لأن التوراة كتاب إلهي، وفيه أسرار عظيمة، والإنسان ما لم يتعلم العلوم الكثيرة لا يمكنه أن يخوض في البحث على أسرار الكتب الإلهية))[٢٤] وتلمّس الفخر الرازي سبب ذكر الإنجيل عُقيب التوراة، قائلاً:

(٢٠) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي: ٢٠١، ٨٦١.

(٢١) ينظر: التفسير الكبير: ٨/ ٥٩، البحر المحيط: ٣/ ١٥٨.

(٢٢) ينظر: مجمع البيان: ٢/ ٧٥٢.

(٢٣) ينظر: التفسير الكبير: ٨/ ٥٩، البحر المحيط: ٣/ ١٥٨-١٥٩.

(٢٤) التفسير الكبير: ٨/ ٥٩.

((ثم قال في المرتبة الرابعة (والإنجيل)، وإنّما أخّر ذكر الإنجيل عن ذكر التوراة؛ لأن من تعلم الخط، ثم تعلم علوم الحق ثم أحاط بأسرار الكتاب الذي أنزله الله تعالى على من قبله من الأنبياء فقد عظمت درجته في العلم... فهذا ما عندي في ترتيب هذه الألفاظ الأربعة))[٢٥] ومهما يكن من أمر في شأن (الكتاب) فهو سابق زمناً وإيجاداً على الذي بعده بأية حال، وكذا الحكمة سابقة على تصديقه التوراة وتلقيه الإنجيل، ولقد تكرر هذا الترتيب نفسه في غير موضع من القرآن، قال تعالى ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ [سورة المائدة: ١١٠] ومن المواضع التي ورد فيها الإنجيل مسبوقاً بالتوراة ما في قوله تعالى ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾[سورة الأعراف: ١٥٧] ولا تفوت الإشارة إلى أن هذين الكتابين قد سُبقا في موضع واحد بـ(الكتاب) الذي هو فيه بمعنى (القرآن)[٢٦]، قال تعالى ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾[سورة آل عمران: ٣ -٤] وإنما ذُكر تنزيل الكتاب سابقاً على إنزال التوراة والإنجيل، تنبيهاً على فضله وشرفه عند الله تعالى، ولقد ((عبّر عنه باسم الجنس إيذاناً بكماله وتفوقه على بقية الأفراد في حيازة كمالات الجنس كأنه هو الحقيق بأن يُطلق عليه اسم الكتاب دون ما عداه، كما يلوّح به التصريح باسمي التوراة والإنجيل))[٢٧] وذكر الزمخشري سبباً لاستعمال الفعل المضعّف العين (نزّل) مع (الكتاب) واستعمال الفعل المعدّى بـ (الهمزة) مع (التوراة والإنجيل)، وهو أن القرآن نزل منجّماً، أما الكتابان الآخران فقد نزلا جملة واحدة[٢٨]، فكان معنى التكثير حاصلاً في (نزّل) دون سواه[٢٩]،

(٢٥) المصدر نفسه.

(٢٦) ورد لفظ (الكتاب) في القرآن الكريم لأكثر من معنى [ينظر: القرآن والكتاب: د. محمد شحرور: ٥١ -٦١].

(٢٧) محاسن التأويل: ٢/ ٦٤١.

(٢٨) ينظر: الكشاف: ١/ ٢٩٦.

(٢٩) ينظر: غرائب القرآن و رغائب الفرقان: العلاّمة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوري (ت: ٧٢٨ هـ): ٣/ ١٠١.

والمعلوم أن (فعّل) تدل على التكثير وهي كذلك في القرآن[٣٠]، وبذلك فالقرآن أهم وأرفع شاناً من متقدميه من هذه الجهة، ولم يرتضِ أبو حيان رأي الزمخشري هذا، قال: ((إن التعدية بالتضعيف لا تدل على التكثير ولا التنجيم))[٣١] وضرب أمثلة لذلك، منها: قوله تعالى ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ﴾[سورة النحل: ٤٤] وقوله ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾[سورة آل عمران: ٧] فقد استعمل الفعل المعدّى بالهمزة مع (الذكر) و(الكتاب) اللذين هما بمعنى (القرآن)، وهذا يدلّ على ألاّ دلالة في (فعّل) على التكثير والتنجيم في الآية محل الكلام[٣٢]، وذكر في غير موضع أن (نزّل) و(أنزل) بمعنى واحد، فـ (نزّل) لا يدل على التفريق أو التنجيم، واستشهد بقوله تعالى ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾[سورة الفرقان: ٣٢] كما نزلت التوراة والإنجيل[٣٣]، أي إنَّ (نُزّل) استُعمل مع غير المنجم، فلا دلالة في (فعّل) على التنجيم والتفريق، وهو القول الذي أطمأن إليه ابن عاشور، وزاد عليه بأن التوراة والإنجيل نزلا كذلك مفرقين منجمين كشأن ما ينزل على الرسل مدة الرسالة[٣٤]، بمعنى أن الفعل (أنزل) الذي استُعمل معهما لا يؤدي معنى الإنزال الكلي دفعة واحدة، غير أن الذي يُطمأن إليه أن للقرآن نزولات متعددة، فمرّة ينزل منجّماً ومرّة ينزل جملةً واحدةً، كالذي في قوله تعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾[سورة البقرة: ١٨٥] وإنّما أُشير في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ إلى التنجيم تجليلاً وتعظيماً لمقام الكتاب (القرآن) بالنسبة إلى ما ذكر بعده من كتب سماوية[٣٥]، ولم يرد لفظ (القرآن) أو ما يشير إليه متصدّراً قبل ذكر التوراة والإنجيل الصريحين إلاّ في هذا الموضع[٣٦]،

(٣٠) ينظر: الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي: ١٢٧-١٢٩.
(٣١) البحر المحيط: ٣/ ١٦.
(٣٢) ينظر: البحر المحيط: ٣/ ١٦.
(٣٣) ينظر: البحر المحيط: ٨/ ١٠٣.
(٣٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٣/ ١٤٨.
(٣٥) ينظر: مواهب الرحمن: ٥/ ١٣.
(٣٦) تجدر الإشارة إلى أن القرآن تصدّر ما يمكن أن يصدق على التوراة والإنجيل وغيرهما في

إذ تعقبها-هو أو ما يُشير إليه -في أربعة مواضع[٣٧]، منها ما في قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[سورة المائدة: ٦٦] وقوله ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[سورة المائدة: ٦٨] وهو تكرار للنص السابق مع الحفاظ على الترتيب توكيداً له[٣٨]، فقد قيل في معنى ((ما أُنزل إليهم من ربِّهم)) و ((وما أُنزل إليكم من ربِّكم)) إن المقصود هو (القرآن)[٣٩] وقيل: بل هو كتب سائر أنبيائهم، مثل كتاب (دانيال) وكتاب (حيقوق) وكتاب (شيعاء)[٤٠]، ولعل المقصود به (القرآن)، وهو ما حال إليه الزمخشري، إذ إن الآية أومأت إلى أن سبب ضيق معاشهم هو من غضب الله عليهم لإضاعتهم التوراة وكفرهم بالإنجيل وبالقرآن، فتحتّمت عليهم النقمة بعد نزول القرآن[٤١]، وهذا ما يمكن أن يُستفاد من آية أخرى، قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٩٦].

المحور الثالث:

ترتيب أصحابهم وما ينضمّ إليهم:

ومثلما وردت التوراة قبل الإنجيل في جميع المواضع القرآنية التي اقترنا فيها، ورد كذلك (اليهود) قبل (النصارى)، ولم يتخلّفا عن ذلك الترتيب في جميع المواضع، بيد أنه فُصل بينهما بـ (الصابئين) في موضعين[٤٢]، أمّا المواضع الأخرى التي ذُكر فيها (الصابئون) إلى جنب (اليهود) و (النصارى)، فاتفق أن جاء لفظ (اليهود) و(النصارى) متواليين، واطّراد مجيء (اليهود) قبل (النصارى) في جميع المواضع القرآنية التي اجتمعا فيها، وكذا المنسوب

موضع واحد في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[سورة سبأ: ٣١].

(٣٧) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: ٢٠١، ٨٦١.

(٣٨) ينظر: التفسير الكبير: ١٢/ ٥٤.

(٣٩) ١٤ ينظر: المصدر نفسه.

(٤٠) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٦، التفسير الكبير: ١٢/ ٥٠، مواهب الرحمن: ١٢/ ١٣٨.

(٤١) ينظر: الكشاف: ٢/ ٤٦.

(٤٢) [سورة المائدة: ٦٩، سورة الحج: ١٧].

إليها أو وصفها، ومن هذه المواضع ما في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١١١] وفي الآية طيّ، والمعنى أن اليهود قالت: لن يدخل الجنة إلاّ من كان هوداً، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلاّ من كان نصارى، وقد ضُمّ بين القولين ثقةً بأن السامع أو (المتلقي) يردُّ كل قول إلى كل فريق ما قاله، لما علم من تفكير كل واحد منهما صاحبه[٤٣]، فـ(أو) هنا لتقسيم القولين ليعاد كل قول إلى صاحبه، و (أو) من كلام الحاكي - الذي ينقل الكلام -في حكايته وليست من الكلام المحكي، والقرينة على ذلك أنه لو كان من مقولهما لاقتضى أن كلا الفريقين لا ثقة له بالنجاة وأنه يعتقد بنجاة مخالفه، والمعلوم من حال أهل كل دين خلاف ذلك، فإن كلاً من اليهود والنصارى لا يشك في نجاة نفسه ولا يشك في ضلال مخالفه[٤٤]، وكون (أو) للتوزيع الذي هو ضرب من التقسيم، جعل الكلام على سبيل (اللف والنشر)، وهو الذي تحدث عنه ابن سنان في التناسب فقال: ((ومن التناسب أيضا حمل اللفظ على اللفظ في الترتيب ليكون ما يرجع إلى المقدم مقدماً وإلى المؤخر مؤخراً))[٤٥] غير أن قول كل من الفريقين -هنا -مضموم إلى بعض مطوي مجمل، وهو ما يمكن أن يُسمى (اللف والنشر الإجمالي) الذي وصفه ابن جني بأنه ((المجمل الذي يفصله العلم به))[٤٦] وقد تمثّل البلاغيون بهذه الآية لهذا النوع من اللف[٤٧]، ولو كان الكلام كلامهما جميعاً -وهو خلاف الظاهر والمعروف عن هذين الفريقين -لسقط القول بأن (أو) للتوزيع واقتضى أن تكون للتخيير والإباحة، وعندها لا يكون ثمة لف ولا نشر، ولكن السياق المعرفي في كل القرآن يؤكد عكس ذلك، ويقرر أن يكون قول اليهود هو السابق، وقول النصارى

(٤٣) ينظر: غرائب القرآن: ١/ ٣٦٧.
(٤٤) ينظر: التحرير والتنوير: ١/ ٦٧٣.

(٤٥) سر الفصاحة: ابن سنان الخفاجي (ت: ٤٦٦هـ): ٢٢٥.
(٤٦) المنصف: ابن جني (ت: ٣٩٢هـ): ٢/ ١١٧.
(٤٧) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: د. أحمد مطلوب ٣/ ٧٦.

هو اللاحق اتكاء على القرينة التاريخية، قال أبو حيان: ((وقدم (هوداً) على (نصارى) لتقدمها في الزمان))[٤٨] فبذا يصح النشر بعد اللف ويسوغ.

ومثل ذلك يقال في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا﴾ وقوله ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ [سورة البقرة: ١٣٥-١٤٠] ولقد حرص الخطاب القرآني على أن يكون الحديث عن (اليهود) وعن (النصارى) متتابعاً، ولم يحصل أن سُبق الحديث عن (اليهود) بالحديث عن (النصارى) في كل المواضع، ومن ذلك ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [سورة البقرة: ١١٣] وقوله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ﴾ [سورة المائدة: ١٨] وقوله ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وقوله ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ [سورة المائدة: ١٢-١٤] وقوله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣٠]، وكذلك المنسوب إليهما لم يخالف هذا الترتيب الزمني، وقد ورد في موضع واحد، هو قوله تعالى ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ [سورة آل عمران: ٦٧] ويقال مثل ذلك في وصفيهما، فهما على هدى هذا الترتيب، إذ أجمع المفسرون -أو كادوا- على أن غير المغضوب هم اليهود، و ولا الضالين هم النصارى في قوله تعالى ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [سورة الفاتحة: ٧] وممّا استدل به بعضهم قوله تعالى ﴿مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [سورة المائدة: ٦٠] وهؤلاء هم اليهود بدلالة قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [سورة البقرة: ٦٥]، وأما (الضالين) فما يدل على أنهم النصارى قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ

(٤٨) البحر المحيط: ١/ ٥٦٢].

﴿ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾[سورة المائدة: ٧٧] فكل منهما اختص واشتهر بالصفة التي هي عليه(٤٩)، وقيل: إن الوصفين لا يخصانهما بل ينطبقان عليهما(٥٠)، وهو قول بعض المتصوفة(٥١) -أيضاً -ولعل اطّراد تتابع لفظ (اليهود) و (النصارى) وكذا كتاباهما (التوراة والإنجيل) يصحّ قرينة على أن (المغضوب عليهم) هم اليهود وإن صدق على النصارى، وقرينة على أن (الضالين) هم النصارى وإن صدق على اليهود.

وكذا لم يتخلّف مجيء (الرهبان) بعد (الأحبار) في النص القرآني جميعاً، إذ اجتمعا في موضعين على سبيل التعاقب ولم يتغير ترتيبهما، وهما بذلك يكونان على شاكلة تعاقب (اليهود) و(النصارى) وعلى شاكلة تعاقب كتابيهما (التوراة) و(الإنجيل)، وهذان الوصفان في قوله تعالى ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا﴾[سورة التوبة: ٣١] وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة التوبة: ٣٤] والأحبار جمع (حَبْر) أو (حِبْر)، وهو العالم أو الفقيه عند اليهود(٥٢)، ويرى الراغب الأصفهاني أن تسمية الأحبار بـ(العلماء) متأتية من أن معنى (الحِبْر): هو الأثر المستحسن، وحَبِرَ فلان بمعنى: بقي بجلده أثر من قرح، فكأن هذا المعنى استُعير لهم، لما يبقى لهم من أثر علومهم في قلوب الناس(٥٣)، غير أن الأمر ليس على ما ذكر الراغب، إذ ينص البحث اللغوي المقارن على أن (الحبر) بصيغته المفردة ليس لفظاً تختص به العربية، فهو لفظ له وجود في كثير من

(٤٩) مجمع البيان: ١/ ١٠٨، التفسير الكبير: ١/ ٢٦٤، غرائب القرآن: ١/ ١١٢، البحر المحيط: ١/ ٥٣.

(٥٠) ينظر: مجمع البيان: ١/ ١٠٨، البحر المحيط: ١/ ٥٣، البيان في تفسير القرآن: ٤٨٧.

(٥١) ينظر: تفسير ابن عربي (المنسوب إليه): ابن عربي (ت: ٦٣٨هـ): ١/ ٩.

(٥٢) ينظر: شرح الفصيح في اللغة: ابن الجبّان (ت: ٤١٦ هـ): ٢٢٨، لسان العرب: مادة (حبر): ٤/ ١٨٤، التفسير الكبير: ١٦/ ٢٨.

(٥٣) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥هـ) ٢١٥.

اللغات الجزرية (السامية)، إذ إن جذره اللغوي في الأكدية -مثلاً -(إ بْ رُ (م)) بمعنى: رفيق أو صاحب، وهو في العبرية (ح ب ر) أو (ح ا ب ر) بهذا المعنى، وفي الارامية والسريانية أن معنى (ح ب ر ا) هو -أيضاً -الصاحب أو الرفيق[٥٤]، والجذر اللغوي في كل هذه اللغات وكذا العربية متقارب في اللفظ، كما هو بيّن، وذهب فريق من الباحثين المقارنين إلى أن لفظ (الحبر) دخل إلى العربية من السريانية[٥٥]، غير أنه دخل إلى العربية بصيغته المفردة، وأنه جُمع جمع تكسير على طريقة العربية في جمع الكثير من الألفاظ[٥٦]، وربما كان الحبر يعني عند اليهود الصاحب أو الرفيق الذي يهدي أصحابه إلى سواء السبيل أو نحو ذلك من معنى، أو أنه تطورَ إليه لاحقاً.

أما (الرهبان) فهم جمع (راهب) وهو الرجل المتعبد في الصومعة[٥٧]، وقد تمكنت الرهبة والخشية في قلبه وبدت معالم الرهبة تظهر في وجهه ولباسه، واختص لفظ (الرهبان) بعلماء النصارى أصحاب الصوامع[٥٨]، والجذر اللغوي لهذا اللفظ مشترك في اللغات الجزرية ولا يكاد يخرج عن معنى الخوف والرجفة[٥٩].

ولقد تعاقب اللفظان في القرآن الكريم تعاقباً زمنياً، وتجدر الإشارة إلى أنهما وردا غير مجتمعين وقد انضما في ترتيب من نوع آخر، كما في قوله تعالى ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ [سورة المائدة: ٦٣] إذ إن (الربانيين) و(الأحبار) تتابعا فيه تتابعاً شرفياً[٦٠]، ومثل هذا الانضمام انضم لفظ (القسيسين) و(الرهبان)في قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[سورة المائدة: ٨٢] و (القسيس) وهو رتبة دينية عند النصارى دون (الأسقف)[٦١]، ولم يرد

(٥٤) ينظر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم: د. خالد اسماعيل علي: ١٠٩-١١٠.
(٥٥) ينظر: المصدر نفسه.
(٥٦) ينظر: المصدر نفسه.
(٥٧) ينظر: لسان العرب جمال الدين بن أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ)، : ١/ ٥٠٨، مفردات ألفاظ القرآن: ٣٦٧.
(٥٨) ينظر: التفسير الكبير: ١٦/ ٢٨.
(٥٩) ينظر: القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم د. خالد إسماعيل علي: ٢١٢-٢١٣.
(٦٠) ينظر: مواهب الرحمن: ١١/ ٢٤٥.
(٦١) ينظر: مواهب الرحمن: ١٢/ ٣١٣.

(القسيسون) إلاّ في هذا الموضع من القرآن في مقام مدح لهم، في حين ورد (الرهبان) في مقام مدح ومقام ذمّ، ولعل هذا ما يرجح شرفية السابق على اللاحق.

الخاتمة:

ان ما عالجه البلاغيون، وما تلمّسه ووقف عنده المفسرون والإعجاز يون، وما بدا لنا من رأي في هذا المضمار؛ ما هو إلا محاولة للكشف عن أسرار هذا النظم الذي يملك الألباب، وهو حري بأكثر من دراسة، وبه حاجة إلى جهود كبيرة شاملة، قد تختلف في التوجيه والتأويل، لكنّها في النهاية مع اختلافها تكشف عن أسرار التعبير، وإن كثيراً من التوجيهات والتأويلات –هي الأخرى –تحتاج إلى مزيدٍ من مراجعة وتهذيب ولمٍّ شتات، وإنّ أغلبها أوكلّها محاولات للإجابة عن أسئلة واعتراضات وشبهات تُثار هنا وهناك، وهي صحيحة بمقدار ما تُقنع القارئ والباحث، وبمقدار ما تتكئ عليه من أدوات تحليل لغوية و معرفية. وقد ظهر أن الترتيب الزمني بصورة عامة هو الخيط الذي ينتظم مفردات هذا الموضوع، وكأنه أصلٌ يلجأ إليه المفسر والبياني والمتشوف لروعة التعبير، ولا تحدث مغايرة لهذا الأصل إلّا لنكته ولطيفة يصير الاجتهاد إلى تقصيها وإبانتها، وبدا أن هذه المغايرة لا تكون كلية إنما هي مغايرة جزئية لمعنى مقصود قد تبارى الألبّاء في كشفه وبيانه.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم- دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة: د. عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- بديع القرآن: أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الرحمن بن ظافر بن عبد الله بن محمد بن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت، د. ط.
- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف المكنّى بأبي حيّان الأندلسي

الغرناطي (ت: ٧٤٥هـ)، عناية: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركْشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- البيان في روائع القرآن -دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني: د. تمام حسان، نشر عالم الكتب، ط٢، مصر، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- التحرير والتنوير: الشيخ الطاهر ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، د. ت.
- تفسير ابن عربي: محيي الدين بن عربي (ت: ٦٢٨هـ)، دار صادر، ط١، بيروت، ٢٠٠٢م.
- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر الرازي (ت: ٦٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠م.
- دلائل الإعجاز: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت: ٤٧١ أو ٤٧٤هـ)، عناية: محمود محمد شاكر، دار المدني، ط٣، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- سرّ الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: ٤٦٦هـ)، صححه وعلّق عليه: عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة علي صبيح وأولاده، القاهرة، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣ م.
- غرائب القرآن و رغائب الفرقان: العلاّمة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمّي النيسابوري (ت: ٧٢٨ هـ)، ضبطه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٩ م.
- القاموس المقارن لألفاظ القرآن الكريم: د. خالد إسماعيل علي، مؤسسة البديل، دار المتقين، ط١، بيروت، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري

الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ)، شرحه وضبطه وراجعه: يوسف الحمّادي، دار مصر للطباعة، د. ت.

- لسان العرب: جمال الدين بن أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الأفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣ م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، منشورات ناصر خسرو، ط٦، قم، ١٤٢١هـ.
- محاسن التأويل المسمّى (تفسير القاسمي): محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي(ت: ١٩١٤ م)، عناية: الشيخ عبد القادر عرفان العشّا حسّونة الدمشقي، دار الفكر، ط١، بيروت، ٢٠٠٥ م.
- معجم البلاغة العربية: بدوي طبانة، دار المنارة، و دار ابن حزم، ط٤، بيروت، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- معجم المصطلحات البلاغية وتطوّرها: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، بغداد، ١٤٠٦هـ-١٩٨٣م.
- مفردات ألفاظ القرآن: الراغب الأصفهاني (ت: ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار القلم - دمشق، الدار الشامية -بيروت، ط٣، قم، ١٤٢٤هـ.
- مواهب الرحمن (تفسير القرآن العظيم): السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، مؤسسة التاريخ العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٣م.
- نتائج الفِكَر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن عبد الله السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجد، و علي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

مُلاحَظاتُ عَبْدِ اللهِ يُوسُف عَلِي عَنْ الأَنبياءِ فِي تَرْجَمتِهِ لِلقرآنِ الكريم

ترجمة وتعليق
سعد شريف طاهر

ملخص البحث

قامت مجلة (المصباح) بترجمة الملاحظات التي وقف عندها العالم الهندي المسلم (عبد الله يوسف علي) على هامش ترجمته معاني القرآن الكريم الي اللغة الأنجليزية والتي صدرت عام ١٩٣٣ م بعد أن كرس اربعين عاماً لانجازها.

وقد أحصى البحث كل الملاحظات التي وقف عندها المترجم والتي تشير الي شؤون الانبياء في القرآن الكريم مشفوعة بما يناسب من تعليقات وألاحيظ.

● من المسلّم به أن ترجمة عبد الله يوسف علي للقرآن الكريم الى اللغة الانجليزية تعد الأولى منذ صدورها عام ١٩٣٣م إلى الآن وذلك لإسباب عدة منها أن الرجل أنهى أربعين عاما في الإعداد لهذا المشروع من دراسة الكتاب المقدس في لندن إلى زيارة جميع الأماكن و المدن التي ذكرت في القرآن الكريم . فإلى بلغاريا حيث فيها العين الحمئة التي ذكرت في سورة الكهف إلى أوسط آسيا حيث أقام الأسكندر الجدار المنيع لقوم يا جوج ومأجوج ومروراً بالمدن العربية في العراق وبلاد الشام من الجزيرة العربية. وقد ضّمن الترجمة ١٤ ملحقاً على هيئة بحوث منفصلة تناول فيها دراسات معمقة للتوراة والإنجيل وشخصية ذي القرنين وغيرها من البحوث التاريخية والدينية.

ولم تكن الترجمة بكلمات مترادفة كما هي عليه الترجمات اللاحقة بل إنتهج أسلوب الترادف والشرح في اسفل الصفحة معتمداً مصادر التفسير العربية المشهورة عنده كالبيضاوي والجلالين وابن كثير وغيرها. والفريد فيها هو ربطه الآيات بالتوراة والإنجيل ومخاطبة العقلية غير المسلّمة والأأوربية بالذات ليثبت أن القرآن الكريم هو الحلقة اللاخيرة من سلسلة الكتب السماوية نزل على رجل أمي أنبأ عن أخبار الغيب في سالف العصور ومستقبلها حتى قيام الساعة.

ولأن القرآن الكريم ليس كتاباً تاريخياً يسهب في سرد القصص على الأسلوب التوراتي فان المترجم يشير إلى أسفار العهد القديم بأرقام الإصحاحات والأعداد (الآيات) التي تتناول قصص الأنبياء بالأخص. ومايميز الترجمة المقدمات الرائعة بطريقة النثر المسجوع وملخصات مقتضبة أستهل بها السور ليهيئ القارئ نفسياً وروحياً لتقبل ماهو آت. وقد استعمل لغة بلاغية صوفية كدرر رصعت هذا العمل العملاق فحلّق روحياً في أجواء تسمو بالقارئ من هذا العالم المادي.

علّق في عمله الموسوعي هذا بأكثر من ٦٣١٠ ملاحظة شارحاً ومعلقاً ومشيراً الى الكثير من الحقائق والقصص. وقد حاولنا في بحثنا المتواضع هذا أن نربط الملاحظات التي تناثرت في ثنايا الترجمة

والتي تخص الأنبياء في القرآن الكريم لأن قصصهم تكررت مراراً نظراً لطول فترة التنزيل التي وصلت الى ٢٣ سنة لم تدوّن على ألواح أو قراطيس سهلة التناول آنذاك ليشار إليها. ولأن عبد الله يوسف علي أشار فقط الى ارقام الإصحاحات والأعداد فقط فقد إرتأينا الرجوع الى الكتاب المقدس لذكر النصوص ليتسنى للقارئ مقارنتها بالأسلوب القرآني. وقد بوبت بعناوين مبتكرة للتمييز بين الأفكار والقصص ومع أننا لم نعرض لجميع الأنبياء لطول البحث فقد أفردنا بحثاً خاصاً بأولي العزم لأن حياتهم معروفة ومشهورة فركزنا على نقاط مضيئة في سيرة الأنبياء غير المعمق ذكرهم كثيراً في القرآن الكريم مثل خلق آدم عليه السلام وطوفان نوح عليه السلام وملاحم موسى عليه السلام وغيرها.

سورة الأنبياء: جاء في المقطوعة النثرية في التقديم لسورة الأنبياء:

قد لا يأخذ البشر براهين الله.

على محمل الجد، لكن سيأتي الحساب لا محالة.

رسالة الله حيقيقية.

أعطاها رسول الله للناس مثل تسليم اليد.

ولابد للحقيقة أن تنتصر.

ولابد للآلهة وعبادتها الزائفة.

أن تصل الى الصفر، لأن الله واحد.

وحقيقته واحدة عبر الأزمان.

نماذج العظماء في الفضيلة قهروا.

الشر. كل حسب ظروفه.

فإبراهيم وقف صامداً في نار الإضطهاد من دون أن يصاب بأذى.

وكان لوط شجاعاً في تشنيع الفاحشة.

ونوح بإيمانه من الطوفان نجا، في عالم الكفران.

وداود عن الحكمة بحث وبالمزامير ترنم.

يمدح الرحمن.

وسليمان أخضع العنيدة بحكمته.

وأيوب الصابر في محنته.

وإسماعيل وإدريس وذي الكفل كانوا وسط الظلم وإغراءاته.

صادقين وموظبين. ويونس.

عاد إلى الله بعد نزر من شطحته.

وزكريا مثال التقوى وعائلته.

وكذلك العفيفة مريم قريبته.

كل الرجال والنساء من عباد الله.

كوّنوا أخوّةً واحدة.

وفي مقدمته لسورة مريم.

نمر في قصص أنبياء الله والمرسلين بعلاقاتهم مع بيئاتهم، مثل يحيى ووالده زكريا وعيسى وأمه مريم وإبراهيم وأبيه الكافر وموسى مع أخيه هارون وإسماعيل وأهله وإدريس في الموقع العالي الذي دُعي إليه. ومن خلال ملاحظة كيف كان أولئك العظام ملائمين لمخططات الحياة فإن الإنسان مخيّر برغبته أن يؤمن أو أن يحط من إيمانه بالخرافات وكيف أنه يحذر من الآخرة.

ملخص السورة: كان زكريا قلقاً بشأن وارثِ رسالة الله في عالم ضال. فأُعطي يحيى. وكيف عانت مريم أم المسيح من نبذ مجتمعاتها لكن عيسى كان عزاؤها الوحيد وباراً بها.

في حين أن إبراهيم عذبّه قومه بما فيهم أبوه الكافر لإيمانه وأرتداده عنهم فبارك الله به. أما موسى فقد أعانه أخوه هارون. وربى أسماعيل عائلته مع التقوى. وكان إدريس صادقاً وتقياً في مكانته العليا وهكذا فقد بينوا الطريق لكن الناس لم يتعظوا ويعوا الحياة الحقة. وعلى الإنسان أن لايكفر بالحياة الآخرة وأن لا يلطخ إيمانه بأفكار زائفة عن الله.

زكريا ويحيى:

يكشف المؤمنون بالله عن معادنهم في علاقاتهم الخاصة كما هم في دعوتهم الله في مجتمعاتهم. كان زكريا قلقاً في عالمٍ لاصَلاحَ فيه على أن يجد في من يعقبه ليستمر بمهمته. وقد وُهِبَ ولداً، أبنه يحيى الذي بالمسيح بشر وعاش حياة الحكمة والحب السامي والطهارة.

ملاحظة ٢٤٥٦: وقد ظهرت رحمة الله إلى زكريا بعدة طرق:

١. في قبول صلواته.
٢. بمنحه ولداً كيحيى.
٣. في الحب بين الأب وابنه، بالإضافة إلى العمل الذي أدّاه يحيى رسولاً من الله للعالمين.

وهناك النقطة التي تم التركيز عليها وهي الخدمة العامّة حيث تجلت العلاقات الحميمة بين الأب والأبن.

ملاحظة ٢٤٥٧: سراً كان يخشى أن يسلك اهله واقرباؤه الطريق الخاطئ أراد أن يبقى مصباحاً منيراً وهاجاً فلم يستطع

أن يبوح باتهامه علناً لأقرانه وأقربائه بالخيانة علنا.

ملاحظة: ٢٤٥٨: تبين هذه المقدمة إيمان زكريا الغيور. فقد كان زكريا ناسكاً عابداً لله وكتبة المعبد وأن أقرباءه هم زملاؤه، لكنه لم يلمس فيهم الروح الحقيقية لخدمة الله والإنسان. وكان قلقاً جداً على مَن سيحمل أفكاره الآلهية التي كانت غريبة عن زملائه الدنيويين.

ملاحظة ٢٤٥٩: لم تكن رغبته في ولدٍ رغبةً عاديةً. فلو كانت كذلك لكان قد صلى كثيراً في حياته المبكرة في فترة الشباب إلا أنه كان في غاية التقوى فلم يطلب في صلواته أشياءً لنفسه أنانيةً، ولكن أصبحت فيما بعد حاجة عامة، خدمة الرب. وحينما بلغ من الكبر عتياً هل كان بإمكانه أن يتبنى طفلاً يصبح وارثاً له؟

التبني والوراثة:

ملاحظة ٢٤٦٠: يصح القول أن الوارث يرث الممتلكات، ولكن واجبه الأسمى هو أن يمثل مَن يرثه بكل جوانبه الشخصية. في حين لم يكن زكريا يملك ممتلكات دنيوية. فقد كان مؤمناً ومن عباد الله الصالحين سلوكاً وفضيلةً. ومن هنا كان يتوق الى أن ينقل لوارثه أغلى ما يملك وهي التقوى التي ورثها كأعظم ملك يعقوب. أما الناس من حوله فقد إبتعدوا تماماً عن رسالة الله تعالى، فهل سيستطيع وارثه أن يعيد تلك الرسالة مثله أو يجددها؟.

ملاحظة ٢٤٦١: كان ذلك هو يحيى عليه السلام (يوحنا المعمدان) الذي زامن عيسى عليه السلام. وإستجاب لصلوات أبيه فقد جدد مع المسيح عليه السلام رسالة الله التي حرفّها بنو أسرائيل بعد أن مهد له الطريق.

إن كلمة (يحيى) باللغة العربية توحي بـ(الحياة). وفي العبرية (يوهانان) (يوحنا) والتي تعني (الله كريم) وهي (حنانا) في آية ١٣ سورة مريم. ولا نعني أن الإسم أعطي لأول مرة فقد نقرأ عن (يوهانان بن تاريخ) في سفر الملوك الثاني الإصحاح ٢٥ عدد ٢٣ "ولما سمع جميع رؤساء الجيوش هم ورجالهم أن ملك بابل (نبوخذ نصر) قد وكل جدليا أتو إلى جدليا إلى المصفاة وهم إسماعيل بن نثنيا ويحانان بن قاريح وسرايا بن تنحومث الطوفاني" وهو رجل

غامض. إنما تعني أن الله أحد واصطفاه لذلك الإسم لأول مرة.

ميلاد يحيى يهيئ لميلاد المسيح:

ملاحظة: ٢٤٦٣: الإنسان عَدَمٌ قبل أن يخلق. برغم أن شخصيته لم تظهر للوجود، وحتى لو أن هناك عوامل مادية في تكوين الجسد بموجب قوانين الطبيعة فإن القوة الحقيقية للخلق هي عند الله، لكن هناك معنىً ذكياً أن يحيى كان المبشر بقدوم المسيح ويهيئ له الطريق. وجملة (خلقتك من قبل ولم تكُ شيئاً) تهيؤنا للميلاد الإعجازي للمسيح. كما الآية ٢١ ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ وإن كل شيء ممكن عند الله.

ملاحظة ٢٤٦٤: أما ﴿رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾ فإن الآية كما فهمها (الكلام لعبد الله يوسف علي) لم تكن لارتياب زكريا بأن وعد الله حق لأنه أصلاً كان مؤمناً. ولكنها علاقة تظهر بأن سلوك زكريا يتماثل مع قَدَره الجديد بإن يكون أباً ليحيى. كان علي يحيى أن يكمل الدور الرسالي وأن على زكريا أن يبقي صامتاً بالرغم من أنه صحيح الجسد ولايوجد ما يمنعه عن التكلم.

ملاحظة ٢٤٦٦: وبمرور الزمن يولد يحيى وأصبحت التعليمات تعطى له "يا يحيى خذ الكتاب بقوة" أي عجل بتحمل تنزيل الله بكل ما أوتيت من قوة مع صغر السن"وآتيناه الحكم صبيا": لأن العالَم الكافر ترك الأيمان وابتعدوا عنه. وأن على يحيى أن يمهد الطريق للمسيح الذي سيأتي ويجدد الإيمان ويعيد صياغته.

ملاحظة ٢٤٦٨: لم يعشْ يحيى طويلاً فقد سجنه هيرود (حاكم ولاية تابعة للأمبراطورية الرومانية) لأنه وبخه على إرتكاب الذنوب والخطايا فكان في النهاية ان قُطعت رأسه بتحريض من المرأة التي سلبت لب هيرود. ورغم قصر حياته فقد وُهِبَ الحكمة من الله اولاً لأنه شجب الخطيئة بشجاعة وثم التعاطف الرقيق والحب لكل المخلوقات الله ثانيا، فقد كان يتحرك وسط ذوي الملابس الرثة والمستضعفين والممتقرين . وكذلك طهارة الروح ثالثاً، حيث هجر العالم وسكن البريّة وكان ذلك كل العمل الذي فعله

في حياته. وتحققت تلك الهبات في سلوكه. كان تقياً يظهر الحب لله ولمخلوقاته وخصوصاً والديه وبان ذلك من حقيقة أنه لم يستخدم العنف ولم يتخذ موقف تكبر ولم يضمر روح التمرد على القوانين الآلهية والوضعية.

إدريس

ملاحظة ٢٥٠٨: ذكر إدريس مرتين في القرآن الكريم في [سورة مريم: ٥٦] و [سورة الأنبياء: ٨٥]. وقد ذكر ضمن المثابرين الصابرين وعرف في التوراة بـ (اخنوخ) أي (مَن مشى مع الله) (سفر التكوين اصحاح ٥ عدد ٢١ -٢٤) وعاش اخنوخ خمساً وستين سنة وولد متوشالح * وسار اخنوخ مع الله وولد بنين وبنات * وكانت كل أيام اخنوخ ثلاث مئة وخمساً وستين سنة. وسار اخنوخ مع الله ولم يوجد لأنه الله أخذه. وقد تكون صحيحة أولاً. ولا يُبرر لنا تفسير الآية ٥٧ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ كمعنى مشابه لما ذكر في سفر التكون/ ٤٢ (أخذه الله) بأن أخذه للأعلى دون المرور ببوابات الموت. وكل ما أخبرنا به أنه كان رجل الحقيقة والإخلاص، ونبياً ذا مكانة عالية في قومه. وهذه النقطة هي التي جاءت به في سلسلة الرجال الذين ذكروا. وكان على إتصال بقومه مما جعلهم يعاملونه بإحترام. وليس من الضروري أن ننقطع عن قومنا لنقل التطور الروحي لأن علينا أن نساعدهم ونرشدهم.

وقد إلتزم بالحقيقة والتقوى بأعلى درجاتها.

[سورة الانبياء: ٨٥]

ملاحظة ٢٧٤٢: بالرغم من أن إدريس كان في مكانة عالية في الحياة إلا أنها لم تؤثر به. فبقى صالحاً ومخلصاً وتلك ميزته في المثابرة والإخلاص والصبر.

وذو الكفل:

ملاحظة ٢٧٤٣: قد تعني حرفيا (مالك الـ...) أو (إعطاء) أو الجزاء المزدوج أو الجزء وغيرها ومنها الذي أستخدم معطفاً سميكاً (بسمك مضاعف) وهو أحد معاني (الكفل). وقد أختلف المفسرون بمن هو المقصود ولماذا أطلق عليه ذلك اللقب ولماذا صَنّف في مجموعة إسماعيل وإدريس المثابرة الصابرة؟.

يقول عبد الله يوسف علي أعتقد أن خير مقترح ما جاء به كارستين نيبور في كتابه الذي طبع في كوبنهاكن عام ١٧٧٨جـ٢ ص٢٦٤ -٢٦٦ وكما نقلته دائرة العارف الإسلامية تحت عنوان (ذو الكفل) حيث زار كارستين قبر الإمام علي في العراق وعرج على مدينة صغيرة إسمها الكفل وسط الطريق بين النجف والحلة (بابل) ويقول أن الكفل هو الشكل العزي لـ (حزقيال) فقبر حزقيال هناك يحج إليه اليهود.

ولو قبلنا أن (ذو الكفل) ليست صفة ولكن تقريب لشكل (حزقيال) فإنها تناسب السياق.

فحزقيال نبي في إسرائيل (ربما يقصد فلسطين) نقله نبوخذ نصر إلى بابل بعد الغزو الثاني لأورشليم (القدس) حوالي ٥٩٩ ق. م. وجاء في سفر (حزقيال) في الكتاب المقدس بالإنجليزية (العهد القديم) فقد قُيّد وعُصّب وأودع السجن وبقي لفترة أخرساً (الإصحاح الثالث عدد ٢٥ -٢٦) (وأنت يا بن آدم فها هم يضعون عليك رُبطاً ويقيدونك بها فلا تخرج في وسطهم. والصق لسانك بحنكك ولاتكن لهم رجلاً موبخاً لأنهم بيت متمرد وقد تحمل كل ذلك بصبر وثبات وأستمر يوبّخ الأفعال السيئة لبني إسرائيل.

الأنبياء والصالحون

في سورة الأنعام:

الناس الصالحون الحقيقيون مَن خلف.

إبراهيم، تلقوا هدايا (الكتب السماوية) التنزيل.

والهداية وابقوا.

رسالة الله التي تظهر.

الآن في القرآن حيّة.

فأنه يحوي البركة في تثبيت عماد.

كل ما جاء قبله. في.

مهرجانات الطبيعية اليومية، الفجر.

والليل المريح، الشمس والقمر.

والقمر والنجوم التي تهدي.

البحارة في عباب البحار.

والسحب الماطرة التي تنزل الخير.

والفواكه التي تبهج قلب.

الإنسان... الا تقرأ.

آيات الله؟ فلا.

خيال يحيط بها.

وهو الفارف والعالم.

بكل شيء.

في [سورة الأنعام: ٨٤]

ملاحظة ٩٠٣: هنا ثمانية عشر رسولاً في أربعة مجاميع تغطي المعلمين العظام المتقبلين في الإديان الثلاثة العظيمة المرتكزة على موسى وعيسى ومحمد. تتضمن المجموعة الأولى إبراهيم وابنه إسحق ويعقوب بن إسحق. وإبراهيم هو أول من كان له كتاب. وقد ذكر الكتاب في [سورة الأعلى: ١٩] ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بالرغم من أنه مفقود الآن. وكانوا أول من تلقى الهداية الربانية في شعور بـ كتاب.

ملاحظة ٩٠٤: في المجموعة الثانية نرى المؤسسين الكبار للعوائل. فجزء من إبراهيم نوح الذي تزامن مع الطوفان، وداود وسليمان المؤسسان الحقيقيان للملكية اليهودية، وأيوب الذي عاش ١٤٠ سنة ورأى أربعة أجيال من ذريته وبورك في آخر حياته بثروة رعوية (سفر أيوب الإصحاح ٤٢ العدد ١٢ -١٦: وبارك الرب آخرة أيوب أكثر من أولاه وكان له أربعة عشر ألفاً من الغنم وستة الآف من الإبل ألف فدان من البقر والف أتان. وعاش آيوب بعد هذا مئة وأربعين سنة ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال ثم مات آيوب شيخاً). ويوسف وزير الدولة الذي فعل أشياء كبيرة في مصر وكان جَدّاً أعلى لقبيلتين وموسى وهارون قادة الخروج من مصر. وعاشا حياة نشيطة وأطلق عليهما (فاعلا الخير).

ملاحظة ٩٠٥: والمجموعة الثالثة لم تتضمن رجال الفعل فقط وإنما واعظي الحقيقة الذين عاشوا حياة منعزلة. وكانت ألقابهم (الصالحين). وكانوا أنبياء صوفيين وكونوا مجموعة حول المسيح. فزكريا أبو يحيى المعمدان الذي بشر بالمسيح والمسيح أشار إلى يحيى المعمدان بأنه إلياس "هذا هو إلياس الذي سيأتي" جاء في إنجيل متى (إصحاح ١١عدد ١٥) وإن أردتم فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي. والياس هو الذي يقال أنه حضر وتحدث إلى عيسى في التجلي على الجبل. كما جاء في إنجيل متى (إصحاح١٧ عدد ٣) "وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه. فجعل بطرس

يقول ليسوع يارب جَيد أنْ نكون هنا" والياس هو نفسه إيليا.

ملاحظة ٩٠٦: والمجموعة الرابعة يوصفون بأنهم "المفضلون على العالمين". وتضم أربعة رجال الذين ابتلوا بالبلايا وحفوا بها في تصادم مع العالمين ولكنهم أستمروا في طريق الله وخرجوا سالمين من كل التصادمات مع العالمين. مثل إسماعيل الإبن الأكبر لإبراهيم كاد أن يموت من العطش مع أمه في الصحراء حول مكة عندما كان طفلاً ولكنهم أنقذوا ببئر زمزم وأصبح بعد ذلك مؤسس أمة العرب. وخلّف اليشع أو اليسع شعلة النبي إيليا أو الياس وعاش أصعب الأوقات مع مملكتي اليهود (في يهوذا و إسرائيل) حيث الملوك الأشرار والأمم الأخرى التي كانت تضطهدهم ولكنه صنع معجزات عديدة وتراجع بعض الأعداء إثر نصائحه. وقصة يونس المعروفة عندما أبتلعه الحوت ولكن رحمة الله أنقذته وأنقذت مدينة (نينوى) بفعل وعظه [سورة يونس: ٩٨]. ولوط ابن أخ إبراهيم كان الرجل الوحيد الذي نجا عندما دُمرت مدينة سادوم بسبب أفعالها المستقبحة ٨٠).

لوط في التوراة والقرآن:

ذُكرتْ قصة لوط في الكتاب المقدس (التوراة) وكذلك في القرآن الكريم ولكنها في القرآن الكريم جاءت خالية من بعض الصور المخجلة المنفرة في السرد التوراتي. ففي سفر التكوين (إصحاح ١٩عدد ٣٠) ولوط هو ابن أخ إبراهيم وأرسل كرسول ومحذّر إلى شعب سدوم وعاموره اللتين دُمرتا تماماً لأفعالها التي لايمكن التحدث عنها. ولايمكن تحديد موقعيها ولكن من المفترض أنها كانتا في هضبة شرقي البحر الميت. وتروى قصة تدميرهما في الأصحاح ١٩ من سفر التكوين. "في يوم سدوم المتعطشين للشهوة والجريمة قبر الطبيعة على بيت لوط ولكنهم صدوا. وفي الصباح سدوم وعاموره قلب عاليها سافلها من الساكنين والهضبة وكل ما على الأرض. ولكن زوجته التفتت من خلفه فأصبحت عموداً من الملح" (التكوين/ ١٩ عدد ٢٤ -٢٦).

لاحظ أن قوم لوط هم الشعب الذي أرسل لهم في بعثة تبشيرية ولم يكن واحدا

منهم كما صالح وشعيب ولكنه كان ينظر اليهم على أنهم أخوته كما هو دائماً حال الصالحين، في حين أتّبع المسيؤن السخرية المخجلة تجاه الصالحين. فكانوا يجرحوهم بالكلمات ثم يتبعون الشتائم بأفعال ظالمة معتقدين أنهم سينالون منهم ويجلبون لهم العار. ولكن الله ينظر الى عباده الصالحين وفي النهاية ينقلب الأشرار على أنفسهم عندما يمتلئ كاس ظلمهم ويبلغ السيل الزبى.

أما في الرواية التوراتية فإن زوجة لوط نظرت خلفها بحركة جسدية . أما هنا في القرآن الكريم فهي مثال الذين يتقاعسون أي أن موقفهم العقلي والأخلاقي يصغي إلى لمعان الخطيئة والشر. في حين أن للصالحين موقفاً واحداً هو طريق الله ولاينظرون الى الوراء أو الى اليمين أو الى الشمال.

وكان المطر من الحجارة وفي [سورة الحجر: ٧٣] وصفت بالصيحة وهو أنفجار هائل وصوت إضافة إلى مطر الحجارة. ولو أُخِذت القصتان بعين الأعتبار مع سفر التكوين فيصح ترجمتها بمطر حجر الكبريت.

وفي [سورة هود: ٧٧] هناك تركيز على معارضة مهمة لوط من قبل الذين كانوا يمارسون القبائح غير الطبيعية. هنا يتم التركيز على تعامل الله مع الناس بالرحمة مع العباد الصالحين والعقاب والسخط على الذين تحدوا قوانين الطبيعة التي سنها. وكذلك تعامل البشر فيما بينهم والتناقض بين الصالحين والاشرار الذين لم يحترموا القوانين الالهية والبشرية.

ملاحظة ١٥٧٥: يوحي السرد التوراتي بأن البنات كنَّ متزوجات وازواجهن قريبون منهن (التكوين: اصحاح ١٩ العدد١٤) وانهن نفس البنات اللائي اقترفن فاحشة سفاح القربى (الزنى بالمحارم) مع ابيهن وانجبن اطفالا منه التكوين اصحاح ١٩ عدد٣١. اما في القران الكريم فلا يوجد اي ايحاء في اي مكان لتلك القبائح. ويفترض بعض المفسرين ان كلمة «بناتي» على لسان رجل موقر مثل لوط ابي قومه قد تعني كل البنات الشابات في المدينتين، مثلما كلمة «ولدي» لا تزال صيغة شائعة في الاقطار

العربية عند مخاطبة الرجل الكبير للشاب.

ملاحظة ١٥٧٦: بدا لوط عاجزا في الموقف الذي وجد نفسه فيه وحيدا ضد اناس رعاع ملتهبين بانفعالات شريرة. تمنى لو كانت لديه القدرة على قمعهم بنفسه او هناك اسناد قوي يستند عليه. ولكن الاسناد القوي كان قريبا منه رغم انه لم يدركه الا تلك اللحظة. انه اسناد الله، فلم يكن ضيوفه اناساً عاديين بل ملائكة جاءت تمتحن اولئك القوم قبل ان يقع بهم القصاص. ها هم يعلنون بانفسهم وأمروه ان يرحل قبل الصبح عندما يحل العقاب وتخرب مدينتا السهل (سدوم وعامورة).

ملاحظة ١٥٧٧: وحتى في ال لوط كان من ينتقص من انسجام العائلة، فلم تطع الزوجة زوجها وهو يذعن لامر الله. وعندما التفتت شاركت نفس مصير سكان مدينتي السهل. وفي السرد التوراتي انها تحولت الى عمود ملح (التكوين اصحاح ١٩ عدد ٢٦).

ملاحظة ١٥٧٩: سجيل كلمة فارسية معربة من سانج -او -جيل وتعني الحجارة او الطين او صلدة كطين مفخور. واستنادا الى (القاموس) فان سدوم وعامورة كانتا في تربة كبريتية صلبة مما يصح عليها ذلك الوصف. وقد استخدمت كلمة سجيل لوصف الكرات الطينية الصغيرة المفخورة جيدا التي ارتبطت بحادثة ابرهة واصحاب الفيل.

وفي مقدمة لسورة الانبياء جاء:

قد يتعامل الناس مع ايات الله باستخفاف.

وسخرية. ولكن الحكم ات.

لامفر منه. رسالة الله حقيقية.

واوصلَها رسلُهُ. كما يؤدي الرجل الامانة.

ولا بد للحقيقة ان تنتصر.

وكل الالهة المزيفة والعبادة الزائفة.

لا بد ان تصل للزوال.

لان الله واحد.

وان حقيقته واحدة لكل العصور.

ايوب الصابر المحتسب:

كان رجلا غنيا ومؤمنا عاش في قرية في الزاوية الشمالية الشرقية للجزيرة العربية. عانى الكثير من المصائب، فماشيته ابيدت وعبيده ذبحوا بالسيف وعائلته سحقت تحت انهيار السقف، لكنه بقي على ايمانه بالله محتسبا. وزيادة على مصائبه

فقد اصيب بقروح كريهة من رأسه الى قدميه حتى انه تمنى لو انه لم يولد. ونسب اصدقاؤه المزيفون تلك البلايا الى الخطيئة. اما الذين عزوّه فلم يكن عزاؤهم حقيقيا حتى اوشك ان يفقد صبره، لكن الله تعالى اعاد له كل النعم . فاستعاد كل ما فقد. حيث اعيد له غناه اضعاف ما كان . وعاد له اخوته واصدقاؤه. واصبحت له عائلة جديدة من سبعة اولاد وثلاث بنات جميلات . وعاش عمرا طويلا حتى انه راى اربعة اجيال من احفاده. وكل ذلك مدون بالتفصيل في سفر ايوب: العهد القديم. وتقترب كل الكتابات العبرية والسفر العبري من ما ذكر في اللغة العربية.

ملاحظة ٢٧٤٠: ويعتبر ايوب أنموذجا للتواضع والصبر والايمان بالله. وقد كانت تلك هي الاسلحة التي حارب بها الشر وقهره.

اسماعيل: القربان الى الله:

ذكر اسماعيل كجزء من الذرية التي جاءت من اسحق (راجع [سورة الانبياء: ٧٢]) وانه مؤسس امة عظيمة ومنفصلة . بدأت معاناته منذ الصغر [سورة البقرة: ١٥٨] ولكن الوفاء والاخلاص والثبات التي أظهرها منحته لقب «القربان الى الله» راجع [سورة مريم: ٥٤]. وكانت تلك النوعية الخاصة لصبره ومثابرته.

اِل ياسين:

جاء في [سورة الصافات: ١٣٠] ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴾ ومكتوبة (اِلْ ياسين).

ملاحظة ٤١١٥: قد تكون اِل ياسين الشكل المرادف ل(الياس). قارن بـ[سورة المؤمنون: ٢٠] (سيناء) في ﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴾ و (سينين) في [سورة التين: ٢] في "وطور سينين". او ربما جمع (الياس) وتعني "مَثَل هؤلاء الناس مثل الياس".

لقمان الحكيم:

ملاحظة ٣٥٩٥: مقدمة السورة يصف لقمان أنموذجا للحكمة لانه ادرك الافضل في الحياة الحكيمة في هذا العالم وانه اعتمد على الامل الروحي الاعلى في الحياة الداخلية. وكان يعتقد (كما في الاسلام) بأن الحكمة البشرية الحقيقية هي ايضا حكمة الهية ولا يمكن الفصل بينهما.

لذلك فأن بداية كل الحكمة هو تطابق مع مشيئة الله تعالى وذلك يعني باننا يجب ان نفهم علاقتنا بالله ونعبده حقا . وعلينا ان نحسن التعامل مع البشرية بدءاً بوالدينا ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ﴾ [سورة لقمان: ١٤]. لان الواجبين (الشكر) ليسا مختلفين بل واحد. وعندما يقع تضاد بينهما فأن ثمة خطأً في السلوك البشري.

نبوءة الرسول محمدﷺ في التوراة والانجيل: [سورة الصف: ٦].

ان كلمة احمد او محمد تعني الشخص المحمود وهي ترجمة للكلمة الاغريقية Periclytos (فارقليط) وتعني الصديق الحنون. جاءت كلمة (المعزّي) في انجيل يوحنا في الطبعة الانجليزية مرادفة للكلمة الاغريقية «Paracletos» التي تعني (النصير)[1] اي الشخص الذي دعا الى نصرة اخر او الصديق الحنون اكثر من المعزّي.

انجيل يوحنا (اصحاح ١٤ عدد ١٦: "ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي وانا اطلب من الاب فيعطيكم معزيا اخر ليمكث معكم الى الابد".

(اصحاح ١٥ عدد ٢٦: " ومتى جاء المعزّي الذي سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذي من عند الاب ينبثق فهو يشهد لي".

(اصحاح ١٦ عدد ٧): "لكني اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق. لأنني إنْ لم انطلق لايأتيكم المعزي. ولكن ان ذهبت ارسله اليكم".

يؤكد علماؤنا بأن Paracletos هي القراءة المحرفة لـ Periclytos وبأن في القول الاصلي لعيسى هناك بنبوءة نبينا الاكرم بالاسم احمد. وحتى لو قرأنا اللفظ الانجليزي (فارقليط) فأنها تشير الى نبينا الاكرم الذي هو ﴿ رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الانبياء: ١٠٧] ﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

ملاحظة ٥٤٣٩: اشارت نبوآت كثيرة الى نبؤة نبينا الاكرمﷺ وعندما جاء اظهر

(١) اي الشخص الذي يدعم او يناصر فكرة او عمل معين خصوصا امام الملأ. قاموس اكسفورد المترجم. بشارة ابراهيم.

الكثير من الآيات (البراهين) الواضحة وكانت حياته من اولها الى اخرها معجزة هائلة. فقد قاتل وانتصر رغم تضافر كل العوامل ضده. علم الحكمة العليا دون ان يتعلم من الآخرين. اذاب القلوب القاسية وقوى القلوب الضعيفة التي كانت تحتاج للنصرة. ميزّ اهل الفطنة في كل اقواله وافعاله عمل يداً لله ومع ذلك فقد اعتبرها الكافرون سحرا. ودعوها اكاذيب ولكنها اصبحت من الحقائق الناصعة في تاريخ الانسانية.

ملاحظة ١٥٦٤: في سورة هود

حين عرّج الملائكة على ابراهيم.

وهم في مهمة لسدوم وعامورة.

مدينتي السهل. أحسن ضيافتهم.

وتلقى منهم البشارة الآهية.

بأن خط الانبياء سينطلق من صلبه.

وبنقاء سريرته حاول التشفع.

للمدينتين الشريرتين ولكنهم اوغلوا.

في الرذيلة وتعدوا كل الامال بالتوبة.

وعظهم لوط ولكنهم سخروا منه.

والى قدرهم ذهبوا. وكذا فعلت مَدْينَ.

دمر قوم شعيب تجارتهم.

تبعا معاملاتهم المغشوشة.

وحبهم للعنف.

كم بديعة هي نعم الله وبالغرابة.

افعال الانسان الجاحد ناكر الجميل.

فرية ابناء الله.

[سورة المائدة: ١٨] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾.

ملاحظة ٧١٨: ابناء الله: جاء في سفر ايوب/ اصحاح ٣٨ عدد ٧ «عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بني الله». في المزمور ٢٩ آية ١: «قدِّموا للرب يا ابناء الله قدِّموا للرب مجدا وعزا. وآية ٩: «صوت الرب يولّد الأيل ويكشف الوعور». وفي الترجمة المعتمدة «ايها القوي» يجب ان تكون واضحة «يا ابناء ايليم» حيث «ايل» اسم الله وكذلك قارن بسفر التكوين/ اصحاح ٦ عدد ١: «وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الارض وولد لهم بنات ان ابناء الله رأوا بنات الناس انهن حسان».

«الاحباء» جاء في المزمور ١٢٧ عدد ٣ «لكنه يعطي حبيبه نوما».

ولو استُعملتْ مجازا فان هذه الكلمات

وما شابهها تشير الى حب الله. ولسوء الحظ فأن «ابن» استعملت بالمعنى الجسدي او «الاحباء» بالمعنى الحصري كما لو ان الله تعالى يحب اليهود فقط وهذه سخرية من الدين.

وفي جزء الآية (٢٠ سورة المائدة) ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ ينفي فكرة "الاحبة" الحصريين. وفي كلا الحالتين فانها تعني بأن الله مستقل عن العلاقات الجسدية او التحيّز الحصري.

اصحاب الكهف:

في مقدمة لسورة الكهف يعلق عبدالله يوسف علي:

كتاب التنزيل يعطي الاتجاهات.
الصحيحة ليجعل حياتنا مستقيمة.
ويحذرنا من الشر ويهدينا الى.
الله الحق. يعلمنا الحقيقة.
ولكن لا يؤلب على من يرفضه.
وحكاية اهل الكهف.
تبين كيف يعمل الله المعجزات.
فوق ادراكنا. وكيف ان الايمان.
هو الملاذ الاكيد بطرق لا نعيها.
كيف يُنفِذ الوقتُ إرادةَ الله.
قبل ان نعرف كيف يسير.
كيف يمنحنا الله النوم والى.
الحياة يعيدنا عكس كل التوقعات.
وكيف من العبث ان نشتبك في.
نزاعات حول امور لا نعرفها.

الملاحظة ٢٣٣٧: ذكرت قصة اهل الكهف عند المسيحية مجردة (من الدروس الروحية التي يعلمها القرآن) في كتاب (جيبون) (اضمحلال وسقوط الامبراطورية الرومانية) في نهاية الفصل ٣٣. انه في ايام حكم الامبراطور الروماني الذي اضطهد المسيحيين فر سبعة شبان من نصارى افسوس من المدينة واختبأوا في كهف جبل قريب. خلدوا الى النوم وظلوا نائمين لعدة اجيال او قرون. وعندما ازيل الجدار الذي سد الكهف استيقظ الشبان وكانوا لا يزالون يفكرون في العالم الذي عاشوا فيه سابقا. لم يدركوا كم من الوقت مضى عليهم، ولكن عندما ذهب احدهم للمدينة ليشتري مؤونة وجد بأن العالم بأجمعه قد تغير وان الدين المسيحي اصبح سائدا بعد ان كان مضطهدا.

وفي الحقيقة اصبحت الدولة دولة الدين. وكانت ملابسه وكلامه والنقود التي بحوزته تبدو وكأنها من عالم اخر، وذلك ما لفت الانتباه. فزار كبار القوم الكهف وتحققوا من صحة القصة من خلال استجواب اصحاب الرجل.

وعندما شاعت القصة في عموم الامبراطورية الرومانية وتلاقفتها الالسن فيحق لنا الافتراض بأن الكتابة وضعت في فم الكهف. ولعل الكتابة كانت على الرقيم كما جاء في اية ٩ اصحاب الكهف والرقيم (مع ان بعض المفسرين يقولون ان الرقيم هو اسم الكلب الذي كان معهم) وربما كان هذا النقش واضحا للعيان لسنين طويلة بعد ذلك عندما اصبحت افسوس مدينة مشهورة في الساحل الغربي لاسيا الصغرى حيث تقع جنوب (سمايرنا) ب٤٠ او ٥٠ ميلاً. وقد ارسل الخليفة العباسي الواثق (٨٤٢ -٨٤٦م) بعثة لتقصي الموقع وتحديده كما فعل في تقصي موقع سد ذي القرنين.

عندما تتناقل قصة شعبية على الالسن فلا بد ان يصيبها الغموض بالنسبة للتواريخ وتفاصيل الاحداث. وفي حوالي القرن السادس الميلادي قلل من القصة للكتابة عنها. فاقترح ان عدد الشبان سبعة وهم الذين ذهبوا للنوم في عهد الامبراطور ديسيوس (الذي حكم من ٢٤٩ -٢٥١م) وكان عنيفا ومظطهدا المسيحية). وانهم استيقظوا في عهد ثيودوسيوس الثاني الذي حكم من ٤١٦ -٤٥٠م (وكان ديسيوس يعرف بـ دقيانوس وهي الصفة للاسم اللاتيني ديسيانوس) ويقف الاسم رمزا للظلم والاضطهاد وكذلك للاشياء القديمة والمتجاوزة، لأن (ريسديسيانا) ربما جاء بعد ديسيوس بقرنين او ثلاثة.

يونس عليه السلام ونينوى:

كانت نينوى مدينة كبيرة جدا يذكرها العهد القديم في سفر يونان (بالعربية يونس) اصحاح ٣ عدد ٣و١١ "اما نينوى فكانت مدينة عظيمة لله مسيرة ٣ ايام. نينوى العظيمة التي يوجد فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من الناس الذين لا يعرفون يمينهم من شمالهم" وبعبارة اخرى فأن محيطها حوالي ٤٥ميلاً وان سكانها كانوا اكثر من مائة وعشرين الف

مستوطن. وقد ندم قومه وامنوا فاصبحت نينوى في بحبوحة من العيش.

ملاحظة ١٤٧٨: ونينوى مدينة قديمة جدا ولا يوجد لها اسم الان على الخريطة. ويعتقد ان موقعها يحدد برابيتين في الضفة اليسرى لنهر دجلة في الجهة المقابلة لمدينة الموصل في الضفة اليمنى وتبعد حوالي ٢٣٠ميلاً (اي ٣٦٠ كيلومتراً) شمال غرب بغداد. وتحمل احدى روابيها اسم "قبر النبي يونس". ويبدو انها كانت مدينة سومرية وربما اقدم من سنة ٣٥٠٠ ق. م. وقد اصبحت عاصمة للدولة الاشورية وكان اول حكامها شليمنصر الاول. وفي عام ١٣٠٠ ق. م اصبحت القوى العظمى في غرب اسيا بحيث اصبحت بابل جزءا من امبراطوريتها بينما كانت نينوى جزءا من الامبراطورية البابلية سابقا. وقامت الامبراطورية الاشورية الثانية حوالي سنة ٧٤٥ق. م حيث جعلها سنحاريب (٧٠٥-٦٨١ق. م) مدينة جميلة بطريقة السخرة، ودمرها ملك ميديا سنة ٦١٢ق. م. واذا يفترض تاريخ النبي يونس في ٨٠٠ق. م فيكون بين الامبراطورية الاشورية الاولى والثانية عندما دمرت المدينة بسبب معاصيها وانتعشت بعد ذلك بسبب توبتهم فنعموا بحياة هانئة في الامبراطورية الثانية.

ملاحظة ١٤٧٩: وهكذا عندما اصبحت نينوى المدينة العظيمة مدينة الخطيئة مثل بابل ارسل الله لها النبي يونس لتحذيرها. واوسع الله الرحيم على المدينة ومنحها حياة رغيدة. وكما جاء في الملاحظة السابقة فأن الحياة الهانئة استمرت لقرنين ثم افنيت بسبب الخطايا والرجس. لاحظ بأن الحياة الرغيدة كانت لعموم المدينة مجتمعة حياة الحاضر اي هذا العالم. وليس المقصود بأن افراداً مذنبين افلتوا من العقوبة بسبب ذنوبهم بل لأنهم تابوا ونالوا رحمة الله وغفرانه.

*****

يقول عبد الله يوسف علي في مقدمته النثرية لسورة يوسف

قد يتعجب الناس من ان رجلا.

منهم يأتي برسالة.

من الله، ولكن رسالة الله تشع.

لكل الوجود والمخلوقات.

وبها يهدي روح الانسان فقط لو.
آمن الناس ووضعوا املهم بالله.
عجيبة هي علاقات الله بالبشر.
ومع ذلك فالانسان جحود.
ويلهث وراء نزواته والالهة الشهوانية.
تبارك الله الواحد الحقيقي، الذي جعل.
البشرية واحدا، واحتفظ باسرار.
عالم الغيب في مشيئته العظيمة للعالم.

لقمان الحكيم:

يتلقى العقلاء الباحثون عن التقوى الهداية عكس الباحثين عن الزهو والخُيلاء. الذين يندحرون. يشهد كل الخلق بان الحكمة التي قدمها لقمان الحكيم هي خدمة حقيقية لله وتحتوي على الاعتدال. الحكمة الحقيقية ثابتة وباقية وتدرك شريعة الله في خلقه، فهي تنظر للنهاية النهائية للاشياء التي لا يعلم غموضها الاّ الله سبحانه وتعالى.

ما سِفر الحكمة؟ انه.
الهداية والرحمة للناس، يعلمهم.
كيف يبلغون السعادة الربانية. ونِعَمُ.
الله لا نهائية. كيف ينكرها البشر؟.
علّم لقمان الحكيم العبادة الممتنة لله.
الواحد الحقيقي وخدمة الناس.
بدءاً بالوالدين. وكل عمل صالح.
معروف عتد الله وفي الحساب يسجل.
فأسعوا في الوسيلة الذهبية واخدموا الله.
مثابرين وبرسوخ الاهداف.

خاتمة المقاطع النثرية في نهاية الترجمة:-

المقطوعة رقم ٢٩٥:

هكذا تكلم واوحى نبينا الكريم.
محمد نبتهل صلوات الله عليه.
دوما والى الابد. نحن الذين.
ورثنا تعاليمه وحياته النموذج.
والخيط الذهبي الذي نسجه.
في نسيج التأريخ الانساني.
في عزلة التقوى صلّى وفكر كثيرا.
اعطى للحياة المشوشة العنيدة.
فوائد عظيمة. وكافح بشدة وبقوة بدنية.
بحكمة قاد. وبرقّة تشاور.
وبثبات قمع الشر.

المقطوعة رقم ٢٩٦:

المدثر الذي حل اعتى.
المبهمات. تسلقت روحه.
اعالي السماء، لذا امطرت حبها.
على هذه الارض الواطئة الضعيفة.

مثل السحاب الذي يلتقف مجد الشمس.

وحف بظله الحاني الجميع.

صرخات الارامل والايتام.

وجدت الحل في قلبه.

كما فعلت صرخة الحاجة والفقر.

بحث عن غير المعوزين.

الذين اعماهم الجهل والكبرياء.

وحقق لهم رغباتهم الحقيقية.

رعايته الاخيرة لخصت حكم.

الحياة الروحية في ايمان مترابط.

مع اخوّة عالمية واحدة.

آه، لن نرى مثل تلك الحياة مرة اخرى.

*****

واخيرا نختتم هذا البحث بذكر المقدمة ما قبل سورة محمد ﷺ خاتم النبيين:-

لن تنجح المؤامرات ضد الحقيقة الالهية والايمان.

ولكن مَن يتبعها سوف يقوّى.

كونوا اشداء في القتال، والله سيهديكم.

التمرد على الله هو الدمار بعينه. والكفر.

يجمّد العقل ويطعم القلب.

وستدفأ التأثيرات وتحلّي الحياة.

بينما يحمل النفاق خرابهُ بذاته.

الخاتمة

ونحن اذ نصل الى هذه المرحلة من ذكر الملاحظات يحدونا الامل اننا حققنا شيئاً يسيرا من امنية عبد الله يوسف علي عام ١٩٣٧م التي ذكرها في اخر عمله ان تُجمع ملاحظاته وشروحته في كتاب منفصل اذا ما وجدت الرغبة في ذلك مستقبلاً. وهي دعوة للمؤمنين ان يكملوا الطريق.



ملحق بشؤون الأنبياء من اعداد المترجم

الاسم	المعنى	الانجليزية	تقسيم الاسم	مدة حياته	الفترة التي بعث فيها	البلد الذي بعث فيه
آدم	اول الخلق	Adam	آد -ئم	١٠٠٠ أو ٩٥٠سنة	؟	جزيرة العرب
نوح	هادئ	Noah	نوه -ياه	٩٥٠سنة فأكثر	٣٠٠٠ -٢٩٠٠ق.م	العراق
ادريس	المكرس	Enoch	آخ -نوخ	٨٣سنة		العراق
هود	رفيق	Heber		١٥٠سنة	٢٥٠٠ -٢٣٠٠ق.م	حضرموت
لوط	متستر	Lot	لوط	١٧٥سنة	١٨٦١ -١٦١٦ق.م	فلسطين
ابراهيم	اب رحيم	Abra-ham	آب -راهام	١٧٥سنة	١٨٦١ -١٦١٦ق.م	العراق، فلسطين، مصر، الحجاز
اسرائيل	ئيل: الله	Isreal	اسرا -ئيل	١٤٧سنة	١٨٠٠ -١٦٥٣ق.م	بلاد الشام، فلسطين
اسحق	ضحّاك	Isaac	شا -حاك	١٨٠سنة	١٧٦١ -١٥٨١ق.م	بلاد الشام، فلسطين
اسماعيل	يسمع الله	Ishmael	يشيمع -ئيل	١٤٣سنة	١٧٨١ -١٦٣٨ق.م	الحجاز
يوسف	الله يزيد	Joseph	يوه -سف	١١٠سنة	١٦١٠ -١٥٠٠ق.م	مصر
يونس	حمامه	Jonah	يوه -ناه	؟	القرن الثامن ق.م	العراق/ نينوى

ايوب	الرجل المستقيم	Job	يو -هوب	٩٢سنة	مابين القرنين ١٦و١٥ق.	العراق- بابل
شعيب	متفّوق	Jethro		؟	مابين القرنين ١٦و١٥ق.م	مدين/ بلاد الشام
موسى	منقذ بالعبرية	Moses	موه -زيز	١٢٠سنة	١٤٣٦ -١٣١٧ق.م	مصر
هارون	موطن القوة	Aaron	آه -ران	١٢٢سنة	١٤٣٩ -١٣١٧ق.م	مصر
الياس	الرب الهي	Elijah	لاي -جاه	؟	القرن٩ ق. م	فلسطين
يوشع	خلاص الرب	Joshua	يوش -هو -ياه			
اليسع	الرب مخلصي	Elisha	ايلي -ياه -شاع	؟	القرن٨ق. م	فلسطين
ذي الكفل	قوة الله	Ezekiel	زيكي -ايل	٧٥سنة	مابين القرنين ١٦و١٥ق.م	العراق/ بابل
داود	المحبوب	David	داي -فود	٧٠سنة	١٠٤٣ -٩٧٣ق. م	فلسطين
سليمان	رجل سلام	Solo-mon	شال -موه	٥٣سنة	٩٨٥ -٩٢٢ق. م	فلسطين
شمويل	سمع الله	Samuel	شم -يو -ئيل			
ارمياء	الرب يرفعني	Jer-emiah	جاري -ياه -ماي -ياه			
اشعياء	خلاص يهوه	Isaiah	شيع -يوه			

ناحميا	المعزّي	Nehe-miah	ناحيم -ياه			
هوشياع	الخلاص	Hosea	ها -شيع			
يوئيل	يهوه هو الله	Joel	يوه -ئيل			
صفاني	الله يستر	Zepha-niah	زيفا -ينيه			
حبقوق	يعانق	Habak-kuk	هاب -اكوك			
عزير	مساعد	Ezra	ايزير -ياه			العراق - ميسان
دانيال	قضا الله	Danial	داني -ئيل			
زكريا	الله ذكر	Zacha-riah	زاك -آه -راي -ياه	١٢٠سنة	١٠٠ق.م -٢٠م	فلسطين
يحيى	حنون	John	يو -حنّه	٣٠سنة	١ -٣٠م	فلسطين
عيسى	الله يخلّص	Jesus	ياه -شوع	٣٣سنة	١ -٣٣م	فلسطين
محمد	كثير الحمد	Mu-ham-mad		٦٣سنة	٥٧١ -٦٢٢م	جزيرة العرب

المصادر

قصص الانبياء للجزائري

الموقع الالكتروني ١٢٤٠٣majdan / vb / majdan. maktoob. com /


كل من عليها فان

أَلنبيُّ هُودُ (عليه السلام) في ضَوْءِ التَّفْسيرِ الموْضُوعِيِّ

د. حكمت عبيد الخفاجي
جامعة بابل - العراق

ملخص البحث

يقدم السيد الباحث بمقدمة يعرض فيها لمسألة صلة القرآن الكريم بالتاريخ فيقرر أن القرآن الكريم لا يريد منح نفسه الطابع التاريخي على ما هو معروف من مناهج المؤرخين.

ثم يعقد مبحثا يتحدث فيه عن أغراض القصة في القرآن الكريم و أهم الآراء في فهم القصص القرآني، يدخل بعد ذلك الى صلب الموضوع، فيذكر الآيات واجزاء الآيات التي وردت في القرآن الكريم بخصوص قصة النبي هود عليه السلام للوصول الى (تفسير موضوعي) للقصص القرآني والوقوف عند الجوانب المضيئة من تلك القصص. والسيد الباحث يثبت بذلك نجاح التفسير الموضوعي في عرض القصة القرآنية.

● من يستعرض تاريخ نزول القران وتدرج هذا النزول، وموقف خصومه منه حسب ما ذكره القران الكريم بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[سورة الفرقان: ٣٢].

واجابه النص الالهي بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾[سورة الفرقان: ٣٢] وقال: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الاسراء: ١٠٦]، يعلمْ ان علة التدرج في نزول ايات القران هي تهيئة النفوس واعدادها لتلقي الحقائق الالهية العالية وتكميلها لتقبل هذه المفاهيم الغريبة على عقولها.

فكان القران الكريم ينزل على النبي العظيم اية اية، وسورة سورة حتى اكمل الله دينه واتم برهانه، ونمت القابليات لتفهم اسراره واكتشاف كنوزه واثاره، فعلينا اذن ان ننظر الى القران كناموس الهي واحد وقانون انساني متكامل ومترابط وذلك باستيعاب كل ما فيه من المواد والمعارف.

فالقران الكريم يسعى في وضع القضايا الحياتية الكبرى بصورة محسوسة وملموسة بين يدي الجميع، ويعلن للناس عامة عن حقائقهم وتعليماتهم ويفهمهم بها بما يتفق وصدق القران الكريم واعجازه معتمدا على قضايا واحداث حية وحساسة تخص تاريخ الشعوب السالفة، لهذا لا يريد القران الكريم من سرد قضية او قصة تاريخية منح نفسه الطابع التاريخي على ما هو معروف بين مناهج المؤرخين في بسط القضايا التاريخية من دون توجه الى الناحية التربوية فيها، وانما نجد القران الكريم في مباحثه التاريخية يتوخى المسائل التربوية والتعليمية ويفتش عن هذه الجوانب في طوايا التاريخ وصفحاته، وهو الوجه الغالب عليه، ويستخلص منها مضامين ايمانية وعبادية فيتخذها جسرا للصلة بين الهدف والمتلقي.

يفتش القران الكريم عن هذه الجوانب التي قد تذكر في كتب التاريخ بصورة حادثة او قضية جزئية لا قيمة لها، فيضعها تحت مجهر التحقيق والتدقيق ويعلبها بالاسس الواقعية للحياة واصولها الخالدة ومن ثم يوجه انظار الجميع اليها ويزيدهم يقينا وايمانا بها.

وعلى هذا ياخذ القران الكريم لب التاريخ ويحافظ عليه ويرمي بقشوره، لان مطلوبه هو الجوهر، فهو على خلاف المؤرخين ومنهجهم في سرد الوقائع، اذ يبعث في المستمع والقاريء حس التحقيق والتذكر والتفكر، ودراسة النقاط التاريخية باساليب مختلفة وتعابير متباينة ليودع فيهم الوعي واليقظة[1].

ويرى احد الباحثين ان القران الكريم يبين الهدف من ايراد العروض التاريخية وهو اثارة الفكر البشري ودفعه للبحث الدائب عن الحق بتقديم خلاصات التجارب البشرية للوصول الى مبدأ اساس هو الوحدانية بما لها من اثار على بقية مفاصل الحياة[2].

ومن هذه المفاصل تتاكد العلاقة الايجابية بين الانسان والكون والباري سبحانه وتعالى بتاسيس سنن، ونستشرف ذلك من قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر: ٤٣].

ومن أجل هذا لم يكن القران الكريم كتاب تاريخ... الا انه يتضمن قضايا تاريخية كثيرة لمن يسعى في استجلائها، الغاية منها تبيان وجوه مختلفة تتجلى فيها شتى المسائل في التربية والاجتماع في ثنايا تاريخ حياة الماضين[3].

وذلك التاريخ معبر عنه بالقصة، فالقصة في القران الكريم اخذت حيزا كبيرا في البحوث القرانية، فبعد كل ذلك نستطيع القول: ان الغرض الكلي للقصص القراني هو غرض ديني بحت، وهو هداية البشرية لما فيه صالحها وسعادتها[4].

اغراض القصة في القران الكريم

نستطيع ان ندرج تحت ذاك الغرض الكلي اغراضا جزئية اخرى، نلخص بعضا منها بما ياتي:

١. ان القصة القرآنية سيقت لغرض العبرة والاتعاظ، حيث يتعرف الناس على احوال الامم السالفة وما حل بها

(١) ناصر الدين الشيرازي، محمد والقران، ١٧١.
(٢) عماد الدين خليل، التفسير الاسلامي للتاريخ، ١٠٨.
(٣) ناصر الدين الشيرازي، محمد والقران، ١٧٢.
(٤) سيد قطب، التصوير الفني في القران الكريم، ١١٧.

وما الت اليه، حتى يعتبر ويتعظ اولوا الالباب[٥].

وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة يوسف: ١١١].

٢. لتثبيت فؤاد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وترسيخ صلابته في الدعوة الى وحدانية الله سبحانه وتعالى، حيث يقف على اخبار اخوانه من الرسل وعلاقتهم باقوامهم، وكيف كانت العاقبة للمتقين، والخزي والعذاب للمعاندين الكافرين[٦].

وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[سورة هود: ١٢٠].

٣. دليل على صدق نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، اذ انه اخبر عن الغيب وما اخباره ذاك الا عن طريق الوحي المرسل من السماء، ولانه رجل امي لا عهد له بالقراءة والكتابة ولا قومه اذ انهم لم يكونوا يعرفون من ذلك القصص شيئا[٧].

وفي ذلك قال سبحانه وتعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة هود: ٤٩].

٤. سنذكر هنا غرضا دينيا جليلا نرى انه من اهم اغراض القصة القرانية لما له من ارتباط بحياة الانسان على الارض بوجه عام، وحياة المسلم بوجه خاص، وهو: بيان بعض الاحكام الشرعية الكلية التي لا تختص بها شريعة سماوية دون غيرها، بل هي موجودة في كل الشرائع السماوية وهي غير قابلة للنسخ ومؤكدة وثابتة

(٥) محمد سعيد رمضان البوطي، من روائع القران، ١٧٧ + احمد العمري، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القراني، ١٧٦.

(٦) سيد قطب، التصوير الفني في القران الكريم، ١٢٢ + محمود الشرقاوي، الانبياء في القران، ١٠٢.

(٧) احمد جمال العمري، دراسات في التفسير الموضوعي، ١٧٧.

من ذلك قصة هابيل وقابيل[٨].

تثبت هذه القصة ان الحسد والغيرة اذا تمكنا في النفس الانسانية تؤديان بها الى الاعتداء على الاخرين فلا دواء لهذا المرض الا ببتر من استكن في قلبه، فذكر الله سبحانه وتعالى عقب ذكر قصة ابني ادم عليه السلام حكما شرعيا عاما في قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[سورة المائدة: ٣٢].

فلم يترك سبحانه وتعالى امور الناس فوضى، ولا حياتهم هملا يجرم من يجرم ثم يندم فكانت شرعية القصاص، لان الاعتداء بقتل النفس عمدا واعتداءا هو سلب لحق الحياة في كل انسان، فيجب القصاص لان احياء الحياة لا يكون الا بالقصاص من القاتل، فكانما احيا الناس جميعا، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [سورة البقرة: ١٧٩].

وبذلك يتبين لنا ان القران الكريم حتى من خلال قصصه وتاسيس قيمه الايجابية في الحياة يعطي التشريعَ حصة مفضية الى تاسيس قيم فتكون مما لا يمكن فصلها بعضها عن بعض وهذا مؤدى الاعجاز القراني.

وهناك اغراض اخرى للقصة القرانية غير ما ذكرنا لسنا بصددها تفصيلا[٩].

اهم الاراء في فهم القصص القراني

واما بالنسبة لفهم القصص القراني فقد ظهرت اراء متعددة، اعرضها بايجاز لاختيار الراجح منها[١٠].

١. ذهب بعضهم الى صرف الكلام عن مدلوله اللغوي الى معنى اخر من دون ما يدعو الى هذا التاويل، وهذا المنهج هو طريقة التاويل التي اسستها الباطنية في فهم القصص القراني وفي

(٨) ظ: الايات من ٢٧ – ٣١ من سورة المائدة.

(٩) اوصلها سيد قطب الى عشرة اغراض، انظر للتفصيل: سيد قطب، التصوير الفني، ١١٧ – ١٢٥.

(١٠) ظ: محمود شلتوت، تفسير القران الكريم، الاجزاء العشرة الاولى، ١/ ٤١ – ٥٠.

هذا خطر داهم ينبغي لنا الحذر منه.

٢. وذهب اخرون الى الافراط في تحكيم وقبول الروايات الواردة من طرق مختلفة في فهم القصص القراني، واعتبار كل ما ورد فيها من اثار واخبار صحيحا، وعد هذا الفريق كل تلك الروايات الواردة في القصة المصدر الثاني لها بعد القران الكريم، وهو منهج جمهور المفسرين.

٣. وذهب اخرون الى صرف الالفاظ عن معانيها الحقيقية الى تخييل ما ليس بواقع واقعا.

٤. والمنهج المقبول في فهم القصص القراني هو «الوقوف عند ما ورد في القران الكريم، مع الاحتفاظ بدلالة الالفاظ اللغوية على معانيها وافادتها للواقع هي تعبير صحيح عنه، من دون تزيد عليه بما لم يرد فيه اعتمادا على روايات لا سند لها كما صنع المفرطون، و من دون صرف للالفاظ عن معانيها الوضعية الى معان اخرى فبمنع اجراء الكلام على ظاهره، كما فعل اهل التاويل»[11].

(١١) المصدر نفسه، ١/ ٥٠.

اذن، لا يعاب على القران الكريم، اهماله للاماكن والاشخاص وعدم ترتيبه للحوادث في القصص الواردة فيه، فذلك شأن المؤرخ الذي يعنى بالقصص تاريخا لا عظة وعبرة، اما القران الكريم فانه كتاب هداية وتوجيه وعقيدة فنراه يفرق القصة القرانية الواحدة في اماكن متعددة وفي سور مختلفة باعتبار المناسبات والملابسات تاريخيا واجتماعيا.

القصة القرانية والتفسير الموضوعي.

وهنا ياتي دور التفسير الموضوعي في ضم اجزاء القصص القراني بعضها الى بعض فيضم التفاصيل الى محاورها، والجزئيات الى كلياتها، والفروع الى اصولها، ولكنه في كل هذا لا يفقد القصص القراني اغراضه الدينية ولا يفرط بواحد منها، بل على العكس من ذلك فهو يوحد القصة المتفرقة في القران الكريم ويرتب لها فصولا تغني الباحثين والدارسين والمتطلعين الى رؤية القصة القرانية موضوعا مستقلا له ابعاده الفنية وانعكاساته الاخلاقية في التربية والتوجيه اضافة الى استكمال جزئياتها من

الموارد المتفرقة لذكرها في القران الكريم ويشكل بيانات كافية وصحيحة للدراسة والاستنتاج لمن يريد ان يجعل من القصص القراني مادة لدراسة اطروحة قرانية معينة من مثل «السنن التاريخية في القران الكريم».

قصة هود والتفسير الموضوعي

عند استقراء الباحث جميع مفاصل وأجزاء قصة هود عليه السلام في القران الكريم، وجدتُ انها تشكل حيزا كبيرا في القران الكريم فضلا عن انه قد خصص سورة من القران تحمل اسم نبي الله هود عليه السلام.

والتفسير الموضوعي كمنهج ونظام يستطيع ان يسعفنا في تحديث اسلوب معالجة القصص القراني عرضا ونقدا أي «بيان الخصائص الايجابية للنص من جهة اثره في المتلقي»[12]، وهذا الاسلوب هو التسلسل الطبيعي للحدث الذي تزيد اياته على الاربعة او اكثر، وذلك التسلسل هو: انه بعد درج الايات الخاصة بالموضوع الواحد نتبعها بعملية نثر تلك الايات على غير ما موجود في القران الكريم ولكن بالالفاظ نفسها التي وردت فيها لكي تشكل قطعة نثرية لموضوع معين نستطيع من خلاله فهم وتفسير تلك الايات القرانية المدرجة تحت عنوان الموضوع الرئيس.

وساضع هنا امام القاريء محاورا لقصة هود عليه السلام باياتها الخاصة ثم اردفها بما سميته التسلسل الطبيعي، وسيتبين من خلال ذلك سهولة فهم القصة القرانية بهذه الطريقة، وبدون الحاجة ولو مؤقتا لاقوال المفسرين في فهم القصة القرانية، واليكم هذه المحاور: -

المحور الاول: رسالة هود الى عاد بالاحقاف ودعوته:

١- ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[13] [سورة الأعراف: ٦٥]، [سورة هود: ٥٠].

٢- ﴿عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٣ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[سورة فصلت: ١٤].

٣- ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ

(١٢) محمود البستاني، بحوث في تحليل النص القراني، ٧٥.

(١٣) ذكر اسم «هود» سبع مرات، انظر الايات (الذين هادوا، وقالوا ان هدنا، وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا).

﴿وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة الاحقاف: ٢١].

٤-﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥].

٥-﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [سورة هود: ٥٠].

التسلسل الطبيعي للموضوع

(ولقد ارسلنا) الى عاد اخاهم هودا، واذكر اخا عاد اذ انذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه، اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم، قال يا قوم اعبدوا الله، الا تعبدوا الا الله، ما لكم من اله غيره افلا تتقون، ان انتم الا مفترون).

المحور الثاني: تكذيب عاد للرسل ومجادلة هود اياهم:

١-﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٢٣ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١٢٤]، ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥].

٢-﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝١٢٥ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٢٦ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الشعراء: ١٢٥ -١٢٧].

٣-﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِى ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة هود: ٥١].

٤-﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝١٣١ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝١٣٢ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۝١٣٣ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٣٤].

٥-﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ٥٢].

٦-﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الشعراء: ١٣٥]، [سورة الاحقاف: ٢١].

التسلسل الطبيعي للموضوع

(كذبت عاد المرسلين اذ قال لهم اخوهم الا «افلا» تتقون، اني لكم رسول

امين فاتقوا الله واطيعون (ياقوم لا اسالكم) وما اسالكم عليه من اجر (اجرا) ان اجري الا على (الذي فطرني) رب العالمين ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم، اتبنون بكل ريع اية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذ بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله واطيعون ولتتقوا الذي امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون، افلا تعقلون).

المحور الثالث: تسفيه قوم هود اياه وانكارهم رسالة البشر:

١-﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[سورة الأعراف: ٦٦].

٢-﴿ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سورة فصلت: ١٤].

التسلسل الطبيعي للموضوع

(قال -قالوا -الملأ الذين كفروا من قومه انا لنريك في سفاهة لو شاء ربنا لانزل ملائكة، وانا نظنك من الكاذبين، فانا بما ارسلتم به كافرون).

المحور الرابع: تنزيه هود ونفي العجب من رسالته بعد رسالة نوح: -

١-﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٦٧].

٢-﴿ وَأُبَلِّغُكُمْ (١٤) مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ ﴾ [سورة الاحقاف: ٢٣].

٣-﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[سورة الشعراء: ١٢٥].

٤-﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

[سورة الأعراف: ٦٩].

التسلسل الطبيعي للموضوع

«قال يا قوم اني لكم رسول امين- ولكني -رسول من رب العالمين، ابلغكم رسالات ربي -ما ارسلت به- وانا لكم

(١٤) بعد ان تولى قومه قال ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ ﴾ [سورة هود: ٥٧].

ناصح امين، ليس بي سفاهة، اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح، وزادكم في الخلق بصطة، فاذكروا الاء الله لعلكم تفلحون».

المحور الخامس: طلب عاد البينة من هود وطلب العذاب استهزاءا:

١-﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ﴾ [سورة هود: ٥٤].

٢-﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٧٠].

٣-﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [سورة الاحقاف: ٢٢].

التسلسل الطبيعي للموضوع

«قالوا "ياهود» اجئتنا لنعبد الله وحده، لتافكنا عن الهتنا، ونذر ما كان يعبد اباؤنا، ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين، ان نقول الا اعتريك بعض الهتنا بسوء، فاتنا بما تعدنا، ان كنت من الصادقين».

المحور السادس: نصيحة هود وانذاره بالعذاب وتعليقه بعلم الله:

١-﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾ [سورة الاحقاف: ٢٣].

٢-﴿ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [سورة الأعراف: ٧١].

٣-﴿ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾ [سورة هود: ٥٤ -٥٧].

٤-﴿ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ

﴿ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٧١].

جاء ترتيب الاحداث في هذا المحور بما لا يحتاج معه الى تسلسل طبيعي للموضوع وكل الذي قمنا به هو ترتيب احداث تلك السور على هذه الطريقة.

المحور السابع: تكذيب عاد بالقارعة والعذاب:

١- ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ [سورة الحاقة: ١ -٤].

٢- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ۝١٣٦ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣٧ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝١٣٨ فَكَذَّبُوهُ﴾ [سورة الشعراء: ١٣٩].

٣- ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٦].

٤- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ﴾ [سورة القمر: ١٨].

وهذا المحور لا يحتاج الى تسلسل طبيعي ايضا.

المحور الثامن: استخفاف عاد بالاية استكبارا واعجابا بقوتهم:

١- ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [سورة فصلت: ١٥].

٢- ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝٥٩ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ﴾ [سورة هود: ٦٠].

٣- ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٨].

٤- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة الاحقاف: ٢٦].

٥- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ

﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[سورة الفجر: ٦ -١٤].

لايحتاج هذا المحور الى تسلسل طبيعي.

المحور التاسع: نجاة هود والذين معه من العذاب

١-﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾[سورة هود: ٥٨].

٢-﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ [سورة الأعراف: ٧٢].

٣-﴿ وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [سورة هود: ٥٨].

لا يحتاج هذا المحور الى تسلسل طبيعي ايضا.

المحور العاشر: اهلاك الله عادا بريح صرصر عاتية

١-﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ٧٢].

٢-﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سورة الشعراء: ١٣٩-١٤٠].

٣-﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ[١٥] فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴾ [سورة القمر: ١٨].

٤-﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴾[سورة النجم: ٥١].

٥-﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾[سورة الحاقة: ٦].

٦-﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴾[سورة القمر: ١٩].

٧-﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴾ [سورة الذريات: ٤١].

٨-﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ﴾[سورة فصلت: ١٦].

٩-﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾[سورة الحاقة: ٧].

١٠-﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍ

(١٥) تقدم في المحور السابع تكذيبهم (كذبت ثمود وعاد بالقارعة، (قالوا) وما نحن بمعذبين).

﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾[سورة الاحقاف: ٢٥].

١١-﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [سورة الذريات: ٤٢].

١٢-﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [سورة القمر: ٢٠-٢١].

١٣-﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [سورة الحاقة: ٧] ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ﴾[سورة الحاقة: ٨].

١٤-﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الاحقاف: ٢٥].

١٥-﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة فصلت: ١٦].

التسلسل الطبيعي للموضوع

«كذبت عاد، فكذبوه، فكيف كان عذابي ونذر، انه اهلك عادا الاولى فاهلكناهم، انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر، ايام نحسات، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام، حسوما، فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شيء بامر ربها، فترى القوم فيها صرعى فاهلكوا بريح صرصر عاتية، الريح العقيم ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم، تنزع الناس كانهم اعجاز نخل منقعر، خاوية، وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم، فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم، فهل ترى لهم من باقية، كذلك نجزي القوم المجرمين، لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا، فكيف كان عذابي ونذر، ولعذاب الاخرة اخزى وهم لا ينصرون».

المحور الاخير: اتباع عاد باللعنة وتذكير صالح لقومه بهذه القصة وكذلك القران الكريم.

١-﴿وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾[سورة هود: ٦٠].

٢-قال تعالى حكاية عن صالح ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ﴾[سورة الأعراف: ٧٤].

٣- ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [سورة القمر: ٢٢].

٤- ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ [سورة فصلت: ١٣].

وبهذا يكون ورود قصة هود عليه السلام في عشر سور من القران الكريم وهي كما ياتي حسب تسلسل ورودها في المصحف الشريف، وسيتبين ان مجموع الايات الكريمة التي شكلت المحاور الرئيسة لاحداث وشخصيات القصة.

اسم السورة حسب ترتيب المصحف عدد الايات:

تقدم ذكر الايات واجزاء الايات التي استطعنا ان نستخرجها من القران لادراجها ضمن هذه القصة، مستعينين بالفهارس الموضوعية للقران الكريم، فان فاتنا منها شيء فانه جهد متواضع للوصول الى تفسير موضوعي للقصص القراني والتقاط شذرات مضيئة من ذلك القصص من خلال ما توصلنا اليه من محاور تندرج تحتها مفاصل قصة هود، كانت بيانات واستنتاجات كافية لدراسة هذه القصة في المستقبل ان شاء الله وبينا من خلال تلك المحاور نجاح التفسير الموضوعي في تقديم اطروحة انسانية

اسم السورة حسب ترتيب المصحف	عدد الايات
الاعراف	٨
هود	١١
ابراهيم	١
المؤمنون	١١
الشعراء	١٨
ص	٢
الاحقاف	٦
الذاريات	٢
القمر	٤
الفجر	٣
١٠	٦٦

متكاملة في ضوء تفسيره للقصص القراني برؤى جديدة وابعاد فنية تستجلي الهداية الالهية على شكل عبرة واتعاظ.

مصادر البحث

القران الكريم

- البستاني: د. محمد، في تحليل النص القراني، مذكرات محاضراته التي القاها على طلبة كلية الفقه، النجف، العراق، ١٩٧٣م.
- البوطي: د. محمد سعيد رمضان، من روائع القران، ط٢، دار المعارف للطباعة، مصر، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
- خليل: د. عماد الدين، التفسير الاسلامي للتاريخ، ط٤، مطبعة الشعب، العراق، «د. ت».
- سيد قطب، التصوير الفني للقران الكريم، دار المعارف، مصر، ١٩٤٥م.
- الشرقاوي: الشيخ محمود، الانبياء في القران، مطبعة دار الشعب، القاهرة، مصر، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
- شلتوت: الشيخ محمود، تفسير القران الكريم «الاجزاء العشرة الاولى»، ط٤، مطبعة دار العلم، مصر، ١٩٦٦م.
- الشيرازي: ناصر الدين، محمد والقران، ط١، دار الغدير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.
- العمري: د. احمد جمال، دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القراني، ط١، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
- محمد: مصطفى محمد، الفهرس الموضوعي لايات القران الكريم، ط٢، مطبعة الخلود، بغداد، العراق، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م.


وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ

ألنَّبيُّ موسى (عليه السلام) وبنو إسرائيلَ

-عَرضٌ قرآنيٌّ-

حسين درويش

جامعة المصطفى-بيروت- لبنان

ملخص البحث

يعرض السيد الباحث جوانب من قصة سيدنا موسى عليه السلام وما لاقاه من فرعون وطغيانه من اذىً ثم ما عاناه من الأسى جراء سوء معاملة بني اسرائيل اياه بالرغم من انه جاء لانقاذهم وتخليصهم من أصعب ما يعاني منه شعب مضطهد محروم. وقد اختار السيد الباحث جملة مواقف بالعرض والتحليل على وفق الرواية القرآنية الصادقة لتلك المواقف وخلص الي نتائج مهمة.

في مطالعة سريعة لحياة النّبي موسى عليه السلام الصاخبة والمملوءة بالأحداث والدّروس، ومن أجل وضع إشارات ومعالم في مسيرة المجتمع آنذاك تبيّن منهجية هذا النبي العظيم ودوره السياسي والإجتماعي في إحياء أُمّة من الأُمم العريقة، وتشييد حضارة بشرية متأصلة، يمكن تقسيم أحداث هذه المسيرة على مرحلتين:

١. مرحلة ما قبل البعثة.

٢. مرحلة ما بعد البعثة.

(١)
مرحلة ما قبل البعثة

دراسة مرحلة ما قبل النبوة، والبحث في الشرائط والظروف الموضوعية التي ساعدت موسى عليه السلام كثيراً في أداء مهمته الصعبة.

الظروف الموضوعية:

لابدّ من الإشارة إلى عدّة ظروف وعوامل إيجابية استفاد منها موسى أحسن فائدة، وكان لها دور كبير في مستقبل حياته ودعوته، وهي:

١. إن زوجة فرعون وهي آسية بنت مزاحم كانت من بني إسرائيل[١]، وقد تزوجها فرعون لجمالها الساحر، لأنّ الملوك لا يتزوجون إلاّ من ذوات النسب الشامخ أو الجمال الباهر، فلما فقدت الأولى تعيّن الثانية، لأنّ بني إسرائيل كانوا في الطبقة الدنيا في المجتمع المصري آنذاك، وكونها من بني إسرائيل يفسّر لنا تعاطفها الشديد مع موسى وأُمّه، وإيمانها به بعد ذلك إيماناً جعلها في قمّة المؤمنات في التاريخ[٢]، وقد سهّلت لموسى عليه السلام التعرّف على حياة المستضعفين من بني إسرائيل، والإهتمام بهم والتأثر لأحوالهم وتعاستهم بما كانت تحدّثه عنهم وتربيه على محبتهم، والإبتعاد عن ظلمهم، وكراهية الظلم والعدوان.

٢. المحبة الشديدة والعشق العجيب الذي سكن قلب فرعون وزوجته لهذا الطفل بحيث منع فرعون من الفكرة

(١) المجلسي، محمد باقر(شيخ): بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، ط٣، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص ١٦.

(٢) م. ن، ص ١٦٢، ح ٤.

في قتله، كما يقول القرآن الكريم في ذلك ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ [سورة طه: ٣٩].

٣. ومن حسن الحظ أنّ آسية لم تكن ذات ولد، وأغلب الظن أنّ العقر كان من طرف زوجها لا منها، لأنّ الملوك عادة لا ينتظرون بزوجاتهم سوى مجيء ولي العهد، فإذا تأخر قدومه لسنوات طويلة، تزوجوا من أخريات، فضلا عن ما يحتوي البلاط الملكي من جوار وسرار يخطئهن الحصر للقيام بمتطلبات البلاط وشؤون الملك الخاصة، وإنعدام الوارث للعرش جعل من القادم الجديد ولياً للعهد لا محالة.

٤. إنّ بني إسرائيل لم يكونوا يقبلون أحداً بالنبوة ويرضوا باتباعه إلاّ من كان إسمه موسى بن عمران، لما توارثوه من أخبار عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام أن نجاة قومه ستكون على يد نبي منهم أسمه موسى بن عمران، ولهذا كان الرجل منهم يسمي ولده عمران وهذا بدوره يسمي ابنه موسى حتى يكون هو المنقذ لبني إسرائيل حتى كثر المتنبّون ممّن تسمّى بهذا الإسم قبل موسى عليه السلام كما وردت بذلك الروايات الشريفة.

هذه العوامل الاربعة قد هيأت الأرضية الصالحة لتحرك موسى فيما بعد، وبوساطتها نشأ وترعرع وتميّز في أخلاقه عن سائر أولاد الملوك والطواغيت، فما أن إشتد ساعده وبلغ أشدّه وشاهد الطبقية المجحفة في بيئته، وسمع أنّات المظلومين والبائسين من بني قومه حتى تحركت فيه العواطف الإنسانية النبيلة، ووجد نفسه منساقاً إلى رفض المحيط المترف والتعاطف مع العبيد والمستضعفين، إلاّ أنّ عقله تغلّب على عواطفه، فلابد من التصرف بحذر وأناة في ظل الكابوس المخيّم على مصر والطاغوت الذي جعل أهلها شيعاً، يعذب طائفة منهم ويُذبِّح أبناءهم ويستحي نساءهم، وفي ذلك بلاء عظيم.

ومن خلال مطالعة الآيات القرآنية وبضميمة بعض الشواهد والقرائن الأُخرى يمكن إبراز دور موسى عليه السلام في هذه المرحلة، أي مرحلة ما قبل النبوة،

من خلال سمات معينة ونقاط مضيئة ومواقف تاريخية جديرة بالتوقف عندها، والإغتراف من عذب مائها والإعتبار بدروسها.

الإنجازات

١. إن الشواهد القرآنية تدل على أنّ موسى عليه السلام، ولتلك الخلفيات التي ذكرناها، قام بتشكيل تنظيم سري مضاد داخل البلاط الملكي يهدف إلى مساعدته في أعماله وانشطته المخالفة للتيار الحاكم، ويهيء الأرضية المناسبة لحكم سليم عند تولّي موسى زمام الأمور بعد فرعون، وهذا المعنى نجده في الآيات التي تشير إلى وجود أعوان له داخل البلاط:

﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ [سورة القصص: ٢٠].

وكان هذا الرجل متألما من جرائم فرعون، وينتظر أن تقوم ثورة «إلهية» ضده فيشترك معها ويبدو أنه كان له أمل كبير بموسى عليه السلام إذ كان يتوسم في وجهه رجلا ربانيا صالحا ثوريا[٣].

وهذا يبيّن أن موسى عليه السلام وضع العيون والجواسيس على الحاشية الفرعونية يأتوه بكل صغيرة وكبيرة من وقائع القصر، وأكثر من ذلك أنّ واحداً من كبار الملأ قد أنضم إلى موسى عليه السلام سراً، وكان منصبه حساساً إلى درجة إنّه بأمكانه التأثير في الكثير من الأطروحات العملية للبلاط، والذي يتحدث عنه القرآن الكريم بصفة المؤمن:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ [سورة غافر: ٢٦].

ووصل هذا التنظيم بعد البعثة من القوة والنفوذ إلى أنّ فرعون نفسه خاف على حاشيته وجنده من الانجراف لتيار موسى عليه السلام وأتباعه، حيث قال للملأ من حوله: ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [سورة غافر: ٢٦].

(٣) الشيرازي، ناصر مكارم(شيخ): الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط١، دار الاميرة، بيروت، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٥م، ج ١٢، ص٢٠٥-٢٠٦

المهم أنّ الغرض من هذا التنظيم السرّي هو مواجهة الملأ بقيادة هامان بعد وفاة فرعون، وتولّي موسى عليه السلام السلطة بعده بصفته وليّ العهد، فليس لعرش مصر وارث سواه، ولكن الخطر يكمن في الملأ أو رجال القصر وخاصة الوزير الأعظم «هامان» الذي كان يتضايق جداً من تصرفات موسى عليه السلام وميوله إلى الحق والعدالة وتعاطفه مع طبقات الشعب الدنيا، ولعلّه كان يخطط بدوره للإستيلاء على السلطة أيضاً بعد فرعون حيث لا وارث له على العرش سواه لولا مجيء هذا القادم الجديد، والروايات تؤكّد أنّ هامان هو الذي منع فرعون من الإيمان بموسى عليه السلام كما ورد في كتاب بحار الأنوار: «إنّ فرعون أعجبه كلام موسى، وكان لا يقطع أمراً دون هامان وكان غائباً، فلما قدم هامان أخبره بالذي دعاه اليه وأنّه يريد أن يقبل منه، فقال هامان: قد كنت أرى أنّ لك عقلاً ورأياً، بينا أنت ربّ تريد أن تكون مربوباً؟ وبينا أنت تُعبَدُ تريد أن تكون عبداً؟ فقلبه عن رأيه...»[٤] وكان هو والملأ يتمتعون بالقوة والنّفوذ إلى درجة أنّهم أخذوا يخططون لقتل ولي العهد بعد مسألة قتل القبطي، ومعلوم أن قتل شخص واحد لا يعدّ في عرف الحكومات الطاغوتية شيئاً يستحق الذكر فضلاً عن مقاصة ولي العهد به، فالأمر ليس بهذه السّطحية، بل مؤامرة لها جذور وغايات أبعد من ذلك بكثير.

موسى عليه السلام بدوره يحتاج إلى هذا الملأ، لأنّ الثقافة الحاكمة كانت تأبى عليه أن يأتي بأفراد من بني إسرائيل ليحلّوا مكانهم ويتمتعوا بصلاحيات طبقة الأشراف، ولذا إهتم بإنشاء قاعدة منهم تؤيده وتسانده ضد هامان الوزير وغالبية الأشراف ورجال الجيش الذين تربّوا على نمط معيّن من المفاهيم الطبقية والترف المادي والمناصب الدنيوية.

٢. إنّه عليه السلام كان يتعاطف مع بني إسرائيل ويساعدهم مادياً ومعنوياً ويرفع عنهم الظلامات، بل يقوم بتفقدهم وزيارتهم، ويتعلّم خفية عند علمائهم حتى شاع وذاع أمر إصلاحاته وأنّه من المصلحين لدى الصديق والعدو،

(٤) بحار الأنوار، م. س، ج ١٣، ص ٩٣.

والقرآن الكريم يشير إلى ذلك في عدة موارد، منها دخوله مدينة الطبقة الدنيا والرعايا من الشعب متنكراً: ﴿وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة القصص: ١٥] وهذا يلمّح إلى أنّه عليه السلام كانت له زيارات عدّة إلى هذه المدينة البائسة ليتفقد أهلها، وتقع قصور القبط والطبقة المالكة إلى الشمال منها وفي الجانب الآخر من النيل بدليل أنّ أُم موسى حينما ألقت بطفلها في النيل جاءت به الأمواج إلى الساحل الفرعوني، أي إلى الشمال، لأنّ نهر النيل يجري من الجنوب إلى الشمال.

ومنها: دفاعه عن الإسرائيلي ضد القبطي، وفي الروايات[٥] أنّ القبطي كان يريد تحميل حمل ثقيل على الإسرائيلي فأبى، فوقع الصراع بينهما وتدخل موسى كعادته لصالح الإسرائيلي:

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [سورة القصص: ١٥].

(٥) بحار الأنوار، م. س، ج ١٣، ص٩٤.

ومنها: أنّ هذا الإسرائيلي لم يكن ليستغيث بموسى عليه السلام لولم يكن يعلم سابقاً باتجاه موسى عليه السلام المؤيد لهم والمدافع عنهم؟.

ومنها: قول أحد المتنازعين في نزاع آخر لموسى عليه السلام عندما تقدم نحوه قاصداً البطش به:

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [سورة القصص: ١٩].

وهذا يشير إلى أنّ هذا الشخص كان على علم بأنّ موسى عليه السلام يريد أن يكون من المصلحين، ولهذا دافع عن نفسه بهذا الدفاع ممّا أخجل موسى عليه السلام فتركه[٦].

وممّا يدل على أنّ مساعدة المستضعفين أصبحت عنده عادة وسجية، موقفه الرائع والإنساني تجاه المرأتين إبنتي شعيب وإعانتهما على السقي وكان تعباً قد وصل لتوّه إلى هذا المكان الصحراوي هرباً

(٦) لأنّ موسى عليه السلام يعترف بأنّه قتل شخصاً واحداً لا أكثر ﴿قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [سورة القصص: ٣٣].

من القتل، ولكن لم يمنعه الجهد من بذل النصرة لهاتين المرأتين بعدما لمس الصدق والإستعطاف منهما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص: ٢٣ - ٢٤].

وهنا وصل موسى عليه السلام إلى ذروة التوكل والإلتجاء إلى الله تعالى بعد أن فقد بين عشية وضحاها كل شيء في سبيل الله، وبالأمس كان منعماً بأترف معيشة يمكن أن يعيشها شاب مثله، فقد ترك القصور والثروة والحرس والخدم وألوان الأطعمة والرياش وحنان الأسرة والجاه العريض والأمن الهادىء والنيل الجميل، والآن يجد نفسه قد فقد كل شيء حتى أنّه لم يجد من يؤويه، وهنا شعر بلذّة الإيمان، وأحسّ بأنه قريب من الله جداً، ولذا لهج لسانه بأعظم الذكر: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص: ٢٤].

أي لا تسلب مني هذه النعمة بعد أن زالت جميع النعم الدنيوية عنّي لانّي محتاج إليها، ومن الواضح أنّه لم يكن لديه في ذلك الوقت غير الإيمان والعشق لله تعالى فلم يكتف بالقول «رب إني فقير».

وهذا المعنى يكشف عن قانون إلهي، وهو أنّ من يريد الوصول إلى الله تعالى يجب عليه أوّلاً التخلي عن كل العلائق المادية والدنيوية كما يصرح العرفاء في المراحل الثلاثة للسلوك وأن أولها التخلية، ثم التزكية، والثالثة التحلية.

ومنذ ذلك الوقت بدأت العناية الربانية بالظهور لموسى عليه السلام بثوب جديد، ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ﴾ [سورة القصص: ٢٥].

وعلى أية حال فإننا نفهم من سجية موسى عليه السلام الإصلاحية ومن بعض الإشارات القرآنية أنّه قدم خدمات كبيرة لبني إسرائيل والشعب بصورة عامة في المدة التي كان يعيش فيها في البلاط.

٣. لا شك أنه عليه السلام لم يكتف بمساعدة الشعب مادياً، بل كان يدافع عنهم في مجلس الملك الرسمي، وممّا يؤيد أن وضع بني إسرائيل المادي قد إرتفع وتحسن ان احد قرابة موسى عليه السلام وهو قارون قد ملك الأموال الطائلة

والكنوز ما يذكره القرآن الكريم بقوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ(٧) لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [سورة القصص: ٧٦]. وإلاّ فكيف يعقل أنّ أحداً من الطبقة السفلى من بني إسرائيل يملك كل هذه الأموال مع حكومة أرستقراطية وديكتاتورية؟ ولا يعقل أنّه ملك كل هذه الكنوز بعد مرحلة الإنقاذ، لأنّ صحراء سيناء لم تكون مؤهّلة لنشاط إقتصادي يدرّ عليه كل هذا الربح الوفير حيث حر الشمس اللافح في تلك الصحراء المجدبة، فأنعم الله عليهم بأن ظلل عليهم الغمام، وحيث الجوع القاسي فأنزل عليهم المن والسلوى، وتأتي مسألة التيه وضياع بني إسرائيل في سيناء لسنوات عديدة وموت موسى عليه السلام في سنوات التيه لترفض هذا الإحتمال من الأساس وتقطع دابره.

(٧) ليس المقصود بالمفاتح هو المفاتيح كما يتوهم البعض، لأنّ المفاتيح مهما كثرت لا تكون ثقيلة لدرجة أنّ العصبة وهم أربعون رجلاً قوياً ـ يصعب عليهم حملها، بل المراد بها الخزائن والجرار التي توضع فيها سبائك الذهب ولفضة.

٤. أمّا على المستوى السياسي في المجتمع الإسرائيلي فلم يكتف موسى بما تقدم، فالقرآن الكريم يشير إلى وجود تنظيم سياسي آخر لموسى عليه السلام في بني إسرائيل ويرأسه هارون أخوه.

ويقول: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص: ١٥]. فيعلم من ذلك أنّه كان له شيعةٌ وأنصار، ولفظة «شيعته» تدل على أكثر من أنّه من قومه أو محبيه، بل هو ممن إرتبط بموسى عليه السلام برابطة قوية وميثاق تجعل موسى عليه السلام يهبّ لنصرته ويقتل عدوه.

(٢)

مرحلة ما بعد البعثة

تقدم أنّ موسى عليه السلام كان في المرحلة السابقة يُهَيَّأُ لاستلام العرش بعد وفاة فرعون والقيام بإصلاحات جذرية وتغيير ماهيّة الحكومة الفرعونية المستبدة بحكومة عادلة من الاعلى ورأس الهرم، ولكن شاءت الأقدار أن يرتكب خطأً بحسب الظاهر (وان كان صحيحاً

بحسب التخطيط الالهي) مما جعله يستغفر منه وينسبه إلى الشيطان، وإن كان ما أقدم عليه من قتل القبطي لا غبار عليه من الناحية الشرعية، بل هو عمل ممدوح ويدخل في باب نصرة المظلوم والدفاع عن الحق، إلاّ أنّ هذا العمل أفشل كل مخططاته وطموحاته. وأصبح بين عشية وضحاها وحيداً مطارداً.

وهكذا هي مشيئة الله تعالى أن تبدأ العملية الأصلاحية من القاعدة لا من الرأس، فكان أن بدأ موسى عليه السلام من نقطة الصفر عندما توجه إلى صحراء سيناء.

ومن دون سرد الحوادث التي لم يحسب لها حساب من لقائه بشعيب عليه السلام وزواجه من إحدى بناته وبقائه معه عشر سنوات ثم توجهه إلى الأرض المقدسة ومشاهدته النار على جبل طور ونزوله منه محملاً بالرسالة ومأموراً بالتوجه إلى مصر وإنقاذ بني إسرائيل، والتي يسردها القرآن الكريم في سورة القصص، وهي أمور نتركها للمؤرخين وكتب التفسير وقصص الأنبياء عليهم السلام، ولكن لا بأس بالتوقف قليلاً عند فقرة واحدة ثم نتابع المسيرة، فان النقطة الجديرة بالمكث عندها هي طلب موسى عليه السلام من الله تعالى أن يبعث هارون أخاه معه لأنه:

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾. وهي إشارة إلى أنّ إرسال هارون كان لشد عضده ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ ﴾[سورة القصص: ٣٥] ومؤازرته مخافة التكذيب، ومعلوم أنّ الدعوى المؤيدة بشاهد تكون أقرب إلى التصديق من الإدعاء المنفرد.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴾[سورة الشعراء: ١٣] حيث قدم ضيق الصدر الناشيء من عوامل نفسية ويتبعه طبيعياً صعوبة التعبير الحرّ وغير المقيد بقيود إنسانية منذ الطفولة، فإنّه عليه السلام قد تربّى ونشأ عند فرعون وأكل من طعامه، ولذا يصعب عليه التكلم بحرية ومن دون ملاحظة المخلّفات المسبقة، بخلاف هارون الذي لم يكن يقيده أي قيد تجاه فرعون وملئه، وقد كان موسى عليه السلام مصيباً في حدسه إذ ما أن وقعت عينا

فرعون عليه وسمع بادعائه ذكّره بسابق أيامه:

﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [سورة الشعراء: ١٨ -١٩].

أي أنت تنهاني أن أكفر بالله الذي أنعم عليّ والحال أنت تكفر أيضاً بمن أنعم عليك وربّاك سنين عديدة، ويمكن أن لا يكون لعلة أبداً، ونحن نعرض عن هذه الفقرة صفحاً ونستمر في سرد الوقائع بصورة مفهرسة.

توجه موسى عليه السلام بعد أن إختاره الله تعالى للنبوة إلى مصر، وألتقى بهارون وحدّثه بما كان من أمره فآمن به ومن معه من خلّص بني إسرائيل، ثم توجها معاً إلى القصر الفرعوني وهناك جرت محادثات ومحاججات رائعة واظهر موسى عليه السلام عدة معجزات من العصا واليد البيضاء.

ونكتفي في بيانها بذكر عدّة آيات شريفة بهذا الصدد:

﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴾ [سورة طه: ٤٧ -٥٢].

إنّ الآيات تصرح بان فرعون نوى قتله أو استشار الملأ بقتله في السنوات الأخيرة عندما أحسّ بالخطر قد سرى إلى البلاط:

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [سورة غافر: ٢٦].

وهذا يدل على أن قتله ممكن إلاّ أنّ المانع كان من فرعون نفسه، وكذلك وجود بعض المؤيدين لموسى عليه السلام في رجال البلاط ودفاعهم عنه، فما أن سمعوا بمقالة فرعون هذه إلاّ وانبرى أحدهم يحاجج فرعون بحجج قوية ومتينة ذكرها القرآن الكريم في ما يزيد على (١٤) آية:

﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ

﴿رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[سورة غافر: ٢٨].

فلو استحال قتله لما كان هناك باعث لهذا الدفاع المستميت الذي جرّ عليه البلاء وفضح نفسه أمام الأعداء، وقد تكون هذه المقولة حيلة من فرعون لاكتشاف أتباع موسى عليه السلام في بلاطه وحاشيته، لأنّ السلطان الطاغية إذا أراد قتل شخص لا يحتاج الى كلّ هذه المناورة، بل يكفي أن يصدر أمره بذلك، مضافاً إلى أنّ كلامه بذاته يشعر بضعف التصميم «ذروني أقتل...» وليس القصد منه الجدّية في القتل، بل تمويه منه على قومه، وإيهام أنهم كانوا هم المشيرين عليه بأن لا يقتله، وما كان يكفه عن ذلك إلا ما في نفسه من الفزع[٨].

نتحرك لاستجلاء أدوات الواقع التاريخي لاكتشاف دور موسى عليه السلام في بناء الحضارة الإنسانية في ذلك الوقت والتي استمرت عدة قرون متمادية تضخّ في تاريخ الحضارة البشرية دماً جديداً، وتبعث الروح الانسانية في الامم البالية.

الظروف الموضوعية:

عندما رجع موسى عليه السلام هذه المرة الى مصر كان يحمل معه شروطاً جديدة تختلف عن شروط المرحلة الاولى وقد ساعدته كثيراً على القيام بتحرك واسع النطاق لايجاد تحول جذري فى الامة، والعناصر الجديدة التي دخلت حيز الواقع وكان لها اكبر الاثر في نجاح موسى عليه السلام هي:

١. إنّه رجع هذه المرة واضح البصيرة وعلى اتصال مباشر بالله تعالى الذي يسدده ويحفظه فى كل خطوة وحركة: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٦]. بعد أن كان يعيش في حيرة وحذر ومستقبل مظلم كما كان نبينا الكريم حائراً فى كيفية هداية قومة قبل البعثة ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾[سورة الضحى: ٧].

٢. إنّه يحمل معه منهاجاً ورسالة وشريعة جديدة لبني اسرائيل يستطيع من خلالها احياء هذا الشعب المقهور، ويأمرهم وينهاهم بوصفه نبياً لا مجرد مصلح كما كان في المرحلة السابقة،

(٨) الطبرسي، الفضل ين الحسن(شيخ): جوامع الجامع، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، ١٣١٨هـ، ج ٣، ص ٢٤١.

ويسير فيهم بقانون الهي وكتاب مقدس.

٣. أنّه يحمل معه العصا الاعجازية التي كان لها دور كبير في مجمل الأحداث الواقعة في هذه المرحلة، فهي معجزته على نبوته، وبها انفلق له البحر فكان كل فرق كالطود العظيم، وبها سقى قومه الماء عندما ضربها على صخرة فانفجرت منها اثنتا عشرة عيناً وغير ذلك من الخدمات الجليلة.

٤. إن موقفه من فرعون اختلف كلياً عن المرحلة السابقة، فمن كونه ولي العهد وضرورة مراعاة قوانين القصر، إلى ثائر يقف في الطرف المقابل لفرعون وحكومته، ومن شخص واحد إلى رجل معه أُمة، وينطق عن شعب كامل ومؤيد من قبل شريحة لايستهان بها من الناس.

الإنجازات

١ - الاتحاد بعد التشتت:

ان مشكلة بني اسرائيل لم تكن مقصورة على ظلم فرعون وقتل الأبناء واستحياء النساء فحسب، بل إنّ هذا هو الجانب الظاهر والطاغي والذي مدّ بجذوره في اعماق الشعب الاسرائيلي ليكشف عن علل ذاتية وتمزق داخلي وكفر بالقيم السماوية وانحراف عن مسيرة اجدادهم الإنبياء عليهم السلام، فما وصلوا إليه من انحطاط وذلّة ومهانة كانت له جذور في أنفسهم ومرض في قلوبهم، ويكفينا شاهداً على عدم تورعهم وتشتتهم طرائق قدداً أن ادعى النبوة قبل موسى عليه السلام عشرات من الكذابين ولكل واحد منهم اتباع ومريدون، وما تصيبهم من مصيبة إلاّ بما كسبت أيديهم كما في الآية الشريفة، عند ذلك ندرك تأثير وجود القائد الذي يمنحه الناس ثقتهم ويتطلعون إليه في كل شاردة وواردة لتوحيد كلمتهم ورصّ صفوفهم وجعلهم أُمة متحدة لا أفراد وقبائل وتيارات متصارعة، فبعد ظهور موسى عليه السلام على الساحة السياسية والاجتماعية كقائد ونصير ومنقذ لهذا الشعب المقهور والمنقسم على نفسه، ذابت الخلافات وانتعشت الآمال وقويت النفوس اليائسة بالأمل المفعم وكأنّ روحاً جديدة قد دبّت في أوصالهم، فكان موسى عليه السلام وقرب

خلاصهم ونجاتهم حديث المجالس وفاكهة الموائد، وهذا الاتحاد الروحي والثقة بالقائد كانت له أثار ايجابية كبيرة على الصعيد السياسي والاجتماعي والنفسي لبني اسرائيل، ويشكل الأساس الذي يقوم عليه البناء الفوقاني.

٢- التوحيد:

من الأُسس التي تقوم عليها كل حضارة هي فلسفتها ونظرتها إلى ماوراء الطبيعة، وهي بالإضافة إلى كونها من مقومات الحضارة تعتبر حاجة نفسية يشعر بها كل فرد، ولهذا لا نجد أُمّة أو حضارة إلاّ ولها جانب عبادي خاص بها بمقدار ما تسمح به عقولهم، فانتشرت عبادة الأوثان والكواكب والنار والبقر وما شاكل ذلك في جميع الأُمم التاريخية، إلاّ أنّ بني اسرائيل كانوا قد عرفوا التوحيد من آبائهم يوسف ويعقوب واسحاق، ولكن هذا المقدار لم يكن يتجاوز الأذهان والأفكار بأحسن حالاته، فقد تأثروا كثيراً بالثقافة الحاكمة والديانة الوثنية للأقباط والأُمم الأُخرى، ولهذا لم يبق من التوحيد إلاّ الاسم والادعاء كما تشهد بذلك الآيات الشريفة التي تتحدث عن طلبهم من موسى أن يجعل لهم آلهة وأصناماً[٩] وأن يريهم الله جهرة وغير ذلك[١٠].

وهناك العديد من الآيات القرآنية التي تتحدث عن التوحيد الذي جاء به موسى عليه السلام وصفات الله تعالى وكيفية الارتباط به ودعائه وأمثال ذلك ممّا يسدّ فراغاً مهماً في عقائد الناس، مضافاً إلى تأثيرات التوحيد العملية في صياغة أخلاق الإنسان المؤمن وطريقة تفاعله مع الآخرين واحياء ضميره ووجدانه وعشرات التأثيرات الإيجابية الأُخرى، ونستمع إليه وهو يتحدث مع فرعون عن الله تعالى بما بهت الحاضرين:

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ

(٩) ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨].

(١٠) ﴿فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة النساء: ١٥٣]

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾[سورة الشعراء: ٢٣ -٢٨].

فهو عليه السلام تدرّج في تعريف التوحيد لقومه، ولكن فرعون سأله عن حقيقة الذّات المقدّسة، وبما أنّ معرفتها مستحيلة أجاب موسى عليه السلام بذكر الصّفات (قَالَ رَبُّ السّماواتِ...)، فاستغرب فرعون وأراد من الملأ مشاطرته في ذلك (قَالَ لِمَنْ حولَهُ ألا تَسمَعُون...) فإني أسأله عن حقيقة الرّب ويجيبني بذكر أفعاله، قال موسى عليه السلام مرّة أُخرى (قال ربّكم وربّ آبائكم...)، فلم يجد فرعون من إتهامه بالجنون، لأنّه أخذ يكلّم الفطرة بدل العقل، ويتحدث بأُمور لا يستريب فيها أحد لأنّها بديهية تدرك بالوجدان، وفرعون كان يتهرّب من الدخول إلى عالم الفطرة لأنّه يعلم بانّه مغلوب حتماً.

وفي محاججة أُخرى يسأل فرعون:

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾[سورة طه: ٤٩ -٥٣].

وهكذا يستمر موسى عليه السلام في تعريف الله تعالى لعباده بهذه الصورة من التنزيه والتعظيم والتصوير البديع الذي ينفذ إلى قلوب أعدائه فضلاً عن اتباعه.

٣- روح الشجاعة والتصدي للظلم:

إنّه عليه السلام زرع فيهم روح الشجاعة والمقاومة للظلم حيث كان عليه السلام طيلة المدّة الزمنية بين بعثته وإهلاك فرعون يعلّم الناس شريعته وينتظر منهم التحرك والثورة والنضج الفكري والنفسي لمواجهة الطاغوت وتحمل المسؤولية بدل الإعتماد على موسى وعصاه الإعجازية، ومرة أُخرى نلاحظ هذا المعنى في مواجهة الجبارين حينما أمرهم موسى عليه السلام بدخول القرية ومحاربتهم مع أنّه كان أقدر عليهم من ذلك، وتشير الآية الشريفة إلى هذا الواقعة:

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾[سورة المائدة: ٢٢].

ولكن الضعف النفسي بلغ من بني إسرائيل حداً أن جعلهم إتكاليين تماماً: ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[سورة المائدة: ٢٤].

وهذا لا يعني أنّ موسى عليه السلام لم ينجح في هذه النقطة بالذات، فإنّه زرع المفاهيم السامية في أذهانهم في البداية وسعى إلى تمرينهم عليها لتوليد الإرادة والهمّة، ومن المعلوم أنّ ذلك يستغرق وقتاً طويلاً، وقد يتأخر إلى الأجيال المقبلة، وبالفعل نجد بني إسرائيل بعد عدة قرون يطلبون بأنفسهم الجهاد من نبيّهم وإن فر أكثرهم، لكن المقصود هو ان هناك ثلة قليلة صبرت:

﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٧].

٤- انقاذهم من فرعون:

إنه عليه السلام أنقذهم من فرعون وسلطانه الظالم، حيث أغرق بعصاه فرعون وجنوده في البحر ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[سورة الشعراء: ٦٣ -٦٦].

ونال الإسرائيليون ما كانوا يحلمون به من الأمن والعدالة وذاقوا طعم الراحة والخلاص من تسلط فرعون الذي كان يستخف بهم ويذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، وعملية الإنقاذ هذه تستتبعها إيجابيات كثيرة كالتخلص من العقد النفسية ومخلفات الحكومة الجائرة، وبناء الشخصية المستقلة لكيانهم وحضارتهم.

٥- انقاذهم من الخرافات:

إنّه عليه السلام أنقذهم من خرافات الجهل وأباطيل والأوهام، فمن المعلوم ميل الأقوام في ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام والشمس كما في مصر الفراعنة أو عبادة آلهة كثيرة كما في اليونان والرومان، ولذلك كان من الصعب عليهم الإيمان بالغيب بعد أن توارثوا الإيمان بالمحسوسات، وبمجرّد أن غاب عنهم موسى عليه السلام أربعين يوماً حتى عبدوا العجل الذي صنعه السامري لهم: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ﴾[سورة طه: ٨٨].

وعندما مروا على أهل قرية يعبدون

أصناماً طلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم آلهة كذلك:

﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨].

فما كان من موسى إلاّ أن إنتهرهم:

﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٣٨ -١٣٩].

ونلاحظ الطريقة الفريدة والأسلوب التربوي الذي اتبعه موسى عليه السلام لتحقيق ذلك، فلم يكتفِ بالإرشاد اللفظي في قضية العجل، بل استعمل الأساليب النفسية التي توحي إليهم فظاعة ما أقدموا عليه وقباحة ما أرتكبوا من القاء الألواح المقدسة على الأرض، والأخذ برأس هارون يجره إليه ويؤنّبه على تركه بني إسرائيل للسامري ومن ثم توبيخهم وإحراق العجل وتدميره وذرّ رماده في البحر:

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٠]. ولعل معنى إلقاء الألواح -كما سمعته من بعض أساتذة التفسير -ان الألواح فيها الشريعة والأحكام الفرعية، ومن الحكمة بمكان ان نضعها جانبا ونبدأ من الأصول الاعتقادية أولا في مجتمع يرزح تحت الوثنية، ومن ثم يأتي دور الشريعة ليكمل البناء الروحي والنفسي في ذلك المجتمع.

٦- الروح المادية في بني اسرائيل:

من الواضح على نفسية بني إسرائيل، مضافاً إلى ما سبق من التخاذل والتجسيد، أنّهم كانوا يؤثرون حبّ المال والثروة بشكل عجيب، وهذه الحالة النفسية باقية لدى البقية من اليهود لحّد الآن وقد واجه موسى عليه السلام هذه الحالة بشجاعة في تركه قصور الفراعنة وما فيها والتوجه إلى سيناء بيد خالية، ورفضه العودة إلى مصر بعد هلاك فرعون، ومن إحراقه العجل الذهبي الذي صنعه السامري من حلي نساء بني إسرائيل ومسكوكات رجالهم ممّا أحدث في أنفسهم صدمة نفسية على إتلاف هذا المقدار الكبير من الذهب، مضافاً إلى ما تحتويه الشريعة الموسوية من إنفاق واجب وحثّ على مساعدة الفقراء

والتسامي على الجواذب المادية إلى حدٍّ أن قارون وهو قريب موسى عليه السلام حينما ظهر لبني إسرائيل في زينته من اللباس الفاخر والذهب المطرز والكنوز المحمّلة على البغال قال بعض بني إسرائيل:

﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ [سورة القصص: ٧٩].

فاجابهم الذين أوتوا العلم (وليس موسى عليه السلام).

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾

والقائلون بهذا القول هم المؤمنون أهل العلم بالله يخاطبون به أولئك الجهلة الذين تمنوا أن يؤتوا مثل ما أوتي قارون[١١]

وهذا يدل على أنّ موسى عليه السلام إستطاع أن يزرع في قومه كوادر وشخصيات متسامية على المادة، ولا تنجذب إلى لمعان الذهب وبريق الفضة.

٧- الشريعة الإلهيّة:

ويحدثنا القرآن الكريم أنّ موسى عليه السلام عندما خرج ببني اسرائيل من مصر وأسكنهم سيناء توجه إلى جبل طور ليستلم الوصايا العشر من الله تعالى والتي ستكون فيما بعد أساساً لشريعة اليهود:

﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [سورة الاعراف: ١٤٥].

٨- تأسيس الدولة المستقلة:

من الأمور المهمة جداً في تاريخ اليهود هو تأسيس الدولة المستقلة التي وضع أُسسها ونظّر قوانينها وشرع حقوقها موسى عليه السلام، ويمكن إعتبارها أوّل دولة تقوم على الشريعة الإلهية في التاريخ البشري، فعندما خرج موسى عليه السلام وقومه من البحر ونالوا حريتهم واستقلالهم شعروا بالحاجة إلى الدولة وضرورة القانون وبناء البيت الاسرائيلي بعد أن انتهت مرحلة الهدم والخلاص من الاستعمار الفرعوني.

وكان موسى عليه السلام يعلم أنّ هذا الجم الغفير من اتباعه على ما فيهم من الجهل والتشتت ليس من السليم إدارته بمفرده

(١١) الطباطبائي، محمد حسين(سيد): الميزان في تفسير القرآن بالقرآن، ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ج١٦، ص٨٠.

واخضاع حالة العصيان والتمرد المتجذرة فيهم بالمعجزات كما صنع بفرعون، لأنّه عليه السلام كان ينظر إلى المستقبل البعيد وضرورة استمرارية الدولة حتى بعد وفاته، فلابدّ من تربية بني اسرائيل على القانون والحكم وافهامهم بجوهر الحكومة الإلهية المتمثل بخلافة الإنسان على الأرض والمشاركة الواعية المسؤولة لكل أفراد المجتمع في تعيين مصيره:

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٢٩].

وأول ركن من أركان الدولة هو القانون، ولهذا كان أول عمل لموسى بعد عبورهم البحر ووصولهم إلى سيناء أن جاءهم بالتوراة على شكل ألواح كتب فيها القانون الأساسي للشريعة الموسوية،

الخطوة الأُخرى على طريق تأسيس الدولة هو ما قام به موسى عليه السلام من اختيار سبعين رجلاً من فضلاء قومه، وشكّل منهم مايشبه البرلمان أو الشورى في المصطلح الإسلامي:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥].

وهذا الاختيار وإن كان محدوداً بحدود الميقات، إلاّ أن نفس هذه العملية كانت بداية واعية لما يهدف إليه موسى عليه السلام من نشر الوعي الحضاري والثقافة السياسية المتطورة في بني اسرائيل والتخلّص من الفردية المطلقة في الحكم

والخطوة السياسية الثالثة على صعيد بناء الدولة والحضارة واستمراريتها من بعده هو أنّه انتخب منهم نقباء ليتولوا الأمر بعده وعددهم إثنا عشر: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [سورة المائدة: ١٢].

ويقول السيد الطباطبائي قدس سره في تفسير هذه الآية «والظاهر أنّهم رؤساء الأسباط الإثني عشر كانوا كالولاة عليهم يتولون أمورهم فنسبتهم إلى أسباطهم بوجه كنسبة أولي الأمر إلى الأفراد في هذه الأُمة لهم المرجعية في أمور الدين والدنيا غير أنّهم لا يتلقون وحياً ولا يشرعون شريعة»[١٢].

(١٢) الميزان، م. س، ج ٦، ص ٢٤٠ من تفسير سورة المائدة.

٩- تفضيل بني إسرائيل

ولكن مع تعمق قليل نلاحظ الدقة في التخطيط السياسي في منهجية موسى عليه السلام وطريقة تحركه لتشكيل جمهوريته الفاضلة، فمن جهة وجد موسى عليه السلام طيلة معاشرته مع الطبقة الاستقراطية الحاكمة أنّ قلوبهم قد اماتها السلطان والظلم والترف ولا يستجيبون لنداء الفطرة ولايخضعون للشريعة إلاّ ما شذ وندر، وبما أنّ الإصلاح الاجتماعي يتقوم بتشكيل الدولة الصالحة، والدولة تتقوم بدورها بالشعب الذي يحمل رؤية وأيديولوجية متحركة وفعّالة وعاطفة جياشة وجذور حضارية ممتدة في عمق التاريخ واعراق الأجيال، وليس لها إلاّ هذا الشعب المظلوم والمضطهد وهم بنو اسرائيل، ولذلك صرّح القرآن الكريم بتفضيلهم على سائر الأُمم والشعوب في تلك الأزمان:

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٧].

ولعل هذا التفضيل كان لعدّة أسباب: منها: أنّهم من نسل الأنبياء وعلى رأسهم إبراهيم ثم اسحاق وبعده يعقوب وأخيراً ابنه يوسف عليه السلام الذي جاء بهم من صحراء سيناء الأردن إلى مصر بعد أن صار أمين الملك ومسؤول الخزانة.

ومعلوم ما في العوامل الوراثية من تأثير كبير على سلوك الفرد ورسم إتجاهاته المستقبلية.

ومنها: أنّ الثقافة الدينية لبني اسرائيل كانت سليمة في جذورها من مسألة التوحيد والأخلاق الاجتماعية والعواطف الانسانية وكراهية الظلم وغير ذلك من الأُسس الحضارية الضرورية لاشادة حضارة دينية فوقها.

ومنها: الظلم والاضطهاد الذي أحاط بهم من قبل البلاط الملكي والجيش الفرعوني حيث كانوا يعاملون كالرقيق ويجبرون على العمل ليل نهار لتأمين نفقات البلاط واشكال الترف الفرعوني، وهذا الأمر من أهم الأمور في التطلع إلى العدل والتفكير بالخلاص من الظلم وتحسيسهم بضرورة الوقوف أمام الطاغوت وانتظار المصلح والمنقذ ليوحّد كلمتهم ويرفع رايتهم، والظاهر أنّ هذه السمة الأخيرة

أهم من سابقتيها حيث ذكرها القران الكريم في سورة الاسراء بما يُشعر بعلية التفضيل والانتخاب:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[سورة القصص: ٥ -٦].

وقيل المراد به تفضيلهم في أشياء مخصوصة، وهي: «إنزال المن والسلوى، وما أرسل الله فيهم من الرسل، وأنزل عليهم من الكتب، إلى غير ذلك من النعم العظيمة، من تغريق فرعون، والآيات الكثيرة التي يخف معها الاستدلال، ويسهل بها الميثاق، وتفضيل الله إياهم في أشياء مخصوصة لا يوجب أن يكونوا أفضل الناس على الإطلاق، كما يقال: حاتم أفضل الناس في السخاء»[١٣].

(١٣) الطبرسي، الفضل بن الحسن، (شيخ): مجمع البيان في تفسير القرآن، ط١، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ١٤١٥هـ \١٩٩٥م، ج١ ص١٩٨ -١٩٩.

نافذة

المصباح

العرض والنّقد والتّعريف


وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

إتجاهات التمازج الحركي بين القرآن الكريم والإعلام

الباحث
ناجي الفتلاوي
ماجستير تراث فكري –مدير اذاعة الفرقان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ابي القاسم محمد وعلى اله الطاهرين واصحابه المنتجبين.

قبل ان اتطرق الى اعماق موضوع البحث (اتجاهات التمازج الحركي بين القران الكريم والاعلام) اود ان اشير الى مقدمتين:

المقدمة الاولى: سيكون من خلالها رصدا لحجم الماكنة الاعلامية في العالم وحسب التفصيل التالي وكما ورد في دراسة احصائية نشرتها cnn ونشرت على الانترنت:

- ١٣٠٠٠ الف فضائية في العالم، منها ٧٥٠٠ قناة مشفرة و ٥٥٠٠ قناة مجانية.
- في العالم العربي هناك ٦٩٦ فضائية تبث على ١٧ قمر صناعي، يشاهدها اكثر من ١٥٠ مليون مشاهد للقنوات المفتوحة بينما ٤٢ مليون مشاهد للقنوات المشفرة.
- من ضمن القنوات الموجهة للعالم العربي والاسلامي (١١٢ فضائية جنسية) باللهجات العربية.

- اذا تخرج الشباب العربي من الثانوية يكون قد امضى امام الشاشة ما يعادل ٢٢ الف ساعة في المقابل يكون قد امضى في مقاعد الدراسة ما يقارب ١٤ الف ساعة، اما في الجامعة فيكون امضى امام الشاشة اكثر من الف ساعة بينما في الدراسة ٦٠٠ ساعة.

الان اصبح لدينا معلومات بسيطة عن ضخامة الماكنة الاعلامية في العالم، ومما لاشك فيه ان من يمتلك هكذا منظومة ضخمة سيكون لديه القدرة الهائلة في السيطرة على العالم والعمل على تسييره وفقا للسياسات التي ترضي من يمتلك ويسيطر على هذه المنظومة الخطرة وكما يقول بيل كيتس مدير شركة مايكروسوفت الكبرى للحاسب الالي (من يمتلك الصورة يمتلك العقول) فضلا عن ذلك ان من يطلع على الوكالات العالمية الخمس الكبرى للانباء في العالم يجد ان اربع منها هي بيد اليهود وكافة الفضائيات والصحف والمجلات تستند في اخبارها على هذه الوكالات، من هنا نعرف انقياد العالم للجهات المحركة للاعلام فضلا عن سبقها للاخرين بخطوات عديدة فهي تغير سياساتها وفقا للنتائج المترتبة لديها، بدليل ان السياسة الامريكية وبقناعاتها المطلعة على دور الاعلام قامت بتغيير سياستها من خطة تحسين صورة الولايات المتحدة الامريكية في العالم الى خطة تشويه الاسلام والمسلمين وقصور دستورهم عن مواكبة الحياة والتطور واصفين المسلمين بانهم الارض الخصبة لنشوء العنف والارهاب، ونجحوا الى حد بعيد في تحقيق هذا الهدف ولولا غياب ثقافة الاعلام الاسلامي الهادف الناضج لما تم الوصول الى هذه النتائج وكما يقول احد علماء المسلمين (لا تسأل كيف حضر ابليس بل اسأل كيف غاب القديس).

المقدمة الثانية: ابتداءا لابد ان نعرف هل ان الهوية الاعلامية الاسلامية الموجودة لدينا هي في طور تقدير الذات ام في طور تحقيق الذات، ومن باب الايضاح والوصول الى الاجابة نقول:

ان تقدير الذات هو انتظارك لتقدير الناس من حولك لاعمالك ولشخصك فهذا يعزز وجودك ويدعم نفسيتك لتصبح من داخلك ومن ذاتك مقدرا لنفسك وخصائصك ومكوناتك ومعجبا بها وهذا ما يعتبر نقطة الارتقاء الاولى وبالامكان ان نسميها نقطة

الشروع صوب المرحلة الاعلى الا وهي مرحلة تحقيق الذات مرحلة الوصول الى درجة الرضا الكامل والتاكد من ان ذاتك حققت ما تحتاجه او ما خلقت او جبلت عليه فاصبحت راضية دون دعم او تعزيز من الاخرين وبلحاظ ما تقدم نثير بعض التساولات:

- الاعلام الاسلامي اين هو في منظومة الاعلام العام؟.
- الثقافة القرانية في منظومة الاعلام الاسلامي اين يكمن محلها وما هي النسبة وهل هي مشجعة؟.
- اعلام الثقافة القرانية في منظومة الاعلام الاسلامي، في اي مرحلة هو، في مرحلة تقدير الذات ام في مرحلة تحقيق الذات؟.
- مقدار الدراسات الوصفية النقدية لواقع الثقافة القرانية في حركة الاعلام الاسلامي والتي يترتب عليها وضع خطط المعالجة والارتقاء؟.

بعد هذا اعتقد بانكم تعرفون ان واقع الثقافة القرانية ضمن منظومة الاعلام الاسلامي هو ما زال يحبو في مرحلة تقدير الذات وليس في مرحلة تحقيق الذات، اضرب مثلا واحدا واختم هذه المقدمة:

الملاحظ بدقة يجد ان الثقافة القرانية تعيش انعزالا في الاعلام الاسلامي سواء كانت فضائيات او صحف او مجلات وعبر برنامج ديني اسبوعي او يومي لشيخ يجلس امام الكاميرا يتحدث في ساعة من الزمن او في مقالة من حين لاخر او بحث ينشر في مجلة رصينة لا تصل اعدادها الى معظم الناس لاسباب منها ضعف الاخراج وهزال المضمون المرتبط بقدم الاسلوب مقارنة بالمجلات الاخرى، ولا اريد ان اطيل هنا، اختم هذه المقدمة بذكر استبيان سريع قمت به شخصيا لبعض فضائياتنا الاسلامية او ذات الطابع الاسلامي حول عدد الساعات الخاصة بالمنظومة القرانية على نحو خاص او المنظومة الاسلامية على نحو عام.

القناة	عدد البرامج
العراقيةً	برنامج واحد + برامج المناسبات

الفرات	١٢ برنامج + برامج المناسبات
افاق	٣ برامج + برامج المناسبات
المسار الاولى	٦ برامج + برامج المناسبات
بلادي	٧ برامج +برامج المناسبات
السلام	٣ برامج + برامج المناسبات
الغدير	٤ برامج +برامج المناسبات

المدخل:

لم يعد خافيا على احد المدى والكيف الذي تحدثه وسائل الاعلام في ثقافات الشعوب واتجاهاتها، ولو وقفنا ونحن على اعتاب العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين وقمنا باجراء جولة استقرائية سريعة او دراسة مقتضبة في كيفية قضاء اوقاتنا اليومية لوجدنا انفسنا في حالة انصهار تام واقبال ملفت للنظر صوب وسائل الاعلام والاتصال المختلفة متابعين لطبيعة الخطاب الاعلامي وما يثيره من امور قد تكون معطيات ايجابية او قد تكون مؤشرات سلبية نعيش في كنفها نتعلم منها بطرق مباشرة وغير مباشرة وقبل ان نشرع بأيضاح طبيعة الدور الاعلامي في تفعيل الثقافة القرانية لابد لنا من مدخلية نحاول من خلال تبيان طبيعة العلاقة بين القران والثقافة المعاصرة.

مما لاشك فيه ان الثقافة تشكل اسا عاليا ضمن المنظومة الانسانية، فهي عمل انساني ينشر اشرعته على كل الامكنة ولا يمكن فصله او توقيفه عند زمان بعينه قدر توقفه عند امم ومجتمعات وحضارات انتجت فعلا ثقافيا يصبغ الامة او المجتمع الذي منه انبثق، والمعادلة الطبيعية تشير الى ان الفعل الثقافي يؤسس ويؤصل الى بيئة ثقافية معاصرة قادمة، فالامة التي انبثق فيها القرآن وانتشر فارضا قداسته وواقعيته وهيبته كدستور متكامل

تجدها ومن المفروض منتجة للفعل القرآني في كل العصور، والحال فأن السطور المقبلة نستطيع ان نعدها سطورا لتحديد ملامح الثقافة القرآنية وشيوعها وهل تتوازى مع قوة الانبثاق والانطلاق الاولى فضلا عن الوقوف عند المعايير الاعلامية للتعاطي مع الفعل الثقافي القرآني من خلال ايجاد اتجاهات لتمازج حركي بين القرآن الكريم والاعلام.

ومن باب المقاربة الموضوعية ارى انه بالامكان استخدام مفردتي الاعلام والاعلامي قبالة مفردتي التبليغ والمبلغ، وعلى الرغم من ان القرآن الكريم يعطي لمفردة التبليغ معنى اعم واشمل، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾[سورة الاحزاب: ٣٩]، ولكن في واقعنا المعاش المعاصر نرى انحسارا واضحا وملحوظا لاستخدام مفردات التبليغ واتساعا واضحا وملحوظا لمفردة الاعلام وبنسبة تمازج ميلانها صوب الاعلام على حساب التبليغ، ولست هنا في باب ايجاد الفرق بين المفردتين بقدر محاولة وصولي لقياس درجة التمازج والوصول الى المشتركات الكثيرة وايضاحها ومحاولة الاستفادة من هذه المقاربة وتوظيفها توظيفا يدفع عجلة البحث والنتائج الى الامام.

لقد جاءت كلمة التبليغ ومشتقاتها في القرآن الكريم (٢٧ مرة)[1] ويعتبر تبليغ رسالات الله سبحانه وتعالى وترسيخها في قلوب الناس وعقولهم من اهم واجبات الانبياء ومن يضطلعون بمهمة مواصلة نهجهم وادارة هذه الرسالة على درجة بالغة من الاهمية بحيث اكد القرآن الكريم في خطابه للرسول بالقول: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾[سورة الشورى: ٤٨]. فكان رسول الله ﷺ يصف نفسه بالمبلغ قائلا: (انما انا مبلغ)[2].

اذن لا يوجد رسول او نبي او وصي او امام معصوم او عالم شرب المعتقد من هذه

(١) [آل عمران: ٢٠، النساء: ٦٣، المائدة: ٦٧و٩٢و٩٩، الانعام: ١٤٩، الاعراف: ٦٢و٦٨و٧٩و٩٣، التوبة: ٦، هود: ٥٧، الرعد: ٤٠، ابراهيم: ٥٢، النحل: ٣٥و٨٢، الانبياء: ١٠٦، النور: ٥٤، العنكبوت: ١٨، الاحزاب: ٣٩، يس: ١٧، الشورى: ٤٨، الاحقاف: ٢٣و٣٥، القمر: ٥، التغابن: ١٢، القلم: ٣٩، الجن: ٢٣و٢٨].

(٢) مسند ابن حنبل: ٦/ ٣٣/ ١٦٩٣٤.

الصفوة المختارة الا وله دور اعلامي يتلائم مع طبيعة المرحلة التي يعيشها او ما يستوجبه الدور المناط به، ففي العصر الذي يكون فيه القول الفصل للسحر في مجال الاعلام تصبح اهم وسيلة اعلامية بيد النبي موسى عليه السلام هي تحويل العصا الى حية تسعى او اظهار اليد البيضاء، وفي العهد الذي كان فيه الناس بحاجة الى علاج لألآمهم كان اهم سلاح اعلامي بيد النبي عيسى عليه السلام هم معالجة المصابين بأمراض مزمنة واحياء الموتى وفي العصر الذي يكون فيه للكلام اكبر تأثير ثقافي، ويأتي القرآن بما يمثله من معجزة ثقافية كأكبر سلاح اعلامي بيد رسول الله رسول الاسلام صلى الله عليه وآله[٣].

فقد ورد في كتاب المفردات للراغب حول لفظ التبليغ انه مشتق من كلمة البلوغ والبلاغ بمعنى الايصال التام الكامل للرسالة او الخبر او الفكرة او الكلام الى الطرف الاخر، والمبلغ هو من يسعى بكل جهده لايصال مادة التبليغ الى مقصدها النهائي الذي هو فكر المخاطب وقلبه.

اما الخطاب الاعلامي من جهة الاصطلاح وكما حدد مفهومه المحلل الاعلامي (ميشيل فوكو) على انه نظام تعبير متقن ومضبوط[٤] يتألف من مجموعة من العبارات الحوارية على شكل جمل مفيدة توصل المعنى المطلوب بطريقة مباشرة.

اما مفهوما فيتناول الخطاب الاعلامي مفردات وتعبيرات الواقع المعاش وتمثله المفاهيم والاشارات والحركات والايحاءات التي غايتها الاقناع والاستجابة السلوكية والفكرية لما يطرحه من الاعراف والموضوعات[٥].

بعد هذا، يتضح لنا ان طرح موضوعة التقارب الكبير بين مفردتي التبليغ والاعلام بسبب اشتراك غاية الاتصال التام الكامل للرسالة او الخبر او الفكرة او الكلام الى الطرف الاخر وان اختلفت الوسيلة والادوات لكن الاتفاق حاصل وضمن نسق اجواء النتيجة،

(٣) الريشهري، محمد، التبليغ في القران والسنة، ص١١٤.
(٤) فوكو، ميشيل، مرفيات المعرفة، ترجمة: سالم يوت، الدار البيضاء، المركز الثقافي، ط٢، ١٩٨٧، ص٣٤.
(٥) سميسم، حميدة، الخطاب الاعلامي بين النظرية والتطبيق، بغداد، كلية الاعلام، ٢٠٠١، ص٧.

فقدرة وطريقة واسلوب الخطاب الاعلامي للداعية الايماني (المبلغ) بقدرة الله في فرض سيطرته على الاقناع والكسب بالايمان بالله، هي ذات القدرة والطريقة والاسلوب للاعلامي المعاصر الذي يعمل على ايجاد فرص الاقناع والكسب.

الثقافة القرانية والموقف الاعلامي منها:

تأسيسا على كل ما وصلنا اليه يمكن التأكيد على ان الثقافة القرانية وابعادها القيمية تبدو ظاهرة للعيان واضحة لكل ذي بصر وبصيرة في مخزون الامة ونموذجها القيمي وعمقها التأريخي والحضاري، فالقرانيات (تفسير وعلوم ولغة وبلاغة ... الخ) تشير الى ما يحتاجه الانسان المسلم وفي كل الادوار والمراحل في حواره مع طموحاته وحواره مع اولئك الذين يقفون موقف الضد من تفاعلية الثقافة والحركة القرانية والذين يبذلون قصارى جهدهم وبأساليب متنوعة الى اقصائه بعيدا عن نموذجه القيمي والمعاصراتي المتجدد وموروثه الانساني فقد فاتهم ان القرآن الكريم هو كتاب المعاصرة.

اذن روح المعاصرة هي صفة القرآن الكريم وخصيصة من ابرز خصائصه على ما تنطق به النصوص الكريمة، وادلها ما يصف كتاب الله بأنه:

(لا يخلق على الازمنة، ولا يغث على الالسنة) وايضا: ان رجلا سأل ابا عبد الله عليه السلام: ما بال القران لا يزداد عند النشر والدرس الا غضاضة ؟ فقال: ان الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غض الى يوم القيامة[٦].

وضمن محيط القران ومفهوم الثقافة المعاصرة نطرح الاسئلة التالية:

- هل ثمة حضور للقرآن الكريم وما يتعلق به (علوم، تفسير احكام، بلاغة...) في مفهوم الثقافة المعاصرة؟.
- واذا لم يكن هناك حضور فاعل فمن يتحمل نتيجة هذا الغياب، هل هي المؤسسة

(٦) كسار، . جواد علي، فهم القران، مؤسسة العروج، ط١، ١٤٢٤ هـ، ص ٤٦٨.

القائمة على المنتج الثقافي عموما ام المؤسسات القرآنية بأختلاف توجهاتها وجنسها وانتمآءاتها ام المؤسسة الاعلامية التي هي بين فكي كماشة البعد عن القرآن والقرآنيين وفك الجهل بأدوات التعاطي الاعلامي مع القرآن وثقافة القرآن.

وبما ان القران الكريم قدم الانبياء على انهم يعملون بأسلوب الصدم فقد طرحوا على مجتمعاتهم وبصراحة ووضوح ما يعد هدما مباشرا لاكبر شعور في هوية تلك المجتمعات والحال هنا اننا بحاجة ونتيجة لهجر القرآن الى هز ركائز البنيان الاجتماعي الذي تقوم عليه مصالح الجماعة بحزمة من وسائل التذكير والتعريف الجديد بالعلوم القرآنية وعرضها بشكل حداثوي يتلائم ويتماشى مع تقنيات الصورة وطبيعة الديكورات الجاذبة وتقنيات ومؤثرات الصوت الملهمة.

الاعلام والثقافة القرآنية واتجاهات التصنيف المعرفي:

في ضوء ما تقدم ارى بأن نطل وعلى نحو سريع صوب منظومة التعامل وطبيعة النظر الى النتاجات والحضارات الاخرى في واقعنا المعاش من اجل ان نبين وضمن خطوط بحثنا الموجز هذا الاتجاهات التي نرسمها في تحديد ملامح السياسة الاعلامية الخاصة بالثقافة القرآنية والتي كما يبدو لي انها يجب ان تتفاوت وفقا لطبيعة التقنيات والتصنيفات المعرفية المحلية والتي تحمل الاتجاهات الثلاثة التالية:

- **الاتجاه الاول:** (الانكفاء على الهوية العربية الاسلامية): ويكمن هذا الاتجاه المنحسر بشكل معتد به في النظر الى الحضارة الغربية على انها مستهجنة ولا تلوي على شئ وان التعامل معها فيه اضرار بالغة بالحضارة والهوية والخصوصية العربية الاسلامية متناسين ان الحضارة العربية الاسلامية انفتحت على الحضارات الاخرى فأثرت وتأثرت وانتجت للعالم فعلا حضاريا متميزا مستندا الى القران.

والسياسة الاعلامية الملائمة لمعالجة هذا الاتجاه هي تبيان النصوص القرآنية التي تفتح الحوار مع الاخر القائم على اساس التعاطي الانساني المحض، واقترح هنا عناوين تعمل على تبيان اوجه التقارب من خلال الاستناد الى القران الكريم فضلا عن اجراء التحديث

في مضامين الاعلام والسياسة الاعلامية وفقا للرؤية القرانية المتجددة والقابلة للتحديث دون المساس بالخطوط الرئيسة للاعتقاد، واذا ما تم اتباع هذا الاسلوب فان الثقافة القرآنية ستعرف لدى الناس بأنها ثقافة الحوار وبالتالي سيكون لدينا عامل اساس في شيوع هذه الثقافة.

- **الاتجاه الثاني:** (جلد الذات العربية الاسلامية): ويتمثل هذا الاتجاه في نظرته للحضارة العربية الاسلامية على انها حضارة تعاني من تخلف يجعلها غير قادرة على المضي قدما في التعامل مع معطيات العصر وتغييراته المتسارعة والمتنامية ومن ثم فهي غير مؤهلة ان تكون ذات شأن في حوار الحضارات وعلى العرب ان يكونوا موضوعيين ويقبلوا الالتحاق بحضارة الدول المتقدمة ويقبلوا ان يكونوا ضمن مسارها وان يتناسوا خصوصيتهم التي لم يعد لها ما يسوغها في ظل ما يحلو لاصحاب هذا الاتجاه تسميته بالنظام العالمي الجديد او العولمة او سيادة هيمنة ثقافة الاقوى[٧].

وهوية هذا الاتجاه واضحة وهي على النقيض من هوية الاتجاه الاول حيث يدعو الى التخلي عن الخصوصية والهوية العربية الاسلامية والذوبان ضمن الحضارة المادية وبالتالي فالسياسة الاعلامية للتعامل مع هذا الاتجاه تتخذ برايي المعايير التالية:

١. المعيار الاول: تبيان اهمية وثقل حضارة الامة العربية ودون غلو من خلال الاحالة الى بعض الايات القرآنية التي تشيد بالامة، ومنها، قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ مع تبيان هذه الايات المباركات وايضاح مديات التحرك والفهم من خلالها.

٢. المعيار الثاني: اعتماد سياسة اعلامية برامجية قائمة على اساس استنهاض ما ورد في المعيار الاول وترجمته الى نصوص برامجية متلفزة او مسموعة او مقروءة مواكبة للتطور الحاصل في هذا المجال ومنبثقة من آيات الله البينات وبالتالي اعطاء صورة اعلامية ترويجية لقوة الامة العربية المسلمة من خلال القران الكريم وبالتالي شيوع الثقافة القرآنية اعلاميا ومن خلال هذا المعيار.

٣. المعيار الثالث: بما ان اغلب رواد هذا الاتجاه هم من الشباب لذا يجب توجيه التاثير

(٧) احمد، د. عبد الله، الشباب العربي والمعاصرة من منظور فكري وتربوي، بغداد، ٢٠٠١، ص ٢٦٦.

الاعلامي القرآني لهم وايضاح خطأ توجههم عن طريق الاساليب الاعلامية المتوافقة مع تفكيرهم المفتوح وعن طريق توظيف الفلم والمسرح والسينما والصحف والمجلات واخيرا الانترنت ومواقع التواصل (الفيسبوك واليوتيوب).

- **الاتجاه الثالث:** (التوازن والانفتاح على الحضارات الاخرى): ويمثل هذا الاتجاه الرؤية المتوازنة القائمة على اساس احترام الذات والهوية الاسلامية بما فيها من فعل ثقافي منتج مع السعي الى حمايتها بجهد منظم والحفاظ عليها وتعزيز معانيها وترسيخها في العقول فكرا وممارسة فضلا عن ذلك النظر الى عطاءات البشر بنظرة تقدير والتعامل معها بمقتضيات المنفعة والمصالح المشتركة وقد تنفس القرآن برئة التوازن هذه من خلال احترامه للاديان واحترامه لعموم منظومة النتاج المعرفي لدى الحضارات الاخرى، واستطيع القول ان التعاطي الاعلامي بقي يمشي الهوينا في عرض هذه الرؤية القرآنية المتوازنة وبالتالي ارباب هذا الاتجاه قد يعزفون عن القرآن وثقافته نتيجة لعدم عرض قدرة التوازن المبثوثة في طيات آياته وبالتالي يتضح الخلل في ايجاد تمازج حركي بين القران الكريم والاعلام، لذا وجب اتباع السياسة الاعلامية التالية من اجل تفعيل هذا التمازج الحركي بينهما وبما يتلائم مع تطلعات هذا الاتجاه:

- التأكيد على منظومة حوار الاديان وهي من متبنيات المنظومة الاسلامية المستندة على القران بحزمة من الاساليب الاعلامية المتنوعة.
- عمل زيارات مكوكية بين المؤسسات القرآنية والمؤسسات الاعلامية مركزين ومفعلين خطاب الوسطية المؤدي الى خلق اتجاه التوازن من خلال ندوات ومهرجانات ومؤتمرات وبالتالي نصيب شيوع الثقافة القرآنية اعلاميا سيكون اوفر حظا.

خاتمة:

ارى بعد هذا البحث الموجز اننا اذا اردنا ان نخلق حالة من التمازج الحركي بين القرآن الكريم والاعلام فضلا عما تقدم ان نركز على النقاط الرئيسة التالية:

- وضع سياسة اعلامية ملزمة لكل المؤسسات القرآنية العاملة في تكوين وعي قرآني مؤصل لدى كافة الفئات المجتمعية.
- اعداد وتطوير المواد الاعلامية والتثقيفية استنادا الى خصائص القرآن وعلومه وابعاده واسراره الاعجازية كونه كتاب المعاصرة الذي لايفنى على مر الدهور.
- تنظيم الحملات الاعلامية والارشادية عن اهمية وجود القرآن الكريم كدستور اول في هذه الحياة واساسي في تفسيرها فضلا عن كشف دوره في التنمية والنهوض بالمجتمع.
- تدريب القيادات القرآنية وزجها بدورات اعلامية وبالتالي ايجاد درجة يعتد بها من درجات التمازج الحركي بين القرآن الكريم والاعلام.
- قيام القيادات القرآنية المتسلحة بالأدوات الاعلامية بتوعية الشباب خاصة باعتبارهم الدعامة الكبرى للمستقبل بواجبهم ومسؤولياتهم في الحفاظ على القرآن الكريم وادخاله في ادق التفاصيل الحياتية وفقا للاساليب الاعلامية المتطورة والموافقة لعقول الشباب وتحركاتهم.
- جعل المفاهيم القرآنية جزءا من النسيج الاجتماعي من خلال خلق وعي اعلامي يجيد عملية هذا الجعل.
- ايجاد مادة برامجية متميزة مستوحاة من المنظومة القرانية تنافس برامج البعد الترفيهي الذي يشكل مورد اهتمام شريحة واسعة من المشاهدين.
- ان يكون اعلامنا الاسلامي احد الخيارات الضخمة لدى المشاهد اسوة بالفضائيات الكبرى من خلال الترويج الصحيح للهوية الاسلامية.
- استقطاب الجمهور من خلال برامج جماهيرية ضخمة ذات كلفة عالية اسوة بالقنوات العربية الكبرى.
- الخروج من نسق البرامج المملة واعتماد اساليب الجذب وهذه الاساليب ليست بعيدة عن القران الكريم ففيه الاسلوب القصصي القائم على اساس الشد والجذب.
- تفعيل الجانب المعرفي والبصري وبالتالي العمل على تفعيل وتوسيع سقف الحركة.

- مواكبة التطور التقني المتسارع بالنسبة للفضائيات الاسلامية اسوة بالفضائيات العربية المشهورة.
- اعتماد اسلوب انتاج الدراما الاسلامية الموجهة توجيها صحيحا وهذا الجنس من الانتاج له شعبية كبيرة لدى المشاهدين وبالتالي تكون منافسا للقنوات المنوعة التي دأبت على عرض المسلسلات.
- عدم الاعتماد الكلي على الانتاج الذاتي للبرامج والمسلسلات بل العمل على اجراء بروتوكولات تعاون مع بعض الجهات واجراء التبادل والشراء.
- العمل على تفعيل التنسيق بين القنوات الاسلامية.
- العمل على اجراء تكتل للقنوات الاسلامية اسوة بالباقات المعروفة (روتانا، الجزيرة، دبي، mbc).
- العمل على ايجاد بدائل مناسبة تستهوي الجمهور المشاهد والمستمع بلحاظ عدم امكانية الفضائيات الاسلامية الدخول للتنافس مع باقي القنوات المنوعة في مجال الاغراء والغواية.
- المراة والموسيقى اهم عقبة وتحدي امام القنوات الاسلامية لذا لابد من الاعتماد على المنهج الاسلامي في هذا الصدد وتبيان ان المراة لها وجود تشاركي ولا مانع من ظهورها ودخولها الى عالم الاعلام وتقديم البرامج وفي حلة تتلائم مع ما يرضي الشارع المقدس.



كنوز وذخائر
مكتبة مؤسسة كاشف الغطاء العامة
من تراث علوم القرآن

توثيق
مصطفى ناجح الصراف
مدير قسم الذخائر والمخطوطات في المؤسسة

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون لعباده بشيراً ونذيراً وداعياً لهم وسراجاً منيرا، وأودع غوامض معانيه أهل البيت الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، فالحمد والشكر له كفاء آلائه وعداد نعمائه وزنة أرضه وسمائه، وصلاته وسلامه على نبيه المرسل، الذي ألهمه وعترته كتابه المنزل، حتى جعل الكتاب والعترة اخويْنِ مؤتلفين، كل منهما للدلالة على صاحبه ترجمان، وإنهما لن يفترقا حتى يُحشر الخلق إلى ربهم من إنس وجان، ثم التحيات الزاكيات والصلوات الناميات على آله الذين جَرَوا على منواله، المشيّدين لمعالم التنزيل والتأويل، والنازل بعرصات ديارهم جبرئيل، وهي البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ويظهر بأفنيتها حكمه وعلمه، فعليهم صلوات الله الملك العلام، من الآن وقبل الآن إلى يوم القيام[1].

وبعد:

فقد دأبت مؤسسة كاشف الغطاء العامة في النجف الأشرف على حفظ ونشر التراث

(١) من مقدمة لكتاب الخيرات الحسان في تفسير القرآن للشيخ محمد رضا الغراوي، مخطوط.

بالوسائل والإمكانيات المتاحة لديها، لما يتضمنه من علوم زاخرة وكتب قيّمة، ليبزغ نورها للعيان مزيلة عنها غبار الزمن والنسيان، وقد تم ذلك بجهود جهيدة تظافرت ليصل العمل على ما هو عليه الآن من ترقب لصدور دليل مخطوطات يصل العدد فيه إلى (٨٠٠٠) مخطوطة، وإن ما يُخطط له في المستقبل القريب لهو أعظم إن شاء الله تعالى.

وقد ضمّت هذه الكنوز مواضيع مختلفة وصلت إلى أربعين موضوعاً، ولأن مجمل العلوم تُستوحى من القرآن الكري فقم كان من أهمها مواضيع التفسير وعلوم القرآن الكريم، فضلاً عن نسخ القرآن الكريم. لذا فإنا نقف موقف الاعتزاز بنشر فهارس موجزة لـ(٢٤) نسخة من القرآن الكريم، و(٢٤٦) نسخة لمواضيع التفسير وعلوم القرآن، في مجلة المصباح الفكرية التي تُعنى بالدراسات القرآنية، وهي دعوة من خلالها لكل الباحثين والمحققين لينهلوا من هذا المعين الذي لا ينضب.

وفق الله الجميع لما فيه خدمة كتابه العزيز، إنه نعم الجيب.



ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٧٧٦٩		عربي		١٢٣		١١٦			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٤٩٨٣		عربي		١١	١٨	٦١٨	١٥		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٤٩٨٢		عربي		١٠,٥	١٨	٧٦٦	١٥		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٤٩١١		عربي		١١,٥	١٧,٥	٧٦٥	١٣		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٤٩٠٧		عربي		١٢,٥	٢٠	٨١٧	١٩		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٩٠٨		عربي		١١	١٧	٧٢٦	١٢	٥,٥	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	غير ذلك

	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٨٨٩		عربي		١٩		٢٨,٤	٣٨٧	١٥	١٤	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٨٧٥		عربي		٩		١٤,٨	٣٧٨	١٩	٥,٤	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٧٨٧		عربي		١٨		٢٩,٤	٥٥٤	١٥	١٢	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٣٤٣		عربي		١١		١٧,٧	٣٧٧	١٨	٧,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٢١٤		عربي		٢٢		٣٤,٥	٧٦٣	١١	١٢	جيد	ردئ	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢١٨٣		عربي		١٣,٥		٢١,٥	٨٧	١٢	٧	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	غير ذلك
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٠٣٨		عربي		٢١		٣٢	٣٧١	١٧	١٤	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٠١٨		عربي		١٨	٢٧	٤٥٠	١٤	١٤	جيد	ردئ	أصفر	ناقصة	الأول والأخير
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	١٣٠٦		عربي		٢٠	٢٩	٣٦٧	٦	١٣,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	١٩١٣		عربي		١٤	١٩	٥٠٩	١٦	٦,٥	جيد	ردئ	أصفر	ناقصة	من الأخير
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢١٨٠		عربي	١١٠٤	١٥,٥	٢٣,٥	٥١٠	١٥	٩	ردئ	ردئ	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٤٢٥٧		عربي	١١١٨	١٦	٢٣	٨٤٣	١١		جيد	ردئ	أبيض	ناقصة	من الأخير
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٦٨٨٧	خليل افندي بن ولى	عربي	١٢٤٢	١٢	١٧	٦٣٤	١٣		جيد	جيد	أبيض	ناقصة	من الأخير

	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٧٥٠٣	حسين قلي بن كلب حسين	عربي	١٢٤٣	١٦	٢١	٧٦٦	١٢		جيد	جيد	أبيض	ناقصة	من الأول
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٩٣٦	احمد بن محمد التبريزي	عربي	١٢٦٢	٩	١٣,٩	٣٩٥	١٩	٥,٩	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	غير ذلك
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٢٧٧٥		عربي	١٢٨٥	١٧	٣٢	٥٨٣	١٤	١٢	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٦٤٢٨	حامد بن عبد الحكيم	عربي	١٣١٤	١٥,٥	٢٢	٦١٠	١٥		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	القران الكريم	كتاب الله المجيد	٦٤٧٦	عبد الله بن محمد بن شامار	عربي	١٣١٧	١٧	٢١,٥	٦٢٠	١٥		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	مكان النسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	ارجوزة في التجويد	جعفر بن كمال الدين محمد البحراني	٧٨٨٢			عربي				٣٢			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	ارشاد القارئ	مصطفى بن ابراهيم القارئ	١٤٨٢	المؤلف		فارسي		١٢	١٩	٣٠٥	١٧	٧,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	اشارة وبشارة	محمد سعيد الشريف القمي	٥٣٢			عربي		١٤	٢٠	٥	٢٤	٨	جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الاتقان في علوم القران	عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي	٣٦٣٦			عربي				٧٧٨			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	البيان بدليل القران	عبد البر	٤٦٢٨			عربي	٦٩٦	١٣,٥	١٨,٥	١٦٦	١٧		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	التبيان في اداب حمل القران	يحيى بن شرف النووي	٤٥٥٤			عربي		١٤,٥	١٨	١٩٩	١٤		جيد	جيد	أبيض	ناقصة	من الأخير
	التنزيل	ابو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب	٥٧٠٨			عربي		٢١	١٢,٥	٢٣	١٤	١٣,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	التيسير في علم القراءة	ابو عمرو عثمان بن سعيد المقري	٤٦٥٩			عربي	١١٣٥	١٥	٢١	١١١	٢٣		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين	عبد الله بن محمد رضا شبر الحسيني	٣١٠٦	حسين بن علي القفطاني السعدي	النجف الاشرف	عربي	١٣٢٤	٢٠	٣٠	٥٧١	٣٠	١١,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	الحواشي المفهمة في شرح المقدمة	احمد بن محمد الجزري	٤٦٨٠	محمد بن سعيد بن السيد مال الله التكريتي		عربي	١٣٢١	١٣	٢٠	١٧٧	١٦		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الخيرات الحسان في تفسير القران	محمد رضا بن قاسم الغراوي	٢١٧٤	المؤلف		عربي	١٣٣٢	١٤	٢٠	٢٦٤	١٧	١٠	ردئ	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الدرر اللوامع في اصل مقرا نافع	ابو الحسن علي المعروف بابن بري	٦٧٨٧			عربي		١٣	١٩,٥	٢٠	١٧		ردئ	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الدقائق المحكمة في شرح المقدمة	زكريا بن محمد الانصاري	٢٥٦			عربي		١٤,٥	٢٠	٨٥	١١	٨	جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الدقائق المحكمة في شرح المقدمة	زكريا بن محمد الانصاري	٥٦٢			عربي		١٥	٢٠	٨٣	١١	٨	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	الدقائق المحكمة في شرح المقدمة	زكريا بن محمد الانصاري	٥٩٢١	يوسف بن جعفر بن علي الجامعي العاملي	النجف الاشرف	عربي	١١٤١	١٥,٥	٢١,٥	٣٠	٢٥	٠,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	مكان النسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	الدقائق المحكمة في شرح المقدمة	زكريا بن محمد الانصاري	٦٤٢٥			عربي	١٢٦٩	١٥,٥	٢١,٥	٢٦٦	١٩		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الدقائق المحكمة في شرح المقدمة	زكريا بن محمد الانصاري	٦٧١٨			عربي	١٢٧١	١٠,٥	١٥,٥	١٣٨	١١		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

	الشاطبية	ابو محمد القاسم ابن فيرة الشاطبي	٤٦٠٠	سيد محمد بن السيد يحيى الحنفي		عربي	٩٧٣	١٥	٢١	٢١٤	٩		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٥٠			عربي				٤٨١			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤٨			عربي				٥٥٢			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤٥			عربي				٤٦٤			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤٢			عربي				٧٧٢			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٢٢٣٩	محمد رفيع بن شير علي		عربي	١١٢٠	١٧	٢٤,٥	٣٨٢	٢١	١١,٥	ردئ	ردئ	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤٩	ابو الفتوح بن محمد تقي الاصفهاني		عربي	١١٧٤			٥٣٨			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٥١			عربي	١٢٢٦			٢٦٦			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤١	محمد حسين بن لطفعلي الشهير بيزدي		عربي	١٢٣٥			٤٠٦			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤٤	محمد هاشم بن محمد علي الحسيني		عربي	١٢٤٧			٤٣٢			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	مكان النسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤٣	محمد باقر بن سراج الاصطهباناتي		عربي	١٢٤٩			٥٠١			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٥٣٤٦	محمد باقر بن محمد علي الابرند آبادي		عربي	١٢٥١			٥٠٦			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الصافي في تفسير القران	محمد بن مرتضى الفيض الكاشاني	٢٠٢٥	محمد ابراهيم بن حسن		عربي	١٢٥٧	٢٠	٢٩,٥	٥٨٩	٢٣	١٤	ردئ	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الطرازات المعلمة في شرح المقدمة الجزرية	ابو محمد زين الدين عبد الدائم بن علي الحيدري الازهري الشافعي	٤٨٢٩	المؤلف		عربي	٨٥١	١٥,٥	٢١,٥	١٢٢	١٩		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

	العروة الوثقى	بهاء الدين محمد العاملي	١٥٧			عربي		١٥,٥	٢١,٥	٧٠	٢٠	١١	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	الفوائد المعتبرة في القران	محمد بن احمد بن عبد الله الضرير	٦٣٨٧			عربي		١٣	١٩	٥٢	١٣		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الفوز الكبير في اصول التفسير	ولي الله الدهلوي النقشبندي	٦١٠٧			فارسي		١٩	٣٠	١٠١	٢١	١١,٥	جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	القراءات السبع في القران	مجهول	٦٧٨	ذكي حافظ بن محمد البيهقي		عربي	٧٣٣	١٠	١٥	٢١٦	١٣	٨	ردئ	ردئ	أصفر	ناقصة	من الأول
	القواعد الرسمية	عمر بن عبد اللطيف	٤٦٧٦			فارسي		١٥	٢١	٣٠	١٥		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	٥٥٢٣			عربي				٤٤٤			جيد	ردئ	أصفر	كاملة	لا يوجد

	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	٤٨٦٥	محمد بن صلاح بن محمود الحراوي		عربي		١٣	٢٢	٦١٤	٢١		جيد	جيد	أبيض	ناقصة	من الأول والأخير
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	٤٥١٩			عربي		١٧	٢٤	٨٩٨	١٧		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	٣٣٨٧			عربي		١٧	٢٥,٨	٣٩١	٢١	١١,٥	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	١٩٥٢			عربي		٢١	٣٠	٥٨٣	٣٠	١٣	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	١٩١٠			عربي		١٧	٢٥	٥٨٨	٢٣	١١	ردئ	ردئ	أصفر	ناقصة	من الأخير

	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	١٨٧٩			عربي		١٨,٥	٢٦	٩٣٤	٢	١٣,٥	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	٢٤٤٣			عربي	٦٧٤	١٦,٥	٢٤,١	٤٥٧	٢٧	١٢,١	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	غير ذلك
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	٥٥٢٥	رضي الدين محمد بن زين الدين علي		عربي	١٠٣٩			٦٨٤			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الكشاف	محمود بن عمر الزمخشري	٥٥٢٤	محمد علي بن رضا قلي		عربي	١١١٩			٦٢٦			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	المبسوط في القراءات السبع	عز الدين محمد بن محمود	٧٠٥٩	يوسف بن علي		عربي	١٠٠٠	١٧	٢٢	٥٢	٢١		جيد	جيد	أبيض	ناقصة	من الأول

	المقدمة الجزرية	محمد بن محمد الجزري الشافعي	٥٧١٢			عربي		١١		١٥,٥	٤٤	٢٦	٨,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	المقدمة الجزرية	محمد بن محمد الجزري الشافعي	٤٢٢٩			عربي		١٣		١٩	١٨	٢٠		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	المواهب العلية	حسين بن علي البيهقي الكاشفي	٧٦٤٠			فارسي		١٦		٢١,٥	١٥٠	٢١		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الناسخ والمنسوخ	جمال الدين احمد بن عبد الله ابن المتوج البحراني	٧٨٨٨			عربي					٣٠			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	الناسخ والمنسوخ	جمال الدين احمد بن عبد الله ابن المتوج البحراني	٧٨٢٢			عربي					٢٥			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	الناسخ والمنسوخ	ابو عبد الله بن علي العامري الاسفراني	٤٦٣١	حسين بن سعدي بن عبد الملك الشافعي		عربي	١١٦٧	١٦	٢٢	٦١	١٦		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	الناسخ والمنسوخ	عبد الرحمن بن محمد العتائقي	١٥٣٣	احمد بن حبيب زوين		عربي	١٢٣٤	١٣,٥	٢١	٥	٢١	٨	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الناسخ والمنسوخ	عبد الرحمن بن محمد العتائقي	١١٦٥	محمد بن طاهر السماوي		عربي	١٣٣٥	١٣	٣١	١٨	٢١	١٠	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	الناسخ والمنسوخ في القران	مجهول	٥٧٠٧			عربي	١٠٧٢	١٥	٢٠,٥	٤٦	١٩	١٠	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول
	النشر في القراءات العشر	محمد بن محمد الجزري الشافعي	٦٣٨٥			عربي		١٣	١٩	٨٢	١٣		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

	النفائس	يوسف بن خضر بن ابو بكر بن ابراهيم	٧١٤٠			عربي			١٤,٥	٢٥,٥	١٠٢	١٦		جيد	ردئ	أبيض	كاملة	لا يوجد

ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	مكان النسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٩٠٨			عربي				١٨٠			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧١٥			عربي				٣٥٧			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧١٤			عربي				١٠٧٧			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧١٣			عربي				٨٢٧			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧١٢			عربي				٨١١			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧٠٩			عربي				٩٣٦			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧٠٨			عربي				٥٢٥			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧٠٧			عربي				٥٠٤			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧٠٦			عربي				٨٣٤			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧٠٣			عربي				٨١١			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٢١٤٦			عربي		١٢,٥	١٨,٥	٤٨٦	٢٢	٧,٥	جيد	ردئ	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٢١٠١			عربي		١٣,٥	٢٢,٥	٤٠٦	٣١	٧,٥	ردئ	ردئ	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	١٣٠٠			عربي		٨٩٤	١٥,٥	١١٢٨	٢٧	٨	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧١٠			عربي		٩٦٧		٤٦٥			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	١٩٠٢		مصطفى بن حسين	عربي		١٠٨٢	١٢,٥	١٥,٥	١٤٠	٥,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٧٥٦٨		حسن علي ابن جمال الدين	عربي		١١٠٩	١٧,٥	٢٤	١١١٦	٢٥	جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	مكان النسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧٠٤	ابراهيم بن قاسم بن ابراهيم		عربي	١١٣٠			٣٢٤			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	١٨٥٤			عربي	١١٣٢	١٨	٢٢	٨٢٩	٣٧	١٦	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٣٧٠٥			عربي	١١٩٦			٣٨٢			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	انوار التنزيل	عبد الله بن عمر البيضاوي	٤٨٤٢			عربي	١٢٤٠	١٧	٢٦	٥٥٦	٢٣		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

	بحر العرفان ومعدن الايمان	محمد صالح بن محمد البرغاني القزويني	٥٠٧٣	محمد علي بن محمد باقر		عربي	١٢٥٩			٧٣٢			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	بحر العرفان ومعدن الايمان	محمد صالح بن محمد البرغاني القزويني	٣٧٣٥	محمد علي بن محمد باقر		عربي	١٢٥٩			٧٣٢			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	بلوغ منى الجنان	محمد رضا بن قاسم الغراوي	٢١٧١	جاسم بن محمد رضا بن قاسم الغراوي		عربي	١٣٣٥	١٦	٢١	٥٣	١٨	١٢	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	بيان المشكلات على المبتدئين من جهة التجويد في القران المبين	منصور الطبلاوي	٦٤٢٦	يحيى ابو قاسم		عربي	١٢٦٩	١٥,٥	٢١,٥	٣٦	١٥		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	مكان النسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	ترجمة القران الكريم	مجهول	٣٤٦٣	زين العابدين بن سلطان		فارسي	١٣٢٩	٢٢	٣٤,٥	٤٦٢	١٤	١٦,٥	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	ترجمة تفسير القران الكريم	ابو الفتوح الرازي	٣٤١٤			فارسي		٢٥	٣٨	٤٩٦	٢٠	١٦	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	ترجمة وتفسير القران الكريم	مجهول	٢٥٧٤			فارسي		٢٠	٣١	٤٩	١٥	١٩	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	تعليقة على انوار التنزيل واسرار التاويل	سنان الدين يوسف الرومي	٧٧٠١			عربي				٦٦٠			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	غير ذلك

	تفسير ابن الحجام	محمد بن العباس الماهيار ابن الحجام	٢٩٨			عربي		١٣		٢١	١٩٩	١٥	١٠	جيد	ردئ	أصفر	ناقصة	غير ذلك
	تفسير الامام العسكري	المنسوب الى الامام الحسن العسكري	١٣٦٩	علي يار الشبستري		عربي	١٠٨٠	١٥		٢٠,٥	٧٧٣	١٤	٩	جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	تفسير الجلالين	جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي	٣٨٠٤			عربي					٥٢٨			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول
	تفسير الشيخ الخطيب	مجهول	٧٦٨١	عبدة بن خطاب بن حجازي		عربي	١١٩١	١٨		٢٢,٥	٤٦٥	٢٣		جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد

	تفسير القران الكريم	احمد بن سليمان بن كمال	٦٤٣٥			عربي		١٢,٥	٢١,٥	٨٦٨			جيد	جيد	أبيض	كاملة	لا يوجد
	تفسير القران الكريم	مجهول	١٣٤٨			عربي		١٤,٥	١٩,٥	٥٢٢	٢٠	٨	ردئ	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	تفسير القران الكريم	مجهول	٣٤٠٩			فارسي				٦٥٤			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأخير
	تفسير القران الكريم	مجهول	٣٤٠٥			فارسي				١٠٤٤			جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	تفسير القران الكريم	مجهول	٢٥٩٩			فارسي		١٥	٢٥	٨٧٩	١٩	٨	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول
	تفسير القران الكريم	مجهول	٢٣٢٩			فارسي		١٧,٦	٢٥,٦	٣٩٣	٢٣	١٢	جيد	ردئ	أصفر	ناقصة	غير ذلك

ت	الموضوع	المؤلف	الرقم	الناسخ	مكان النسخ	اللغة	تاريخ النسخ	العرض	الطول	الصفحات	عدد الأسطر	طول السطر	حالة النسخ	حالة الورق	لون الورق	النقص	جهة النقص
	جوامع الجامع	الفضل بن الحسن الطبرسي	٣٨٧٦	عبد المطلب بن جلال الشهير بابي تراب		عربي	١١١٨			٦٠٣			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	حاشية انوار التنزيل	ابراهيم بن محمد بن عربشاه الاسفرائيني	٣٩٠٦			عربي				٢٨٨			جيد	ردئ	أصفر	ناقصة	من الأخير
	حاشية انوار التنزيل	سعد بن عيسى المشهور بسعدي افندي	٣٩٠٤			عربي	٩٨١			٦٤٢			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	حاشية انوار التنزيل	عبد الحكيم بن شمس الدين	٣٩٠٥			عربي	١٢١٤			٣٦٣			جيد	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد

	حاشية انوار التنزيل	بهاء الدين محمد العاملي	٣٩٠٧	وحيد الدين موسي بن جعفر بن احمد	اصفهان	عربي	١٢٣٢			١٥٤			ردئ	جيد	أصفر	كاملة	لا يوجد
	حاشية على التفسير	مجهول	١٥٤٦			عربي		١٥	٢١	١٢٨	٢٧	١٠	جيد	جيد	أصفر	ناقصة	من الأول والأخير
	حاشية على الكشاف	علي بن محمد الشريف الجرجاني	٤٥٢٩	محي الدين بن اسماعيل الحنفي الانصاري		عربي		١٦	٢٢	٦٤٣	٢١		جيد	جيد	أبيض	ناقصة	من الأول
	حاشية على الكشاف	علي بن محمد الشريف الجرحاني	٤٢٤١			عربي		١٣,٥	١٨	٢٦٠	١٩		جيد	جيد	أبيض	ناقصة	من الأخير

تعقيب على رسالة (في فن التجويد)

كانت هذه الرسالة قد نشرت في العدد السادس من (المصباح) وقد سجل عليها المقريء الشيخ (علي عبود سلمان الطائي) مسؤول شعبة التحفيظ والإقراء في دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة ملاحظات ننشرها كما وردت نصاً:-

بسمه تعالى

الى/ الأستاذ رئيس تحرير مجلة المصباح الزاهرة محمد علي هدو المحترم

نهدي اليكم أطيب التحيات

ونبارك لكم جهدكم العظيم بإصداركم هذه المجلة الغراء ومن اجل الحفاظ على هذا العمل الجبار نود أن نطرح على جنابكم بعض الملاحظات حول البحث المنشور في العدد السادس من هذه المجلة بعنوان (رسالة في فن التجويد) الصفحة (٣٤٤) نبين ما ورد فيه من الأوهام.

١. ورد في هامش صفحة (٣٤٦) أن ورش اسقط حركة الهمزة على النون الساكنة والتنوين و أسقطها من اللفظ لثقلها وذلك في المنفصل دون المتصل.

والصحيح أنه أسقط حركة الهمزة على كل ساكن قبلها في المنفصل والمتصل.

٢. ورد في الصفحة (٣٥٠) فصل: في إدغام المتقاربين: ذكر له أمثلة: (وقالت طائفة.. أجيبت دعوتكما.. إذ ظلموا) وهذه الأمثلة للإدغام المتجانيس وليس للمتقارب.

٣. ورد في الصفحة (٣٥٢) مد البدل في السطر الثالث (آدم وآمن وأوتي وإيمان) فليس لجميع القرء في ذلك (سواء) القصر.

والصحيح أن لورش في المد البدل (القصر والتوسط والإشباع).

٤. ورد في بداية الصفحة (٣٥٣) ذكر (وهذا الساكن قد يكون مظهراً وقد يكون مدغما

فالمظهر (مرّ) والمدغم مثل (حابة) و (القيامة) (ولاالضالين) فالمد في هذا القسم لجميع القراء تاما بقدر ثلاث ألفات ويسمى مدا لازما مثقلا.

والصحيح أن هذه الأمثلة ليست للمد اللازم المثقل سوى مد (ولا الضّالين) فإنه مد لازم كلمي مثقل.

٥. ورد في الصفحة (٣٥٥) الثامن: أول اللسان مع ما يحاذيه من أقصى الثنايا (العلى) وهو مخرج اللام).

التاسع: أول اللسان وهو مخرج اللام.

والصحيح أن اللام يخرج من أدنى حافتي اللسان الى منتهى طرفه مع مافوقه من الحنك الأعلى ومن الجهة اليمنى أسهل.

٦. ورد في نفس الصفحة أعلاه: العاشر: أول اللسان مع مخرج النون مع فاصلة قليلة وهو مخرج الراء المهملة مع مايحاذيه من الثنايا العليا.

والصحيح: أن الراء يخرج من طرف اللسان مع ظهره مما يلي الرأس قريبا من مخرج النون.

٧. ورد في نفس الصفحة (الحادي عشر): أول اللسان مع أقصى الثنايا العليا وهو مخرج الطاء والدال المهملتين والتاء المثناة من فوق.

والصحيح: أن هذه الحروف تخرج من طرف اللسان مع أصل الثنايا العليا.

٨. ورد في هامش الصفحة (٣٥٨) السطر الخامس (أما الألف فليست من اللين إلا عند إبراهيم فإنها من أصوات اللين).

والصحيح أن اسم (إبراهيم) ليس فيها مد لين وإنما هو مد طبيعي .

٩. ورد في الصفحة (٣٥٩) في نهاية العمود الأول (فان كانت الكسرة عارضة مثل (إن رأيتم) (أم ارتابوا) سورة النور ونحو ذلك فخمت.

والصحيح (إن رأيتم) ليس فيا كسر عارض.

١٠. ورد في صفحة (٣٦١) فصل في الوقف: اعلم أن الوقف عبارة عن الإسكان والروم والإشمام.

والصحيح أن الوقف غير الروم والإشمام بل يجوز الوقف بالروم والإشمام أو بأحدهما.

هذا واننا استثنينا الأخطاء المطبعية والأوهام البسيطة والتي تضمنها البحث وهي كثيرة.

وملاحظاتنا هذه لانريد من خلالها توهين البحث فهو بحث قيم في بقية جوانبه.

ومن اجل الحفاظ على مستوى هذه المجلة الزاهرة أبدينا هذه الملاحظات ونعتذر عن تدخلنا في هذا الأمر إلا من باب الحرص على سلامة ما ينشر في المجلة.



تلقت مجلة المصباح رسالةٌ مشرِّفةً من معالي الاستاذ العلامة الدكتور أحمد مطلوب رئيس المجمع العلمي العراقي العتيد الذي يعدّ أعلى مؤسسة علمية في العراق، تضمنت رأيه السديد في المجلة وإعجابه بها وثناءه عليها. وندرج في ادناه نص الرسالة.

عزيزي الاستاذ الجليل محمد علي هدو المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد: فمنذ مدة طويلة أتلقى جزءً من مجلة (المصباح) وأغوص في بحورها العلمية، وكان آخر ما سعدت به الجزء الحادي عشر الذي حفل بكل بحث فريد، وكان عرض الكتاب من أروع ما عرف به عرض الكتب في المجلات، إذ هو عن قضية مهمة عبرت عن مأساة المسلمين في اسبانية بعد أن سقطت غرناطة وجرى للمسلمين مما أنكرته القيم الانسانية.

عزيزي: تسلمت رسالتك التي تعبر عن وفاء ومحبة واخلاص، وما أروع كلماتها، وأصدق دعوتك ودعوة الدكتور حميد مجيد هدو للمشاركة في بحوث المجلة، ولعل متابعتي لها أعظم مشاركة فيها.

وأود بهذه المناسبة أن أرى المجلة وقد مدت جناحيها على الوطن العربي والعالم الاسلامي، فهي المجلة المعبرة عن البحوث القرآنية، والروح الاسلامية بلسان عربي مبين.

وفقكم الله لما فيه خير الكلمة الصادقة والرأي الأصيل وسلامي للدكتور حميد وكل من يسهر لاخراج المجلة في أجمل حلة، واروع تنسيق.

الخميس الاول من محرم الحرام ١٤٣٤ هـ

١٥ تشرين الثاني ٢٠١٢ م

احمد مطلوب

رئيس المجمع العلمي- بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العلمي
مكتب رئيس المجمع

العـدد :
التاريخ :

عزيزي الاستاذ الجليل محمد علي هدو المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فمنذ مدة طويلة أتلقى جزءاً من مجلة (المصباح) وأغوص في بحورها العلمية ، وكان آخر ما سعدت به الجزء الحادي عشر الذي حفل بكل بحث فريد ، وكان عرض الكتاب من أروع ما عرف به عرض الكتب في المجلات ، إذ هو عن قضية مهمة عبرت عن مأساة المسلمين في اسبانية بعد أن سقطت غرناطة وجرى للمسلمين مما أنكرته القيم الانسانية .

عزيزي : تسلمت رسالتك التي تعبر عن وفاء ومحبة واخلاص ، وما أروع كلماتها ، وأصدق دعوتك ودعوة الدكتور حميد مجيد هدو للمشاركة في بحوث المجلة ، ولعل متابعتي لها أعظم مشاركة فيها .

وأود بهذه المناسبة أن أرى المجلة وقد غدت حناجيها على الوطن العربي والعالم الاسلامي ، فهي المجلة المعبرة عن البحوث القرآنية ، والروح الاسلامية بلسان عربي مبين .

وفقكم الله ملا فيه خير للكلمة الصادقة والرأي الأصيل ، وسلامي للدكتور حميد ولكل من يسهر لاخراج المجلة في أجمل حلة ، وأروع تنسيق .

الخميس الاول من محرم الحرام ١٤٣٤ هـ
١٥ تشرين الثاني ٢٠١٢ م

احمد مطلوب
رئيس المجمع العلمي - بغداد

إقرأ
في العدد القابل

دعوى اقتراض الألفاظ غير العربية في القرآن الكريم

الاستاذ المتمرس الدكتور محمد حسين الصغير

فهم القرآن وأدلته ومنابعه

الشيخ الدكتور طلال الحسن

قبس من أسرار القرآن الكريم

أ.د. حازم سلمان الحلي

حق التقاضي لغير المسلمين في التشريعات القرآنية

أ.د. عبد الأمير كاظم زاهد

مختار من تقديم مفردات الراغب الأصبهاني

سماحة الشيخ علي الكوراني